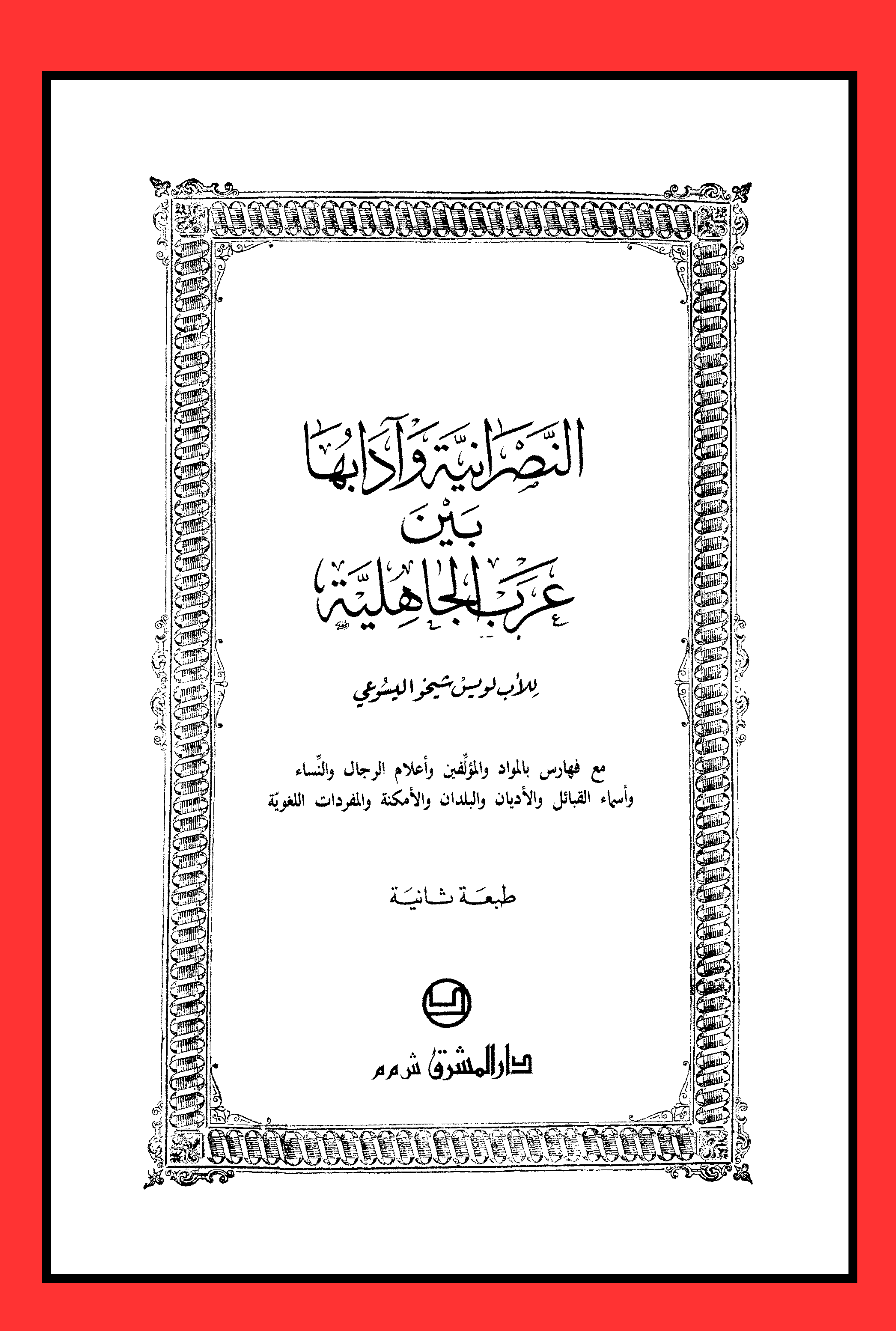


النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للأب لويس شيخو اليسوعي

مع فهارس بالمواد والمؤلّفين وأعلام الرجال والنّساء
وأسماء القبائل والأديان والبلدان والأمكنة والمفردات اللغويّة

طبعة ثانية

دار المشرق ش م م



منشورات دار المشرق ش.م.م
ص.ب. ٩٤٦. بيروت - لبنان
ISBN 2-7214-5975-9

توزيع المكتبة الشرقية
ص.ب. ١٩٨٦. بيروت - لبنان

النَّصْرانيّة وآدابُها
بَيْن
عَرَب الجاهِليَّة

القِسْمُ الأول

في تاريخ النصرانيّة وقبائلها في عهد الجاهِليّة

القِسْمُ الثّاني

في الآداب النصرانيّة في عهد الجاهِليّة

القسم الثاني

في الآداب النصرانيّة في عهد الجاهليّة

* * *

الجزء الاول

اتينا في قسمنا الاوَّل بما وقفنا عليهِ من النصوص التاريخيَّة والشواهد الثابتة العيانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب حتى اقصاها بعدًا وانحاها حدًّا ثمَّ عدَّدنا القبائل التى نسب الكتبة اليها عموماً او الى بعض بطونها التديُّن بالدين المسيحيّ

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيهِ ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهليَّة · ونريد بالآداب كلّ ما خلَّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب ممَّا رواهُ عنهم ائمَّة الادباء الذين جمعوا شوارد اللغة العربيَّة وآثارها في القرن الثاني بعد الاسلام · فانَّ هذه البقايا مع ما تضعضع منها بتوالي الزمان تنبئ بترقي النصرانيَّة بين اهل الجاهليَّة وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب · ويُضاف الى هذه المآثر الادبيَّة عادات ألفها عرب الجاهليَّة قبل الاسلام واستعاروها من النصارى فتجدهم في اطوار حياتهم الدينيَّة والمدنيَّة يتقلَّدونهم ويأخذون مآخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الانحاء اثرًا من وثنيَّتهم السابقة · فكلّ هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتبة المسلمون عنهم اخبار الجاهليَّة فنثبتها على علَّاتها مع الاشارة الى مواضعها كما فعلنا سابقاً

الفصل الاوَّل

النصارى والكتابة العربية

اوَّل خدمة أدَّاها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة . وهي قضيَّة يشهد عليها تاريخ الكتابة العربيَّة واصولها

لمَّا ظهر الاسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة . وانما كانت الكتابة شائعة في بعض الانحاء دون غيرها . فكان لاهل اليمن كتابة يسمُّونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشيَّة في كثير من الحروف شبه ظاهر . وكانت حروفها منفصلة . وقد وجد سيَّاح الفرنج كأرنو وهالوي وغلازر من آثارها في هذه السنين الاخيرة الوفاً من الكتابات يرقى عهد اوَّلها الى ما قبل المسيح بنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة ومنها ما كتب في القرون التابعة الميلاد حتى القرن السادس . وهذه الكتابة التي حلُّوا اسرارها ونشروها في عدَّة تآليف صابئيَّة ليست عربيَّةً كما ظنَّ البعض منهم كابن خلدون في مقدَّمتهِ (٢ : ٣٤١ من طبعة باريس) حيث قال : « وكان لحمير كتابة تسمَّى المسند ... ومن حمير تعلَّمت مضر الكتابة العربيَّة الَّا انهم لم يكونوا مجيدين لها »

وكان في جزيرة العرب كتابة أُخرى شاعت في شماليّ بلاد العرب وفي غربيّها وهي الكتابة النبطيَّة وقد ظهرت على صورتين صورة منها مربَّعة الحروف محكمة الصُّنع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصاً في شماليّ العرب واستعملوها في النقود والابنية لها علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بالاسطرنجليّ وصورة أُخرى مستديرة الشكل خشنية الصُّنع جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها

فهذه الكتابة النبطيَّة على صورتيها هي اصل الكتابة العربيَّة . ويدعوها العرب بالجزم اخذوها عن الامم المجاورة لهم . وكان النصارى هم الذين علَّموها العرب سواء قيل انَّهم وضعوها او انَّهم نقلوها كقوم وسَط . ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا . فانَّ العرب الذين بحثوا عن اصل الكتابة العربيَّة نسبوها الى رجال من

بُولان من قبيلة طيّ كانوا على دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل السريانيّة . قال السيوطيّ في المزهر (١ : ٣٩٠)

« انّ اوّل من كتب بخطّنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طيء . . . . علّموهُ اهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها فتعلّمها بشر بن عبد الملك (١ وكان لهُ صحبة بحرب بن اميّة لتجارته عندهم فتعلّم حرب منهُ الكتابة . ثم سافر معهُ بشر الى مكّة فتعلّم منهُ جماعة من قريش قبل الاسلام وسُمّي هذا الخطّ بالجزم لانهُ جُزم اي قُطع من الخطّ الحميري وتعلّمهُ شرذمة قليلة منهم . . . »

وكذلك نقل صاحب الفهرست (ص ٤) عن ابن عبّاس قولهُ :

« اوّل من كتب بالعربيّة ثلثة رجال من بُولان وهي قبيلة سكنوا الانبار وانّهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرّة (ويقال مروة) واسلم بن سدْرة وعامر بن جدرة (ويقال جدلة) . فامّا مرامر فوضع الصور وامّا اسلم ففصل ووصل وامّا عامر فوضع الإعجام . وسُئل اهل الحيرة : ممّن اخذتم الخطّ العربي . فقالوا : من اهل الانبار »

ومثلهما ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٢٠٥) :

« وحكوا انّ ثلاث نفر من طيّ اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرّة واسلم بن سدْرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانيّة فتعلّمهُ قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً »

وروى البلاذري في فتوح البلدان (ص ٤٧١) مثل هذا القول لكنّهُ روى « ببقّة » بدلًا من « البقعة » وبقّة مدينة قرب الانبار . ثم زاد ايضاحاً بقولهِ عن بِشر :

« وكان بشر بن عبد الملك اخو أُكَيْدر بن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السّكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلّم بشر الخطّ العربيّ من اهل الحيرة ثمّ اتى مكّة في بعض شانه فرآه سفين بن اميّة بن عبد شمس وابو قيس بن مناف بن زُهَرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمهما الخطّ فعلّمهما الهجاء ثم اراهما الخطّ فكتبا ثمّ انّ بشرًا وسفين وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غَيْلان بن سَلَمة الثقفي فتعلّم الخطّ منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلّم الخطّ منهُ عمرو بن زُرارة بن عُدَس فسمّي عمرو الكاتب ثم اتى بشر الشام فتعلّم الخط منهُ اناس هناك . وتعلّم الخطّ من الثلثة الطائيّين ايضاً رجل من طابخة كلب فعلّمهُ رجلًا من اهل وادي القرى فاتى الوادي يتردّد واقام بها وعلّم الخطّ قوماً من اهلها »

---

١) هو اخو صاحب دومة الجندل النصرانيّ (راجع القسم الاوّل ص ١٠٨ ١٣٠)

قال الشاعر كندي من اصل دومة الجندل يخاطب بني قريش :

لا تجحدوا نعماءَ بشرٍ عليكمُ فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
اتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتمُ ما كان بالمال مهملًا وطامنتمُ ما كان منهُ منفَّرا
فأَجريتمُ الاقلامَ عَودًا وَبدأةً وضاهيتمُ كتَّاب كسرى وقيصرا
واغنيتمُ عن مَسنَد القوم حميرٍ وما دبَّرت في الكتب اقيال حِميَرا

فهذا الخطّ هو الذي بعدئذٍ نُسب الى الكوفة لمَّا عُني اساتذة الكوفة بتحسينهِ في اوائل الاسلام . امَّا الخطّ الثاني النسخيّ فالظاهر انَّ العرب اخذوهُ من نصارى النبط المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب ويؤيد ذلك قول بعض الكتبة انَّ واضعي الكتابة العربيَّة كانوا من طسم وجديس وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ١٤٥) « كانوا من ملوك مَدْين » وذكرا رأي من ادَّعى انهم وضعوا الخطّ العربيّ على اسمائهم وهي ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت » . فذكرُهما لمَدْين وذكر البلاذري لوادي القرى يؤيد قولنا (راجع ما ورد في القسم الاوَّل عن النصرانيَّة فيهما)

وقد وجد العلماء من هـذا الخطّ النسخيّ امثلة عديدة يرتقي عهدها الى عهد الخطّ الآخر . ومن ثمّ لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي عن الخطّ (المشرق ٤ : ٢٨٠) بانَّ « الخطّ الكوفي هو العربي . وانَّ الخطّ النسخي وضعهُ ابن مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كلّ حال لا بُدَّ من الاعتراف بفضل النصارى لتشييع الخطّ في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة الى قوم من النصارى قد ورد في تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير الى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة . فمن ذلك ما روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٠) وغيرهُ من قدماء الكتبة عن طرفة والمتلمس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هنـد لعاملهِ المكعبر في البحرين موهماً بانَّهُ يوصي لهما بخير وهو يضمر لهما الشرّ . ففضَّ المتلمس صحيفتهُ واعطاها غلاماً عباديًّا من غلمان الحيرة فقرأها لهُ : « باسمك اللهمَّ من عمرو بن هند الى المكعبر . اما بعد اذا جاءَك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًّا (١) » فلمَّا

١) راجع في المشرق (٥ : ١٠١٦-١٠٦٢) تفاصيل هذه القصَّة

عرف مضمونها فرَّ هارباً . امـاَّ طرفة فلم يشأ ان يقف على محتويات صحيفتهِ فمات قتلًا وضُرب المثل بصحيفة المتلمّس للمتهوّر في التهلكة . وفي هـذا دليل على انَّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهـات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلّمونها غلمانهم . وفي الاغاني (٥ : ١٩١) ان المرقّش الاكبر واخاهُ حرملة « دفعهما ابوهما الى نصرانيّ من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ »

ولنا دليل آخر في المعلقات التي زعموا انَّهـا كُتبت على الحرير وعُلّقت على استار الكعبة واخصّ المعلّقات لشعراء من قبائـل نصرانيَّة كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فنّ الخطّ بين النصارى

ومن الادلَّة على ذلك مـا جاء في شعراء النصرانيَّة من الاشارة الى الكتابة كقول حاتم الطائيّ (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتَعرف آثار الديار توهُّماً كخطّك في رقٍّ كتاباً منمنَما

وقال المرار بن منقذ يصف اخربة دارٍ :

وترى منها رسوماً قد علَتْ مثل خطّ اللام في وَحي الزُّبُرْ

ومثلهما لبيد حيث قال :

وجلا السيولَ عن الطلال كأنَّها زُبُرٌ تحدُّ مُتونَها اقلامُها

وسبقهم امرؤ القيس فشبَّه طَلَل الدار بوحي الزبور في عسيبٍ يماني :

لمن طَلَلٌ ابصرتُهُ فشجاني كخطّ زبورٍ في عسيبٍ يماني

وقال ايضاً مخصّصاً زَبور الرهبان :

قفا نبكي من ذكرى حبيب وعرفانِ ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
اتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

وقد افتخر اميَّة ابن ابي الصلت بقومهِ اياد لعلمهم بالكتابة . فقال :

قومي ايادٌ انَّهم أَمَمُ او لو أَقاموا فتَهزَلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطّ والقَلَمُ

القطّ هو الكتاب . وقد بيَّنا سابقاً انَّ بني اياد من اوَّل القبـائل المتنصرة . ومنهم كان لقيط الايادي (راجع القسم الاوَّل ص ٧٥) الذي ارسل لقومهِ صحيفةً ينذرهم فيها بما يتهدَّدهم من الاخطار من جانب كسرى (١ اوَّلها :

١) راجع تاريخ ابن الاثير (١ : ١٥٧ طبعة مصر)

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرةِ من ايادِ

هذا ومما ينفي كلَّ شكٍ في ما نقولهُ ان الكتابتين العربيتين اللتين وُجدتا حتى اليوم من عهد الجاهلية هما لقوم من النصارى . فاقدمهما الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الاول الباب التاسع (ص ١٠٣ - ١٠٤) وهي الكتابة المكتشفة في زُبَد في جوار الفرات يرقى عهدها الى السنة ٥١٢ للمسيح اي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلث لغات اي اليونانية والسريانية والعربية تُصرّح بان المشهد الذي أُقيم هناك انما شُيّد تذكارًا للقديس سرجيوس الشهيد وفي اولها الاسم الكريم او دعاء لهُ تعالى (١

والاثر الثاني وُجد في حرّان من اعمال بلاد حوران مكتوباً باليونانية والعربية تاريخهُ ٥٤ قبل الهجرة اي السنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح ورد فيهِ انَّ هناك «مرطول» (Martyrium) اي مشهد لتذكار القديس يوحنا المعمدان هذا اولهُ بالعربية

انا شرحبل بر (بن) طلمو (ظالم) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ . . .

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين اخريين عربيتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في غارة في الصفا الرحالة الفرنسوي رينه دوسو وهي مكتوبة على ضريح احد ملوك الحيرة يُدعى امرءَ القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كسلول من السنة ٢٢٣ لبصرى الموافق لسبعة كانون الاول من السنة ٣٢٨ للمسيح . والاخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرقّ من القرن الثالث للهجرة وهي خاصة مكتبتنا الشرقية

فكلّ هذه الحجج والبيّنات دعت بالعلماء المستشرقين الى ان ينسبوا الكتابة العربية او على الاقلّ انتشارها بين العرب الى النصارى واولهم امامهم دي ساسي (B^on S. de Sacy) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة اثبت فيها استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلّة الاسيوية (J. A., 1^re Série, X. 210-211) مشيرًا اليها :

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture ... fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, où les Syrieus l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi

(١) اطلب رحلة المسيو دوسو (R. Dussaud) الى بادية الشام (ص ٢١٦,٢٢٤) وكتاب لزبرسكي (Lidzbarski) في الكتابات الآرامية (ص ٤٨٤)

جدول اقدم الكتابات العربية

١ كتابة عربيَّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبُصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في غارة من اعمال حوران المستشرق دوسو

صوره الكتابة مأخوذة عن الحجر

رسم الكتابة بالخط

تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلّهِ ذو أسر التاج
ومَلَكَ الاسدين وترارو وملوكهم وهرَّب مجحو عكدى وجاء
بزجاي (؟) في حَبج نجران مدينت شمّر ومَلَكَ معدو وبيَّن بنيهِ
الشعوب ووكّلهنَّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولَدَهُ

رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلًا عن كتاب دوسو)

صورة القلم الحميري

صور ونصب سعداوم دمدموم

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة

على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح

اطلب صورتها في القسم الاوَّل (الصفحة ١٠٤)

٣ً كتابة عربيَّة يونانيَّة وُجدت في حرَّان من اعمال حوران

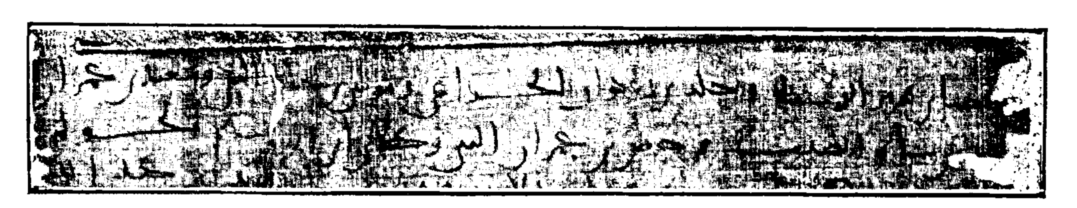
تاريخها سنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح

ΑCΑΡΑΗΛΟCΤΑΛΕΜΟΥ

ΦΥΛΑΡΧΟCΕΚΤΙCΕΝΤΟΜΑΡΤΥ

ΤΟΥΑΓΙΟΥΙѠΑΝΝΟΥΙΝΔΑΤΟΥΕΤΟΥCΥΞΓΜΝΗCΘΙΕΟΓΡΑΨΑC+

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البرديّ تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)



٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية



ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطَّين

ܘܟܨܝܒ ܡܢ ܐܠܣܡܐ ܦܝܗ ܛܠܡܐܬ ܘܪܥܕ ܘܒܪܩ

وكصيِّب من السماء فيهِ ظلمات ورعد وبرق

ܝܓܥܠܘܢ ܐܨܐܒܥܗܡ ܦܝ ܐܕܐܢܗܡ ܡܢ ܐܠܨܘܐܥܩ

يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق

ܚܕܪ ܐܠܡܘܬ ܘܐܠܠܗ ܡܚܝܛ ܒܐܠܟܦܪܝܢ ܘܝܟܐܕ ܐܠܒܪܩ...

حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) ويكاد البرق ...

a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené à sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

وقال الاثري الشهير فيليب برجه في كتابه عن اصول الكتابة (Ph. Berger: *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2de éd., 287) « ان الكتابة العربية وجدت قبل محمّد وكانت نصرانيّةً قبل ان تتحوَّل الى اسلاميَّة »

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلهما المستشرق العلّامــة ولهوْزن (J. Wellhausen : *Reste arab, Heidentums*, p. 232) أكّد بان الكتابة العربية شاعت اوَّلًا بين النصــارى ولاسيما العباديين في الحيرة والانبار فقال:

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichtsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الالماني روثستين (G. Rothstein : *Die Dynastie d. Lahmiden in al Hira*, p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسير (J. Goldziher : *Muhammedanische Studien*, I, 110)

فهذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة قولنا بانَّ الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربيَّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر انَّ لليهود ايضاً حصَّةً في ذلك لا سيما في المدينة كمــا ذكر البلاذريّ . وكذلك رووا انَّ بعض العرب كتبوا في الجاهليَّة بالعبرانيَّة الا انَّ عبرانيَّة ذلك العهــد هي الآراميَّة او السريانيَّة كقول صاحب الاغاني (٣ : ١٤) عن ورقــة بن نوفل « انَّهُ كان يكتب بالعبرانيَّة من الانجيل ما شاء » والله اعلم

الفصل الثاني

الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهليَّة

كثيرًا ما كنَّا نسمع في حداثة سنّنا بانَّ اللغة العربيَّة لغــة القرآن وانَّها كلّها

اسلاميَّة وقد قرأنا ذلك في بعض كتب الاوربيّين الذين لم يفقهوا الامر ورموا الكلام على عواهنهِ ولعلَّهم قالوا ذلك لأنَّ القرآن اوَّل كتاب دوَّنهُ العرب على الرقّ او الجلد او البرديّ او رقاق العظام · على انَّ اللغة العربيّة سبقت الاسلام كما هو معروف ونطقَ بها قبائل شتّى منها قبائل نصرانيَّة كشفنا القناع عن دينها المسيحيّ · ثم اثبتنا فضل النصارى في سبقهم الى الكتابة العربيَّة

وليست غايتنا هنا ان نتتبَّع كلّ مفردات لغتنا الشريفة فنروي ما جاء منها على ألسنة النصارى فانَّ ذلك مستحيل اذ كانت العربيَّة مع وفرة لهجاتها واحدةً في القبائل النصرانيَّة وغيرها كما انَّ لغة النصرانيّ في عهدنا لا تختلف عن لغة المسلم

ومع اقرارنا بذلك يمكننا انْ نجمع عدَّة مفردات وردت في المعجمات العربيَّة القديمة دخلت في اللغة بواسطة نصارى العرب لا سيما شعرائهم · ومجموعها دليل واضح على تأثير النصرانيَّة في لغة اهل الجاهليَّة

وتسهيلًا لبيان الامر نروي هذه الالفاظ على حسب معانيها مباشرةً بالالفاظ الدالَّة عليهِ تعالى وكمالاتهِ واسمائهِ الحسنى

١ الاسم الكريم واسماؤهُ الحسنى في الجاهليَّة

انَّ الوثنيَّة كانت عمَّت قبل المسيح كلّ جهات جزيرة العرب كما سبق لنا بيانهُ وشهدت عليهِ المآثر المتعدّدة · فان وجدنا فيها ديانة التوحيد ووصف كمالاتهِ تعالى والفاظاً دالَّة على ذلك بعد المسيح فلا بُدَّ من القول انَّ العرب الذين فاهوا بها كانوا موحّدين فهم امَّا يهود وامَّا نصارى وعلى الاقلّ انَّهم استعاروها من اولئك الموحّدين · على انَّنا نعرف الجهات التي كان يسكنها اليهود في جزيرة العرب اما النصارى فكانوا منبثّين في كلّ انحائها فيجب القول بانَّ هذه الالفاظ هي غالباً للمسيحيين دون اليهود

(الله تعالى) لا مراء بانَّ اسمهُ عزَّ وجلَّ كالاله الحقّ سبحانهُ وتعالى قد سبق عهد الاسلام وشاع في كلّ انحاء العرب وقد وجدهُ صاحب الشريعة الاسلاميَّة مكرَّماً معظَّماً بين ابناء جنسهِ المكيّين فهو يكرّر اسمهُ في القرآن كالاله العظيم الذي ليس فوقهُ إله وان كان بعض منهم يشركون بهِ آلهة غيرهُ دونهُ رتبةً

امّا اشتقاق هذا الاسم فلم يتّفق عليهِ كتبة العرب وقد زعموا غالباً انّهُ عربيّ الاصل وانّهُ مركّب من لفظة اله مسبوقة بال التعريف كانّهُ « الاله » اختصروه بالله. امّا علماء اللغات الساميّة فيجمعون على انّ هذا الاسم مشتق من اصل آراميّ (ايل אל) مفخّم بزيادة الهاء فجاء في الكلدانيّة والسريانيّة على صورة آلهَا (אלהא ܐܠܗܐ) فقالوا بالعربيّة الله بلام اصليّة مفخمّة. وقد جاء الاسم الكريم في الكتابات النبطيّة والصفويّة فالنبطيّة ذكرتهُ منسوباً اليهِ كزيد الله وعبدالله وتيم الله وورد في الكتابات الصفويّة منفرداً. ولمّا كانت النصرانيّة دخلت الى بلاد العرب خصوصاً من جهات الشام وتمكّنت بين احياء النبط اطلقوا اسم الله في لهجتهم على الاله الحقّ كما شاع بين طوائف السريان ونقلوهُ في اسفار العهدَين القديم والحديث منذ اوائل القرن الثاني للمسيح. وخلاصة القول انّ اسم الله دخل في جزيرة العرب بنفوذ النصرانيّة خصوصاً. وعليهِ قد تكرّر هذا الاسم الكريم في الشعر الجاهليّ الذي كان معظمهُ لشعراء نصارى من قبائل نصرانيّة كربيعة وبكر واياد وغيرهم. ولا نرى حاجة الى ذكر امثلة عديدة لهذه الحقيقة لثباتها وكثرة استعمال اسم الله في الشعر الجاهليّ امّا بقيّة آلهة العرب فقلّ ما ورد ذكرها اذ كانت الديانة الوثنيّة قد تقلّص ظلّها قبل ظهور الاسلام. ونكفي بايراد اقوال بعضهم في الاسم الكريم على صورتيه « الله » او « اله » قال زيد بن عمرو (عن رواية ابن هشام) :

الى الله أُهدي مدحتي وثنائيا وقولًا رصيناً لا يني الدهرَ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقَهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أُرَى ادين إلهًا غيرك الله ثانيا

وقال الاعشى (شعراء النصرانيّة ص ٣٦٥) :

وذا النُّصُب المَنصوبِ لا تَنسُكنَّهُ ولا تَعبُدِ الاوثان والله فاعبدا

وقال بعض الاياديين (كتاب البيان للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحن ايادٌ عبيدُ الاله ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

وقال اميَّة بن ابي الصلت :

إلهُ العالمين وكلّ ارضٍ وربُّ الراسياتِ من الجبالِ

ويقرب من اسم الاله اسم الربّ كقول بن أَوس بن حجَر :

اطعنا ربَّنا وعصاهُ قومٌ فذقنا طَعْم طاعتنا وذاقوا

(الاسماء الحسنى) يريد العرب المسلمون بالاسماء الحسنى صفاتٍ لهُ تعالى تدلُّ على اخصّ كمالاتهِ عزَّ وجلَّ استخرجوها من بعض اقوال القرآن وعدُّوها ٩٩ اسماً. واسماء الله لا عداد لها كما هو معروف لأنَّ كمالاتهِ تعالى لا يضمُّ بها احصاء ومهما وُصفت بهِ الذات الالهيَّة فما تلك الاوصاف الَّا نقطة من بحر. ولا نتتبَّع كلَّ اسم من هذه الاسماء وانَّما نكتفي بما هو ادلُّ على جلالهِ تعالى وعظمتهِ وقدرتهِ وعلمهِ ورحمتهِ فنجدها كلَّها سبقت على ألسنة اهل الجاهليَّة واذ كان الله الواحد الصمد قد عرفهُ العرب كما قلنا بواسطة الموحّدين ولا سيما النصارى وجب القول بان هذه الصفات استعارها ايضاً كتبة العرب وشعراؤهم عن الدين النصراني والاسفار المقدَّسة التي كان يتداولها ارباب هذا الدين

وكمالاتهُ تعالى على صنفين صنفٌ منها يعرّف الذات الالهيَّة في نفسها بقطع النظر عن المخلوقات كلّها والصنف الآخر يشعر بصفات العزَّة الالهيَّة بالنسبة الى الكائنات الخارجة عنهُ

فمن الصنف الاوَّل ما دلَّ على وجودهِ تعالى الواجب وقيامتهِ بذاتهِ وجلالهِ وعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وغناه وابديَّتهِ . وكلّ هذه الصفات قد عرفها اهل الجاهليَّة من نصارى العرب واستعاروها من الاسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث. فمن ذلك قول امية بن ابي الصلت يصف عظمتهُ وجلالهُ وفي كلامهِ كثير ممَّا ورد في القرآن من الاسماء الحسنى فقال (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٧):

لك الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربَّنا ... فلا شيء اعلى منك مجدًا وامجدُ
مليكٌ على عرش السماء مُهيمن ... لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولهُ ... وانهار نورٍ حولهُ تتوقَّدُ
فلا بشرٌ يسمو اليهِ بطرفهِ ... ودون حجاب النورِ خلقٌ مؤيَّدُ

ومنها في وحدانيَّته وصمدانيَّته وملكهِ المتعالي:

فسبحانَ من لا يعرفُ الخلقُ قدرَهُ ... ومن هو فوق العرش فردٌ موحّدُ
ومن لم تنازعهُ الخلائقُ مُلكَهُ ... وان لم تفرّدْهُ العبادُ فُمفرَدُ
مليك السماوات الشدادِ وارضها ... وليس لشيء عن قضاهُ تأوُّدُ

وفي وحدانيَّتهِ وقدرتهِ وبقائهِ قال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤):

سبحانَ ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ... ربُّ البريَّة فردٌ واحدٌ صَمَدُ
مسخَّر كلُّ ما تحت السماء لهُ ... لا ينبغي ان يُناوي ملكَهُ احدُ

لا شيء ممَّا نرى تبقى بشاشتهُ يبقى الالهُ ويودي المالُ والولدُ

ولزيد بن عمرو في ربوبيَّتهِ وولائهِ وابديَّته قولهُ (كتاب البدء والتاريخ ١ : ٦٢ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦) :

أَلاَ كلُّ شيء هالك غير ربّنا ولله ميراثُ الذي كان فانيا
وليٌّ لهُ من دون كلّ ولايةٍ اذا شاء لم يُمسوا جميعًا تواليا
وان يكُ شيء خالدًا ومعمَّرًا تأمَّلْ تجدْ مَنْ فوقهِ اللهَ باقيا
لهُ ما رأت عينُ البصير وفوقهُ سماء الالهِ فوق سبعٍ سمائيا

وروى الصغاني: « فوق ستّ سمائيا » . وسمَّاهُ اميَّة مقدّساً وذا الجلال فضلًا عن بقائهِ فقال :

فكلّ معمّر لا بُدَّ يومًا وذي الدنيا يصيرُ الى الزوالِ
ويفنى بعد جدَّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلال

ودعاهُ زيد بن عمرو (الاتقان للسيوطي ص ١٥٤) بالعزيز والواسع فقال :

انَّ الاله عزيز واسعٌ حكَمٌ بكفّهِ الضرُّ والبأساء والنِعَمُ

فترى في كلّ هذه الابيات عددًا عديدًا من اسمائهِ عزَّ وجلَّ كالواحد والاحد والفرد والصَّمد والاوَّل والآخر والباقي والعزيز والعظيم والكبير والعليّ والمتعالي والمحتجب والماجد والمجيد والقادر والقويّ والقهَّار والمقتدر والملك ومالك المُلك وذي الجلال والمقدَّس والحقّ والعليم والحكيم والغنيّ وكلُّها من اوصافهِ الدالَّة على كمالاتهِ الذاتيَّة . امَّا الصفات الالهيَّة المنبئة بالعلاقة بين الخالق والمخلوق فورد منها كثير في الشعر الجاهليّ ومصدرها كما في الصفات السابقة التعاليم النصرانيَّة الشائعة في جزيرة العرب . فمن جميل ابيات اميَّة بن ابي الصلت قولهُ يصف خالق البريَّة (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٨) :

هو الله باري الخلْق والخلْقُ كلُّهم اماء لهُ طوعًا جميعًا واعبُدُ
وانَّى يكون الخلْقُ كالخالقِ الذي يدومُ ويبقى والخليقة تنفدُ

ووصفهُ هناك بالمحيي المميت :

ونفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويُحيي دائبًا ليس يهمُدُ

ولهُ في وصف تكوين العالم اقوال كثيرة كقولهِ في السماء (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦)

بناها وابتنى سبعًا شدادًا بلا عَمَد يُرَيْن ولا رجالِ

وسوَّاها وزيَّنها بنورٍ من الشمس المضيئةِ والهلالِ
ومن شُهبٍ تلألأُ في دُجاها مراميها اشدُّ من النصالِ
وشقَّ الارض فانبجست عيونًا وانهارًا من العَذْبِ الزُّلالِ
وبارك في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حرثٍ ومالِ

ولقسّ بن ساعدة في الخالق وغايتهِ من الخلق (شعراء النصرانيَّة ص ٢١٦):

الحمدُ لله الذي لم يخلق الخلْق عبثْ

ومثلهُ لعديّ بن زيد وسمَّاهُ مسبَّحاً وخلَّاقاً (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٤):

ليس شيء على المنونِ بباقِ غيرَ وجهِ المسبَّح الخلَّاقِ

ومما يضاف الى صفتهِ بالخالق قول اميَّة بن ابي الصلت (العرائس للثعلبيّ ص ١١)

اذا قيل من ربُّ هذي السما فليس سواهُ لهُ يضطربْ
ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعًا كَذِبْ

وسمَّاهُ اميَّة كبيرًا ومنشئًا ومُحيياً وقديرًا فقال:

مجّدوا الله وهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
ذلك المنشئُ الحجارة والمو تى وأحياهُمُ وكان قديرا

ووصفهُ قس بن ساعدة بالمُهيمن (شعراء النصرانيَّة ٢١٧):

فاعوذُ بالملك المُهَيْمَن ممَّا غالهُ بالبأساء والنحسِ

ونعتهُ اميَّة ابن ابي الصَّلت بالسَّليطَط والمقتدر فقال:

انَّ الانام رعايا اللهِ كلُّهمُ انَّ السَّليطط فوقَ الارض مقتدرُ

وسماهُ الكريم فقال:

ثمَّ يجلو النهار ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

وقال اعشى قيس:

ربّي كريمٌ لا يكدّرُ نعمةً فاذا تُنوشد في المهارق انشدا

وخصَّهُ زهير بن ابي سلمى بمراقبة الاعمال والانتقام لها في معلّقتهِ:

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليَخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضعْ في كتاب فيُدَّخرْ ليوم الحساب او يعجّل فيُنقمِ

ودعاهُ اميَّة حَكَماً فقال:

لك الحمد والمنُّ ربَّ العبا دِ انتَ المليكُ وانتَ الحكَمْ

وسماهُ عليًّا ومتعالياً (المرتضى ص ٣١٣)

واشهد انَّ الله لا شيءَ بعدهُ   عاليًا وامسى ذكرهُ متعاليا

ووصفوهُ بالرحمان والرحيم . قال الاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٩١) :

فلئنْ ربُّكَ من رحمتهِ   كشف الضيقة عنَّا وفسحْ

وقال المثقّب العبديّ (شعراء النصرانيَّة ص ٤١٥) :

لحى الرحمانُ اقوامًا اضاعوا   على الوعواع افراسي وعيسي

وقال سلامة بن جندل يصفهُ بالرحمان والجابر والجامع (اطلب طبعتنا ص ١٩)

عجلتم علينا حجّتَين عليكمُ   وما يشأِ الرحمانُ يَعقد ويُطلقِ
هو الجابرُ العظمِ الكسيرِ وما يشا   من الامر يجمعْ بينَهُ ويفرّقِ

ويروى : « هو الكاسرُ العظمِ الامينِ » . ووصفهُ زيد بن عمرو بالرحمان والغفور فقال (الاغاني ١٣ : ١٦) :

اربًّا واحدًا ام الفَ ربٍّ   ادينُ اذا تقسَّمتِ الامورُ
ولكن اعبدُ الرحمانَ ربّي   ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفُورُ

وقال اميَّة في الرحيم (كتاب الالفاظ لابن السكّيت ٤٩٠)

ثمَّ يجلو الظلام ربٌّ رحيمٌ   بمهاةٍ شعاعها منشورُ

ودعاهُ الورقة بن نوفل بالسميع المجيب فقال (الاغاني ٣ : ١٦) :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا ارى   ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
اقول اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ   تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

فهذه الاسماء كلّها من صفات الله تبارك وتعالى تثبت جليًّا بان اهل الجاهليَّة المتنصِّرين لم يَفُتهم شيءٌ من معرفة الاله الحقّ

٢ السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهليَّة معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيَّة ودُعاتها خصوصاً كذلك يجب القول انَّهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان يستعيروا شيئاً منها من اليهود الَّا انَّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا متزوين في بعض انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الَّا اختلاطاً يسيرًا على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرَّ ساكنين في كلّ اقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب ان يكونوا بثّوا تعاليمهم عن دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزَّ وجلّ

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلَّى للابرار وحيث يسعى في خدمتهِ ملائكة منزَّهون عن الهيولي . . . وقد مرَّت لنا ابيات لاميَّة بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانَّما نضيف اليها قولهُ في الدارين :

دارٌ دحاها ثمَّ أعمرَنا بها   واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأتمَّ ستًّا فاستوتْ أطباقُها   وأتى بسابعةٍ فأنَّى تُورَدُ

وتُدعى السماء ايضاً بجنَّة الخُلد وبالفردوس وجنان عَدْن . قال اميَّة بن ابي الصلت :

ربِّي لا تحرمنَّي جنَّةَ الخُلْدِ م وكن ربِّي بي رؤوفاً حفيَّا

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشرًا (في الحماسة ed. Freytag, ٧٩٢)

فما جنَّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي   ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ احسبُ

ومثلهُ لحسَّان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ   جنانٌ من الفردوس فيها يخلَّدُ

وقال النابغة (المخصَّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فسلامُ الاله يغدو عليهم   وفيوءُ الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها بِرْقِع وعدن ونعيم قال اميَّة بن ابي الصلت (المخصَّص ٩ : ٦) :

وكأنَّ بِرْقِعَ والملائكُ حولها   سَدِرٌ تواكَلَهُ القوائمُ اجردُ

وجاء في عَدْن لهُ ايضاً :

جهنمُ تلك لا تُبقي بغيًّا   وعَدْنٌ لا يطالِعُها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخلَق السماء والنجومُ   والشَّمسُ معها قمرٌ يقومُ
قدَّرهُ المُهيمن القيُّومُ   والحشرُ والجنَّةُ والنعيمُ
الَّا لأمرٍ شأنهُ عظيمُ

وسماها ايضاً دار صِدْق قال :

وحلَّ المتَّقون بدارِ صدقٍ   وعيشٍ ناعمٍ تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنَّوا   من الافراح فيها والكمالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يكنهُ

انْ يتَّصل الى العرب الَّا بطريقة وَحْيٍ سابق ودينٍ شاع فيهِ المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيَّة . وقد احسن اميَّة في وصفهم فقال :

يتتابعهُ المتنصفون بسَجْرةٍ   في الف الفٍ من ملائكَ تُحشَدُ
رسلٌ يجوبون السماء بأمره   لا ينظرون ثواء من يتَقصَّدُ
فهمُ كأوْب الريح بينا أَدبرَتْ   رجعت بَوَادي وجهها لا تُكرَدُ
حُذْنٌ مناكبهم على اكتافهم   زِفٌ يزفُّ بهم اذا ما استجدوا
واذا تلاميذُ الالـه تعاونوا   غلبوا ونشَّطهم جناحٌ معتدُ
نهضوا باجنحةٍ فلم يتوا كلوا   لا مبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

ولهُ من قصيدة اخرى :

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشهِ   بكفَّيهِ لولا اللهُ كلُّوا وأبلدوا
قيامٌ على الاقدام عانينَ تحتَهُ   فرائصهم من شدَّةِ الخوفِ تُرْعَدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءَهُ   يصيخون بالاسماع للوَحْي ركَّدُ

وهناك قد ميَّز طبقات الملائكة واشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرَّاس وصرَّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهمِ   وميكالُ ذو الروح القويّ المسدَّدُ
وحرَّاسُ ابوابِ السماوات دونهم   قيامٌ عليها بالمقاليد رُصَّدُ
فنعمَ العبادُ المصطَفَوْن لأَمرهِ   ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً   كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسجَّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسَهُ   يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لـهُ الدهرَ خاشعًا   يردّدُ آلاءَ الالـهِ ويحمـدُ
ومنهم ملفٌّ في الجناحَيْن رأسهُ   يكاد لذكرى ربّـهِ يتفصَّدُ
من الخوف لا ذو سأمةٍ بعبادةٍ   ولا هُوَ من طول التعبُّد يُجهدُ
ودون كثيف الماء في غامض الهوا   ملائكةٌ تنحطُّ فيـهِ وتصعدُ
وبين طباق الارض تحت بطونها   ملائكةٌ بالامر فيهـا تَردَّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة (راجع التاج في مادَّة ملك . وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42) :

تعاليتَ ان تُعزَى الى الانس خلَّةً   وللإِنْس من يعزوكَ فهو كذوبُ
فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأَكٍ   تنزَّلَ من جوّ السماء يَصوّبُ

ولاميّة ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (اساس البلاغة ٢:١٩٦):

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتسمعُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم. قال عمران بن حطّان:

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسّان بن ثابت (ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42):

يا حارِ في سِنَةٍ من نومِ اوّلكم ام كنتَ ويحك مغترًّا بجبريلِ

وقال ايضاً (ib. 15):

برجالٍ لستمُ أمثالهم أُيّدوا جبريلَ نصرًا فنزلْ

وقد لقّبهُ حسّان في محلّ آخر بالروح القدس (ib. p. 2):

وجبريلٌ امينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاءُ

ويروى: «رسول الله». وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل:

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزَلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس «بسادة الملائكة والمقرَّبين الى حَمَلَة العرش». كقول امية بن ابي الصلت السابق ذكرهُ (التاج ٢:٤٥٤):

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ

وقال في الساروفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدّسي ١:١٦٨ ed. Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld):

حُبس السرافيلُ الصّوافي تحتَهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ

وممّا وصفه شعراء الجاهليّة في السماء عرشُ الله الذي تكرّر ذكرهُ في الاسفار المقدّسة من العهدين العتيق والحديث. ومن البديهيّ انّ عرش الله ليس شيئاً هيوليّاً مجسّماً وانّما المراد بهِ عزّتهُ تعالى وثباتهُ. قال اميّة وهو غير ما سبق لهُ (الاضداد لابن الانباري ص ٥١)

مَلكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣:١٤):

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلُهُ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صَمَدُ

ويروى: « سبحاناً يدوم لهُ . وسبحاناً يعود لهُ » . ومثل العرش السريرُ قال امية (كتاب البدء والتاريخ للمقدّسي ١ : ١٦٥) :

مجّدوا الله فَهْو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلـق وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما ينالهُ بصرُ العـيْنِ ترى دونهُ الملائكَ صُورا

فالشرجع الخشبة المربَّعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير

(جهنّم) ليست معرفة شعراء الجاهليَّة بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كَعْب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم القرآن للسيوطي ١ : ١٥٨) :

تَلَظَّى عليهم حين أنْ شدَّ حَميُها بزُبْر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال اميَّة بن ابي الصلت (فيه ١ : ١٥٩):

فأركِسوا في حميم النار انَّهمُ كانوا عُتاتاً يقولون الكذب والزورا

ويروى: « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانيَّة ١ : ٢٢):

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ الى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا وعجُّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميّتين فيستريحوا وكلُّهمُ ببحر النار صالِ

وقال فيهم (خزانة الادب ٢ : ٣٤٦):

فهم يَطفُون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعديّ مستغفرًا وطالباً النجاة من جهنَّم (خزانة الادب ٤ : ٤)

يا مالكَ الارض والسماء ومَن يَفرَقْ من الله لا يَخَفْ إثما
إني امرؤ قد ظلمتُ نفسي وإلّا م تَعفُ عنّي اغلا دماً كَثما
أُطرَحُ بالكافرين في الدرك م الاسفل يا ربِّ أَصطلي الضرَما

وقال اميَّة بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم:

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنَّةَ حفَّت بهم حدائقُها
وفرقةٌ منهم قد أُدخلت م النار فساءَتهم مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثَمَّ ولا م الاعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيَّنوا جهنَّم لابليس وفرقتهِ من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعصيانهم . قال اميّة (لسان العرب ١٥ : ٤٠٩):

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال اميّة ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادّة عكا):

أيّما شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمّ يُلقَى في السجن والاغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد ابليساً (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩):

وأهبطَ اللهُ ابليساً واوعدهُ نارًا تَلهّبُ بالإسعار والشّرَرِ

وقال اميّة بن ابي الصلت :

وترى شياطيناً تروغُ مُضاعةً ورَواغُها صبرٌ اذا ما يُطرَدُ
تُلقى عليها في السماءِ مذلّةٌ وكواكبٌ تُرمى بها فتُعرِّدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأتمَّ ستًّا فاستوَتْ أطباقُها وأتى بسابعةٍ فأنّى تُورَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب قال زهير بن ابي سلمى في معلّقته يتهدّد المنافقين بالدينونة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخَّر فيوضعْ في كتاب فيُدّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال اميّة بن ابي الصلت :

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسّان بالدينونة :

فلا يحسبونَ الخير لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد (ديوانهُ ص ٢٨ . ed. Huber) :

وكلُّ امرئ يوماً سيُعلَمُ سَعْيُهُ اذا كُشفت عند الالهِ المحاصلُ

ويروى في المخصّص (١٢ : ٧١) : « اذا حصلت عند الاله الحصائل » . وروى السيوطي لأميّة بن ابي الصلت (في اتقان علوم القران ١ : ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قمطريرا

وقال اميّة ايضاً (فيه . وفي الاغاني ٣ : ١٩٠):

انَّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيهِ الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ الى ان يزولا
واجعلِ الموت نصب عينك واحذَرْ غولة الدهر انّ للموت غولا

وقال ايضاً (خزانة الادب ٤ : ٧) :

لا تخلطنَّ خبيثات بطيّبةٍ واخلع ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئٍ سوف يُجزى قرْضهُ حسناً او سيّئًا ومَدينًا كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير . قال اميّة ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى :

الوارثُ الباعثُ الاموات قد ضَمِنت ايّاهمُ الارض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة (الشريشي ٢ : ٢٧٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني ص ٧٦) :

يا ناعيَ الموتِ والامواتُ في جدثٍ عليهمِ من بقايا خزّهم خِرَقُ
دَعْهم فانَّ لهم يوماً يُصاحُ بهم فهم اذا انتبهُوا من نومهم فُرُقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهمِ خلقًا جديدًا كما من قبلها خُلقوا
منهم عراةٌ وموتى في ثيابهمِ منها الجديد ومنها الأَوْرَق الخَلَقُ

وقال عبيد بن الابرص يذكر القيامة (خزانة الادب ١ : ١٦٠) :

انت المليكُ عليهمِ وهم العبيدُ الى القيامَهْ

وقال اميّــة ولهُ السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبر اي الاسفار المقدَّسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحْشَروا زُمرًا يومُ التغابُن اذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كانّهمُ رِجلُ الجَرَادِ زفتْهُ الريحُ تنتشرُ
وأُبرِزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ (٢ وأُنزل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِهِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعتَبَرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بمبعثهِ وآخرون عصَوْا مأواهمُ السَّقَرُ
يقولُ خُزَّانُها : ما كان عندكمُ ألم يكُنْ جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا : بلى فتبعنا فتيةً بطروا وغرَّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا : امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الَّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فــذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان صحّوا وان ضجروا

---

١) وروى الباقلاني في اعجاز القران (ص ٧٣) : كما ينبّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الاصل . والصواب جَرَزٍ . يقال ارض جَرْز وجَرَز وجُرُز اي مُجدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنَّةٍ حفَّها الرمَّانُ والخضَرُ
انَّ الانام رعايا الله كلهمُ هو السَّليطَطُ فوق الارض مُقتدرُ

وهو القائل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (المقاصد النحوية في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار Ms Wien, ff 16v)

سلامَك ربَّنا في كلّ فجرٍ بريئًا ما تليقُ بك الذُّمومُ
عبادُك يخطئون وانت ربٌّ بكفَّيْكَ المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألَا يا ليت أُمَّكمُ عقيمُ
فلا تدنو جهنَّمُ من بريءٍ ولا عَدْنٌ يحلُّ بها الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنَّمُ تلك لا تبقي بغيًّا وعَدْنٌ لا يطالعها الرجيمُ
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَيْنٌ ولا فيها مُليمُ
اذا بَلَغوا التي أُجرُوا اليها تقبَّلهم وحُلِّل مَن يصومُ
وخُفِّفَت النذورُ واردفتهم فضول الله وانتهت القسومُ

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام . ولاميَّة المذكور ابيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلُّهم قائلٌ للدين أيَّانا (١
ايَّامَ يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا (٢
هم ساعدوهُ كما قالوا إلهُهمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسفانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين انَّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين . فكفى بهذه الشواهد دليلًا على انَّ كل الالفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا الى اسماء الله الحسنى

١) راثَ اي تأخَّر . يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أيَّانا اي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الاصل . ونظنّ ان الصواب « الكانتين » اي الخاضعين

٣) الدُسفان المرسل . يريد انَّ المسيح تقدَّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ . ولعلَّ في هذا اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنَّا (١٤ : ٢) : « اني ذاهب لاعدَّ لكم المكان » . وفي كتاب البدء : وارسلوهُ كسوف الغيب . وفي اللسان : يسوف الغيثَ

٣ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ

كان لعرب الجاهليَّة شركهم كما سبق الَّا انَّ الآثار العربيَّة الباقية من العهد السابق للاسلام قلَّما تُشعر بالتوثُّن لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحيّ. وها نحن ذا ندوّن الالفاظ النصرانيَّة الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا

(الدّين) انَّ لفظة الدين بمعناها الخاصّ اي العبادة لله قد سبقت الاسلام واوَّل ما نجد لفظها في الشعر العربيّ مدلولها الدين النصرانيّ. قال النابغة يمدح ملوك غسَّان النصارى بدينهم :

مجلَّتهم ذاتُ الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وروى اللسان محلّتهم اي الارض المقدَّسة. ومثلهُ ما انشدهُ نبيّ الاسلام عن شاعر جاهليّ « لمَّا افاض من عرَفة الى مزدلفة وكان في بطن محسّر الذي كان موقف النصارى » (تاج العروس ٣ : ١٤٠ و٩ : ٣٦٢). وفي الابيات اشارة الى الناقة التي كان راكبها في مسيره الى الحرم :

اليك تعدو قلقًا وضينُها معترضًا في بطنها جنينُها
مخالفًا دينَ النصارى دينُها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصرانيّ قولهُ (الاغانيّ ٣ : ١٦) :

ادينُ لربٍّ يستجيب ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
اقول اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

ولأُميَّة في معناهُ قولهُ :

رضيتُ بك ألّلهمَّ ربًّا فلن ارى ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

ومن حكم عديّ بن زيد قولهُ :

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

والدين ايضًا بمعنى الحكم والقضاء والحساب. قال السيّد المسيح (متّى ٧ : ١—٢) : « لا تدينوا لئلّا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون » فجاءت اللفظة في الشعر الجاهليّ مقتبسةً عن الآية السابقة. قال خويلد بن نوفل الكلابيّ يخاطب الحارث بن ابي شمّر (التاج ٩ : ٢٠٧) :

يا حارِ أَيقِنْ انَّ ملكك زائلٌ واعلم بأن كما تدينُ تدانُ

والى هذا المعنى يعود اسمهُ تعالى بالديَّان ورد في الشعر الجاهليّ. وبهِ دُعي

آل عبد المدان بن الديَّان سادة بني الحارث بن كعب النصارى « الذين كانوا يتبارَون في البِيَع وزيّها » (البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧)

(العبد ... المتعبّد ... العِبَاد ... العبادة) هي ايضاً مفردات سبقت الاسلام ودلُّوا بها على مَن يعبد الله من النصارى . قال النابغة :

لو انَّها عرضت لأَشمطَ راهبٍ عبدَ الاله صرورةٍ متعبّدِ ...

وقال اميَّة بن ابي الصلت في الملئكة :

فنعم العبادُ المصطفَوْن لأَمرهِ ومِن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجَّدُ

والعِباد قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانيَّة فدُعوا بالعباد لزهدهم . ويقال لنسَّاك النصارى الأَعابد ايضاً قال ابو دؤاد الايادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال (التاج ٢ : ٤١٠) :

لهنَّ كنار الرأس بالعــلياء تذكيها الأَعابدْ

وكثيرًا ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيَّما الذين يعبدون الاله الحقّ قال اميَّة :

لك الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا دِ انت المليكُ وانت الحكَمْ

وقال ايضاً :

ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعًا كَذِبْ

ومثله العبادة مطلقاً خصُّوها بعزَّتهِ تعالى . قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

وقال ورقة بن نوفل :

لا تعبدُنَّ الهًا غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حَدَدُ

(آمن ... ايمان ... المؤمن) كلّ هذه الالفاظ سبقت ايضاً الاسلام فاتَّخذها النصارى لاعتقادهم ولعلَّهم استعاروها من السريان . وقد وردت في اخبار المتنصّرين في الجاهليَّة كرواية اصحاب الكهف (مجاني الادب ٢ : ٢٣٢ — ٢٤٠) ورواية تنصُّر اهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥) . لا بل ذكرها في القرآن (سورة البقرة ع ٢٨٥) واطلقها على النصارى ايضاً فقال : « والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسُلهِ ... لا نفرّق بين احد من رسلهِ » . ومثلها

في سورة آل عمران: «ومنهم المؤمنون... من اهل الكتاب امَّة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...»

(العيد) هي من الالفاظ الدينيَّة التي استعارها النصارى في الجاهليَّة عن الاراميين وهي بالسريانيَّة «ܥܐܕܐ». وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سرباً من المها اي بقر الوحش:

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مهدَّبِ

اشار الى لبس الراهبات في اعياد النصارى للملاء والانسجة الطويلة الاذيال. ومثلهُ تصريحاً قول العجَّاج في ثور وحش اعتاد الارباضَ كاعتياد النصارى اعيادهم (الالفاظ لابن السكيت ص ٤٤٦):

واعتاد ارباضاً لها آريُّ كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ

(النذر) ومن عادات النصارى ان يوجبوا على نفوسهم نوافل تقويَّة حبًّا بالله. وذلك النذر من السريانيَّة «ܢܕܪܐ». والنذير (נזיר) عند بني اسرائيل المقطوع لخدمة الله. وجاء في قصَّة مريم (سورة آل عمران ع ٣١): «اذ قالت امرأت عمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني». وسبق اميَّة بن الاشكر الكنانيّ (راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠) فقال:

كم من اسيرٍ من قُرَيْش وغيرها تداركَهُ من سعْينا نَذْرُ ناذرِ
فلمَّا قدرْنا انقذتهُ رماحنا فآب الى آلائهِ غيرَ شاكرِ

وورد لاميَّة بن ابي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنهِ اسحاق وفيه ذكر (الاحتساب) وهي ايضاً من الفاظهم الدينيَّة بمعنى الثواب والاجر قال (تاريخ الطبري ١: ٣٠٨):

ولإبراهيمَ المُوَفِّي بنَذْرٍ إحتساباً وحامل الاجذالِ

الى ان قال:

أبُنَيَّ اني نذرتُك للَّـهِ شحيطاً فاصبر فدىً لك حالي

*

ثم للدين مقامات وابنية مخصَّصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمعبد والمصلَّى والمنسك والكعبة.. وكلّ هذه الالفاظ قد سبقت الاسلام واستعملها اهل الجاهليَّة ولاسيَّما النصارى للدلالة على دينهم

(المسجد) قال الزَّجاج في تعريفهِ (لسان العرب ٤ : ١٨٨) :« كلُّ موضع يُتعبَّد فيهِ فهو مسجد ». وقد اطلقوها على هيكل اورشليم كقول الطبري في تاريخهِ (١ : ٧٢٩) عن يوسف خطيب مريم : « تولَّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخهِ عن العذراء مريم (٢ : ١٤٤) انَّ حنَّة امَّها « جاءَت بها الى المسجد فدفعتها الى عبَّاده » . وقد مرَّ ايضاً ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان للمقدسيّ (ص ٧٧) . ولا نشكّ انَّها وردت ايضاً في الشعر القديم . وممَّا رواهُ سيبويهِ عن بعض الشيوخ (تاج العروس ٥ : ٤١٩) قولهُ :

اوصاك ربُّكَ بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا مَعَهْ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومَعَهْ

(قال) الصومعة بيت النصارى . فذكرُ المسجد معها اشارةٌ الى انَّها في معناها شائعة ايضاً عند النصارى . وقد ورد اسم المسجد في القرآن (سورة الاسرى ع ١) دلالةً على « المسجد الاقصى » في القدس الشريف

وما قلناهُ عن المسجد يصحُّ ايضاً في المعبد والمصلَّى اي مقام العبادة ومحلّ الصلاة ومكان النسك فانَّ هذه الالفاظ كلّها يرتقي عهدها الى الزمن السابق للاسلام

(الكَعْبة) اصلها الغرفة المكعَّبة اتَّخذوها الكعبة الحرام في مكَّة . وقد استعملها ايضاً النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهليَّة كما اشرنا اليهِ في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ٦٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلُّوا بها الى كنيسة في نجران قال الاعشى :

وكعبةُ نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بابوابها ... الخ

وكان لكنائسهم حَرَمٌ لا يجوز انتهاك حرمتهِ ان دخلهُ جانٍ أَمن على حياتهِ . راجع في المشرق سنة ١٩١٠ (١٣ : ٧١) مقالة قنصل الشام المسيو ن. جيرون في حِمى كنيسة دمشق قبل الاسلام وعلى مثالهِ كان حَرَم مكَّة

وفي مساجدهم امكنة خاصَّة تُعرف باسمائها كالمِحراب والقبلة

(فالمِحْراب) يراد بها مطلق المسجد . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧): محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلُّون فيها . وكذلك النصارى قد سمُّوا صدر كنائسهم المحراب كما دلَّ بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم . قال

في القرآن في سورة آل عمران عن زكريّا (ع ٣٢) انهُ كان «يدخل المحراب على مريم». وتكرَّرت في الشعر القديم قال الاعشى (لسان العرب ٧ : ١٧):

كدميةٍ صُوِّرَ محرابها بمُذهبٍ ذي مرمرٍ مائرِ

وقال المسيّب بن علس (التاج ١ : ٢٠٧):

او دميةٌ صوِّرَ محرابها او دُرَّةٌ شِيفَتْ الى تاجرِ

وقال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٥٣):

كغزلان رملٍ في محاريب اقوالِ

وقال عدي بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥):

كدُمى العاج في المحارب اوكا م لَبْيض في الروض زهرُهُ مستنيرُ

وقال وضّاح اليمَن:

ربَّةُ محرابٍ اذا جئتُها لم أَلْقَها او ارتقي سلّما

ومثل المحراب القِبْلة وهي وِجْهَة المسجد جاءت في الشعر الجاهليّ روى صاحب اللسان (١٤ : ٣١٤) والجواليقيّ في المعرَّب (ed. Sachau, p. 9) لعبد المطلب قولهُ:

عُذت بما عاذَ بهِ ابراهمُ مُستَقْبِلَ القِبْلَةِ وهو قائمُ

(ومما يلحق بالمساجد المنارة) وهي من النور كالمسرجة وقيل من النار وقد اشتقَّها العلماء من السريانيَّة (ܡܢܘܪܬܐ) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المئذنة. والمنارة سبقت عهد الاسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلَّقتهِ بمعنى المصباح كان الرهبان يوقدونهُ لمناسكهم في قمم الجبال ليلًا قال:

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ مُمسَى راهبٍ متبتّلِ

وكانت المناور تُسْرَج في الكنائس. ثمَّ اتَّخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على الصومعة ومقام الرهبان ومحلّ عبادتهم. وفي الاغاني (٢٠ : ٨٥) وردت المنارة والصومعة بمعنى واحد. وكثيرًا ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيَّدة على شبه الابراج بل اكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشماليّ سوريَّة عدَّة كنائس كانوا شيَّدوا في اعلاها ابراجاً مستديرة او مربَّعة يؤذنون فيها بمناسكهم او يقرعون فيها النواقيس فلمَّا جاء الاسلام اتَّخذوا المناور على مثال الصوامع وتلك البروج.

وقد اثبت العلّامة غوتّيل (Gottheil) من اساتذة كليّة كولومبيا (١ ان المسلمين في اوَّل عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüselfenld. p. 347):« وقد كان رسول الله حين قدموا انمّا يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلّاني في ارشاد الساري (ج ٢ ص ٣) : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادَى لها » ثمّ « ذكروا ان يُعلموا وقت الصلاة بشيءٍ يعرفونهُ فذكروا ان ينوّروا نارًا او يضربوا ناقوسـاً وأُمر بِلال (المؤذّن) ان يشفع الاذان » ثمَّ سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عالٍ . وربُمّا صعد المؤذّن سور المدينة ليدعو الى الصلاة انشد ابن البرّي للفرزدق (لسان العرب ١٦ : ١٥٠) :

وحتى علا في سور كلّ مدينةٍ مناد يُنادي فوقها بأذانِ

واثبت غوتّيل انَّ اقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط لم تُجهَّز لها المناور وانَّ اوَّل ما ورد ذكر المنارة في خلافة معـاوية اقامها زياد بن ابي سفيان في مسجد البصرة . قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ٣٤٧—٣٤٨) : « لمّا استعمل معاوية زيادًا بن ابي سفيان على البصرة زاد في المسجـد زيادةً كثيرة ... وبنى منارتهُ بالحجارة وهو اوّل من عمل المقصورة »

و(المئذنة) محلّ التأذين اي النداء الى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة . قال في تاج العروس (٩ : ١٢١) : « المئذنة موضع الاذان للصلاة او المنارة كما في الصحاح . قال ابو زيد : المِئذنة والمُؤْذنة . وقال اللحيانيّ : هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه . والمؤذّن المنادي للصلاة » . وقد جاءت في الشعر القديم قال عديّ بن زيد النصرانيّ (في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣) :

بتلّ جَحْوَشَ ما يدعو مُؤَذّنهم لأمر رُشْدٍ ولا يحتثُّ انفارا

ومن مرادفات المنارة عندهم ايضاً (المصباح) واصلهُ السراج وقد استعملهُ أَوس بن حجر في شعرهِ بمعنى المشعل الذي يوقدهُ رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال

١) اطلب مقالتهُ في المجلة الاسيويَّة الاميركيَّة (The Origin and History of the Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

يصف سناناً (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٤٩٤ وديوانهُ ص ٢٠ ,ed. Geyer) :

عليهِ كمصباح العَزيزِ يشبُّهُ لِفَصْحٍ ويَحْشُوهُ الذُبالَ المفتَّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليلِ العظيم الشأن من بطارقة الروم لا سيَّما اذا أَلهبه في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان أَنورَ واكثر ضوءًا »

واوَّل الفرائض المقامة في المساجد (الصلاة) . وقد تكرر ذكرها في شعر النصارى قبل عهد الاسلام . قال منظور الاسدي يصف بعيرًا شبَّه مَوْقع ثَفِنَاتهِ اذا برك بموقع كفَّي راهب على الارض اذا صلَّى عند الفجر (الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢) :

كأَنَّ مهواهُ على الكلكلِّ موقعُ كفَّي راهب يُصلّي
في غَبَش الصُّبْح او التجلّي

وقال البعيث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام (التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ : ١١١) :

على ظهر عاديٍّ كأَنَّ أُرومَهُ رجالٌ يتلُّون الصلاةَ قيامُ

(قال) « تلَّى فلان صلاتهُ اي أَتبع الصلاةَ او اتبع المكتوبَةَ التطوُّعَ » . ثم كانوا يصلُّون على الخمر في التقديس قال الاعشى يصف خمرًا :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهر بيتها وان ذُبِحَتْ صلَّى عليها وزمزما
ببابلَ لم تُعصَرْ فسالت سلافةٌ تخالطُ قنديدًا ومسكًا مختَّما

ومثلهُ ما رويناهُ عن ايمن بن خُزَيم في خمر جرجان (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباءَ جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم ينغرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهينمُ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طَبْخها حَبْرُ

والصلاة اكثرما تتمُّ بالسجود والركوع والتسبيح . وكلُّ ذلك قد تكرَّر ذكرهُ عن نصارى العرب في الجاهليَّة . قال المضرّس الاسديّ (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسخالٍ ساجيةِ العيون خواذلٍ بجمادِ لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

(قال) « لينة ماء لبني غاضرة » . وكذلك ورد في شعر لبيد مما قالهُ في الجاهليَّة (اطلب ديوانهُ في طبعة ڤينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبَّهُ عند اكبابهِ بالمصلّي الذي يقضي نذرًا قال :

فبات كأنَّهُ يقضي نُذورًا يلوذُ بغَرْقَدٍ خَضِلٍ وضالِ

(قال الشارح) : ويروى : يُطيفُ بغرقدٍ . وبات اي الثور اي بات مكبًّا كأنَّهُ يصلي صلاةً يقضي بها نذرًا . والغرقد والضال نباتان

قال آخر يصف راهباً (المفضَّليات ed. Lyall, p. 411) :

وأشعثَ عُنوانٌ بهِ من سجودهِ كركبةِ عَنْزٍ من عُنوزِ بني صخرِ

وأُنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانيَّة الساجدة (كتاب سيبويهِ طبعة بولاق ٢ : ٩٢) :

فكلتاهما خرَّت وأَسْجدَ رأسها كما سجدت نصرانةٌ لم تُحَنَّفِ

ومن عادة النصارى ان يحنوا رؤوسهم اكراماً لرؤسائهم قال حُمَيد بن ثور (المخصَّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :

فضولُ ازمّتها أَسجدت سجودَ النصارى لأَربابها

ومن قبيل السجود (الركوع) وهو اخفاض المصلّي لرأسهِ وانكبابهُ لوجههِ . وقد ورد في شعر اميَّة بن ابي الصلت عن الملائكة قولهُ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعاً يردّد آلاء الالهِ ويحمدُ

وكان الراهب لكثرة صلاتهِ يدعى راكعاً . ومثلهُ الحنيف مرادف الراهب كما مرَّ قال في تاج العروس (٥ : ٣٦٣) : « وكانت العرب في الجاهليَّة تسمّي الحنيف راكعاً اذا لم يعبد الاوثان ويقولون ركع الى الله قال الزمخشري : اي اطمأنَّ . قال النابغة الذبيانيّ :

سيبلغ عذرًا او نجاحاً من امرئٍ الى ربّهِ ربِّ البريَّة راكعِ

ومن آداب الصلاة (التسبيح) اي شكرُ الله وتقديس اسمهِ وتعظيم آلائهِ جاءت في الشعر الجاهليّ قال اميَّة (تاج العروس ٢ : ١٥٧) :

سبحانَهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ وقبلَنا سبَّح الجوديُّ والجَمَدُ

وقال الاعشى (لسان العرب ٣ : ٢١٠) :

وسَبِّحْ على حينِ العشيَّات والضُّحَى ولا تعبد الشيطان واللهَ فاعبدا

وروي بيت عمرو بن عبد الحقّ للاخطل على هذه الصورة (ياقوت ٤ : ٧٨١) :

وما سَبَّح الرهبانُ في كلّ بيعة ابيل الابيلين المسيحُ بن مريما

ومن الآداب الدينيَّة (الصوم). والنصارى قد اشتهروا بهِ. قال النمر بن تولب (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) :

صدّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبيْلَ الفِصح صوَّامُ

وقال اميَّة بن ابي الصلت عن الابرار في النعيم :

اذا بلغوا التي أجرَوا اليها تقبَّلهُمْ وحلّلَ مَن يصومُ

ومن الفرائض الدينيَّة (الحجّ) ويراد بهِ اصطلاحاً قصدُ مكَّة للنسك لكنَّ اللفظة في الاصل يراد بهِ مُطلق النسك. وهي مشتقَّة من العبرانيَّة חג وتكرَّرت في الاسفار المقدَّسة بمعنى العيد والاحتشاد. وقد استعملها المقريزيّ في الخطط (ج ٢ ص ٤٧٤) لليهود. قال في ذكر اعيادهم في ايار : « وفيهِ عيد الموقف وهو حجُّ الاسابيع ... ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة ». وكذلك استعملها الكتبة المسلمون لغير قصد مكَّة قال الادريسي في وصف المغرب (ed. Dozy et de Goeje, p. ٦٤) عن قبر ابن تومرت انَّ المصامدة جعلوهُ « حجًّا يقصدون اليهِ من جميع بلادهم ». ومثلهم نصارى العرب فانَّهم استعاروا اللفظة من السريانيَّة وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كلّ الحفلات الدينيَّة فاتّخذوها بهذا المعنى وبمعنى زيارة الامكنة المقدَّسة. فقد وردت في ذكرهم للكعبة اليمنيَّة اي كنيسة نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسيّ في كتابهِ ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة ... تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجُّ اليها عند فصحهم ». وقال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ : ٧٠٣) ان « بني عبد المدان بنوهُ مربَّعاً ... فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجُّ الكعبة. ويحجُّهُ خثعم قاطبةً ... »

٤ الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ

ليس الدين طبيعيًّا فقط يدرك حقائقَهُ العقلُ البشري ويقرّرها بالادلَّة العقليَّة. لكنَّهُ وضعيّ ايضاً وهو الذي اوحى بهِ الله الى عبادهِ وارشدهم اليهِ على يد بعض اصفيائهِ المعروفين بالانبياء كموسى كليمهِ تعالى ولاسيما السيد المسيح كلمة الله فطورًا اوحى بمناسك وفرائض معلومة كالختان والذبائح وطورًا انبأ باسرار تفوق ادراك البشر كاسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الالهيَّة. ولا يخفى انَّ العرب في الجاهليَّة لم

يعرفوا وحياً ولم يدينوا بدين وضعي بل افسدوا الدين الطبيعي ولحقوا بالشرك وعبادة الاصنام كما تدلّ عليهِ الآثار المتعدّدة المكتشفة في عهدنا

على انَّ جهلهم بالوحي انَّما سبق عهد المسيح وقد بيَّنا في القسم الاوَّل من مقالاتنا نفوذ النصرانيَّة بين العرب. ولنا في لغتهم العربيَّة قبل الاسلام ما يثبت هذا القول. وذلك في استعمالهم للالفاظ الدالَّة على الوحي وكتبهِ وائمتهِ كما سترى

(الوَحي) هي اوَّل لفظة تدلّ على قولنا. فانَّها وردت في الشعر الجاهلي قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمتهُ الى انبيائهِ. قال ورقة بن نوفل الراهب النصراني:

وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهما من الله وَحيٌ يشرحُ الصَدْرَ مُنْزَلُ

فبقولهِ «الوحي المُنزَل» بيَّن كونهُ يريد ديناً وضعيًّا بلَّغ بهِ الله انبياءهُ. ومثلهُ قول اميَّة بن ابي الصلت في الملائكة واصاختهم لوحي الله:

وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوَحي رُكَّدُ
امينٌ لوحي القدسِ جبريلُ فيهمِ وميكالُ ذو الروحِ القويّ المسدّدُ

وقد انتقلوا من معنى اللفظة الاصليّ الى معناها المجازيّ فجعلوا الاسفار الالهيَّة وحياً والمكتوب فيها وحياً قال جرير بهذا المعنى (معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦):

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأَنْعَمِ كالوَحي في ورق الزَّبورِ المُعْجَمِ

واذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور اشاروا الى ذلك في اشعارهم. قال زهير يشبّه آثار الدار بكتابة الوحي (شعراء النصرانيَّة ص ٥٧٥):

«لمن طَلَلٌ كالوَحْي عافٍ منازِلُهْ»

وعلى مثالهِ قال حسَّان بن ثابت (سيرة الرسول ص٤٥٤ ed. Wüstenfeld)

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطّ الوَحْي في الورق القشيبِ

وقد جاءت على لفظ الجمع في معلَّقة لبيد قال يشبّه مسايل جبل ريَّان ببقاء كتابة الوحي في الحجارة:

فمَدَافعُ الريَّانِ عُرّيَ رسمُها خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلاَمُها

وقد دعوا كتب الوحي بالفاظ اخرى تدلّ على احتوائها لكلام الله. فمنها (السِفر) واصلها من العبرانيَّة ספר والسريانيَّة ܣܦܪܐ ومعناها الكتاب وقد

خصُّوا بها الكتب الالهيَّة . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٣) : « السِفر الكتاب من التوراة والانجيل وما اشبهها » . وقد وردت في القران في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاتهِ . وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) دخول الحُسين بن ضحَّاك الى احد اديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سِفرًا من اسفارهم » اي كتبهم المقدَّسة وكانوا يدعون كلًّا من تلك الاسفار (بكتاب الله) . قال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيَّة) :

ناشدتَنا بكتاب الله حُرْمَتَنَا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا ايضاً كتب الوحي (مجلَّة) وعلى هذا رُوي بيت النابغة في بني غسَّان :

مجلَّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩١) : « المجلّة الصحيفة يُكتَب فيها شيءٌ من الحكمة . واصل الكلمة من العبرانيَّة מגלה اي الوحي والتبيان . وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٥ .ed. Wüstenfeld) حيث ذكر « مجلّة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « ألقى الينا مجالّ اي صُفُحاً »

وربَّما دعوا كتاب الوحي (بالصَّحيفة) جمعها صحائف وصُحُف واصلها من الحميريَّة والحبشيَّة بمعنى الكتاب والرسالة مطلقاً . قال لقيط الاياديّ في اوَّل قصيدةٍ يحذّر فيها قومهُ من كسرى (الاغاني ٢٠ : ٢٤) :

كتابٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ومثلها « صُحُف موسى وابراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة الى موسى وابراهيم

ومثلها (المُصْحَف) بتثليث الميم اي الكتاب والمسلمون يخصُّونها بالقرآن . وقد سبق شعراء الجاهليّة فنطقوا بها واطلقوها على اسفار النصارى قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص١٦١) وورد في قولهِ اسم (الآية) اشارة الى مضامين تلك الاسفار :

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ وعِرفانِ ورسمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ منذ ازمانِ
أَتَتْ حِجَجٌ بعدي عليهِ فأَصبحَتْ كخَطِّ زَبُورٍ في مَصَاحفِ رُهْبانِ

واصل الكلمة من الحبشية መጽሐፍ (مَصْحَف) من ጸሐፈ (صَحَفَ) اي كَتَبَ

وقد استعملوا لفظة (القرآن) ولم يتَّفقوا على اصلها فمنهم مَن همزها وجعلها مصدرًا لقرأَ بمعنى القراءة . ومنهم من رجَّح عدم همزها فقال قُرَان واستشهدوا ببيت حسَّان بن ثابت في هجوهِ لبني جمح (سيرة الرسول ص ٥٢٦) قال (١ :

جَحَدوا القُرَانَ وكذَّبوا بمحمَّدٍ والله يُظهِر دينَ كلّ رسولِ

وعليهِ تكون القُران من قَرَن اي جمعَ بمعنى مجموع الآيات . وعلى رأينا انَّ الهمز افضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لاميَّة كعب بن زهير قال :

مَهْلًا هداك الذي اعطاك نافلةَ م القُرْآنِ فيهِ مواعيظٌ وتفصيلُ

وعندنا انَّ اصل الكلمة من السريانيَّة ܩܶܪܝܳܢܳܐ وهي مصدر ܩܪܳܐ ومعناها القراءة وقطعة من الكتاب لا سيما الكتاب المقدَّس ويقال بهذا المعنى « رأس القِرْيان » (ܪܺܫ ܩܶܪܝܳܢܳܐ)

وقد استعملوا (الفُرْقان) بمعنى القُرآن قالوا دُعي بذلك لانهُ يفرق الحقّ من الباطل . وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال: « آتَيْنا موسى الكتاب والفُرْقان » (راجع تاج العروس في مادَّة فرق) . واصل هذه الكلمة على ما نرى من السريانيَّة وهي ܦܽܘܪܩܳܢܳܐ بمعنى النجاة والخلاص مع الاشارة الى الفصل والتفريق . وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الانفال حيث قال: « إنْ تتَّقوا الله يجعَلْ لكم فُرْقانًا » فشرحهُ ابن سعيد بقولهِ : « الفرقان النصر على الاعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفُرْقان » بيوم النصر

ثمَّ دعوا فصول القرآن (سُورة) فهمزها بعضهم واهمل هَمْزَها غيرهم فقالوا هي البقيَّة من الشيء والقطعة منهُ . وقال غيرهم هي من السُورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة يمدح النعمان :

أَلَم ترَ انَّ الله أَعطاك سُورَةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبذَبُ

والمرَّجح ما ارتآهُ في ذلك العلَّامة نولدك (Gesch. d. Qorans, p. 24) انَّ اصلها من العبرانيَّة שורה معناها المِدْماك والساف من البناء ومجازًا هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمَّ انَّ وسيط الوحي بين الله والبشر (النبيّ) شرحهُ في تاج العروس (١ : ١٣٣) بقولهِ: «النبيُّ على فَعيل الطريق الواضح يُهْمَز ولا يُهْمَز .. ومنهُ أُخذ الرسول لانهُ الطريق المُوضح المُوصل الى الله تعالى» وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد واللفظة من العبرانيَّة נביא والسريانيَّة ܢܒܝܐ اي الناظر والرائي سلفاً لما يوحي اليهِ الله من الامور المستقبلة (١ . وقد جاءَت في الشعر الجاهليّ قال اميَّة بن ابي الصلت عن مريم العذراء كتاب البدء للمقدسيّ (٣:١٢٣):

فأَدْرَكها من ربّها ثُمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مكلِّمِ

وقال آخر:

كلّ اهل السماء يدعو عليكم من نبيٍّ وملأَك ورسولِ

ومثل النبيّ (الرَّسُول) اي المرسل من الله الى الناس قال اميَّة في بعثة الله لموسى الكليم (سيرة الرسول لابن هشام ص١٤٥):

وأنت الذي من فضلِ مَنٍّ (٢ ورَحمةٍ بَعَثْتَ الى موسى رسولًا مناديَا

وقال ايضاً عن لسان الملاك جبرئيل الى مريم يبشرها بالمسيح (كتاب البدء ٣: ١٢٣):

أَنيبي وأَعطِي ما سُئِلتِ فانّني رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بأبْنَمِ (٣

وقد استعملوا بمعنى الرسول (النَّذير) قال اميَّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) عن لسان ابليس:

يقول خزَّانُها ما كان عندكمُ أَلم يكن جاءَكم من ربّكم نُذُرُ

*

واخصّ ما عرفهُ العرب في الجاهليَّة من الكتب المنزلة (التوراة والزبور والانجيل). فقالوا في التوراة (تورية) ايضاً وهي كتب موسى الخمسة اي التكوين والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع . ثمَّ اطلقوا على اسفار العهد القديم

١) راجع كتاب نولدك (Noeldeke: *Gesch. d. Qorans*, p. 25-27)
٢) وفي خزانة الادب (١ : ١١٩): من فضل سَيْبِ
٣) اي إرْضي يا مريم بما يطلب الله منك فابشّرك بمولدِ ابنٍ اي المسيح. وأبْنم كابن والميم للتفخيم

اجمالًا . ومن غريب ما قالهُ بعض اللغويين في اصل هذه الكلمة انّها مَصْدر ورَى الزنادَ توريةً اذا اخرج نارهُ وانَّ التوراة لغة طيٍّ في التورية وكلاهما بمعنى الاضاءة . وفي شرح المفضليَّات (ص٤٤٧ ed. Lyall) انَّ توراة اصلها وَوْراة بقلب الواو تاء . واصحُّ من هذا ما رواهُ صاحب التاج عن الزجَّاج حيث قال : « هو لفظ غير عربيّ بل هو عبرانيّ اتّفاقًا » وهو في العبرانيَّة תורה ومعناها التعليم والحكمة . وقد وردت الكلمة في الشعر القديم . قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانه ص ١٢) :

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دِراسُ التَّوْراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا (موسى) صاحب التوراة كما رأيت في باب (الرَّسول) . وقال السموءل (ص١٢) :

وانفلاقُ الأَمواج طورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ المملَّكُ الطالوتُ

وقال المضرّس بن ربعيّ (ياقوت ٣ : ٨٧) من ابيات :

فلمَّا لحقناهم قرأْنا عليهمُ تحيَّةَ موسى ربَّهُ اذ يحاوِرُهْ

وقد اكثر العرب من ذكر (الزَّبُور) . قال المرقّش الاكبر (لسان العرب ١٦ : ٣) :

وكذاكَ لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزبو ر الاوَّليَّات القدائمْ

وقال امرؤُ القيس (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥) :

لمن طَلَلٌ أبصرتُهُ فشجاني كخطّ زَبُورٍ في عسيبٍ يماني

قال ابن الكلبيّ في كتاب انساب العرب (Ms de Paris, ff. 160) : « انَّ امرءَ القيس اوَّل من شبَّه الطَّلَل بوَحْيِ الزَّبور في عسيب يماني . وقد مرَّ بك قوله :

أَتَتْ حججٌ بعدي عليها فاصبحَتْ كخطّ زَبُورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وجمعوا الزَّبُور (الزُّبُر) قال المرَّار بن منقذ في المفضَّليات يصف دارًا :

وترى منها رسومًا قد عَلَتْ مثل خطِّ اللامِ في وَحْي الزُّبُرْ

ويشبههُ قول الآخر :

او زُبُرُ حِمْيَر بينها احبارُها بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وقال كذلك اميَّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) في يوم الدين :

وأُبرزوا بصعيدٍ مستوٍ جَرَزٍ (١ وأُنزل العرشُ والميزان والزُّبُرُ

١) الجَرَز الارض المجدبة . وفي الاصل : حرَز

اما اصل الكلمة فقد اشتقّوهُ من قولهم زَبرَ الكتابَ زَبرًا كتبهُ. قال صاحب التاج (في مادّة زَبرَ): «قال الازهريّ: واعرفهُ النقش في الحجارة وقال بعضهم: زبرتُ الكتاب اذا اتقنتَ كتابتهُ» ۰ وجعلوا الذِّبر كالزَّبر كما قال صخر الغيّ:

أبلغ كبيرًا عنّي مخلّفةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبرٌ لمقترئٍ يَعرفهُ البُهْمُ ومن حَشَدُوا

ورُوي في حديث لابن الكلبيّ (ياقوت: معجم البلدان ٤: ٩١) دَبرَ بالدال قال في وصف صَنم ودّ: «قد دُبر عليهِ حلّتان اي نُقش». (قلنا) والصواب عندنا أن الزَّبر من الزَّمر والزَّبور كالزمور وانمّا أُبدلت الميم باءً كما جرى في لفظة «زمن» بالعربية وهي في السريانيَّة ܙܒܢܐ بالباء فكذلك الزَّبور او المزبور من العبرانيَّة מזמור وفي السريانيَّة ܙܡܪܐ و ܡܙܡܘܪܐ وهو التسبيح

ومثل التوراة والزبور (الإنجيل) اخذها العرب من اليونان εὐαγγέλιον بوساطة السريانيَّة ܐܘܢܓܠܝܘܢ او اخذوها توًّا من الحبشيّة ወንጌል على هذه الصورة. وعلى كلّ حال انَّ اللفظة سبقت الاسلام. قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ. طبعة مصر ٤: ٦٦ و Ms de Vienne. ff. 213r):

وأوتيا المُلكَ والإنجيلَ نقرأُهُ نشفي بحكمتهِ أحلامَنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلَنا فوق البريَّة اربابًا كما فعلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم (ص ٣٦١) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتًا هجا فيهِ راهبًا هجر الرهبانيَّة:

هجر الانجيلَ حبًّا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركَنْ

وقال في محلّ آخر عن غلام يتغنّى بتلاوة الانجيل:

اذا رجّع الانجيلَ واهتزَّ مائدًا تذكّرَ محزونُ الفؤادِ غريبُ

والمرجّح انَّ النابغة اراد الانجيل في ذكرهِ لمجلّة غسّان لمّا قال:

مجلّتهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وكذلك من المحتمل انَّ اميّة بن ابي الصّلت اراد الانجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرقّ ومعناها السِّفر (راجع الاضداد لابن الانباري ص ٨١ ولسان العرب ٩: ٢٥٨) وهو يمدح بني اياد قومهُ النصارى:

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

وكما ذكروا موسى وداؤد صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيّد المسيح مع ذكرهم لانجيلهِ الشريف وهم يدعونهُ (عيسى) . روى ابن العربيّ في محاضرة الابرار (٢ : ٥٠) عن لسان قسّ بن ساعدة اسقف نجران : « الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكترث . . . » . وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من اسرار الاشتقاق الغريبة . قال في التاج (٤ : ٢٠٠) : « قال الجوهري عيسى عبراني او سريانيّ . قال الليث : هو معدول عن ايشوع كذا يقول اهل السريانيَّة » على انَّ عدولهم هذا من باب الغرائب . ولا نجد عَلَماً قد تبدَّل في العربيَّة على هذا المنوال . وعندنا انَّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوهُ في العرب بغضاً بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى او عيسو وهو اخو يعقوب الذي نفاهُ الله من شعبهِ وكان هو وقومهُ الادوميُّون يُعدُّون رجساً في بني اسرائيل فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينهُ الى اوَّلهِ فجعلوا الرأس ذنباً وزعم بعضهم انَّ اصل عيسى « عِوَسَى » قلبوا الواو ياء فصارت « عِيسَى . قال اميَّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريمَ آيةٌ منبّئةٌ بالعَبْد ١) عيسى بن مريمِ

وللسيّد يسوع اسمٌ آخر اشيع منهُ عند العرب وهو « المسيح » من العبرانيَّة משיח والسريانيَّة ܡܫܝܚܐ وهما كالعربيَّة مسيح واليونانيَّة Χριστός اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون باحبار بني اسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك . روى في تاج العروس عن شمّر « انَّ المسيح دُعي بذلك لبركتهِ اي لانهُ مُسح بالبركة . وقال الراغب : سُمّي عيسى بالمسيح لانهُ مُسِحَت عنهُ القوَّة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الاخلاق الذميمة . . . وفي بعض الاقاويل المَسِيح من السَّيْح لانهُ كان يسيح في البراري ويذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناهُ انهُ من المسح . وقد تكرَّر اسم المسيح في الشعر القديم . قال عمرو بن عبد الحقّ ويروى لغيرهِ (اطلب المعاجم في مادَّة ابل) :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكل ابيل الايبلين المسيح بن مَرْيَما

١) في الاصل : والعبد ونظنُّها تصحيفاً . وقد دعا المسيح عبدًا لله من حيث ناسوتهِ

ورُوي للسموءل (راجع ديوانهُ صفحة ٣٢) قولهُ :

وفي آخر الايَّام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

وقال اميَّة يذكر مجيء المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :

ايَّام يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وذكر آخر محاربة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصارهُ عليهِ (راجع اللسان في مادَّة مَسَح ٣ : ٤٣٠) :

إذِ المسيحُ يقتلُ المسيحا

وكانوا يسمُّون المسيح (بالابيل) ومعناهُ الناسك والزاهد بالدنيا ودعوهُ بابيل الابيلين لانهُ كان بزهدهِ قدوة الرهبان كما مرَّ بك

وقد عظَّموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التمام . قال في اللسان (في مادَّة تمَّ ١٤ : ٣٣٤) : « قال عمرو بن شميل : ليل التمام اطول ما يكون من الليل .. قال الاصمعيّ . ويطول ليل التمام حتى تطلع فيهِ النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى ... والنصارى تعظِّمها وتقوم فيها »

ولم يذكروا فقط السيّد المسيح بل ذكروا امَّهُ مريم العذراء كما رأيت . وذكروا القديس يوحنا الصابغ المتقدّم امام وجههِ وذكروا تلامذتهُ . ومما رووا عن (مريم العذراء) بتوليَّتها وبشارة الملاك اليها بابنها الالهيّ وحبلها الطاهر بابنها من الروح القدس . ورد ذلك في القرآن وسبقهُ اميَّة بن ابي الصلت فقال وفي قولهِ نظرٌ لما ادخلهُ فيهِ من المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونيَّة (راجع كتاب البدء للمقدسي ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريمِ
انابتْ لوجه الله ثمَّ تبتَّلت فسبَّح عنها (١ لومةَ المتلوّمِ
فلا هي همَّت بالنكاح ولا دنَتْ الى بشر منها بفرجٍ ولا فمِ
ولطَّت حجابَ البَيْت من دون أهْلها تغيَّبُ عنهم في صحاريّ رِمْرِمِ (٢

---

١) سبَّح عنها اي أبعد عنها ونزَّهها

٢) يقال لطَّ البابَ اذا اغلَقهُ . ورِمْرِم علَم مكان . والرِمرم ايضاً الحشيشة المشوكة المعروفة بالرَّمرام فنسب الصحاريّ اليها . يريد الشاعر ان مريم خرجت الى الصحراء وهناك بشَّرها الملاك بمولد ابنها وهو قول استعارهُ الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

يحارُ بها الساري اذا جنَّ ليلُهُ وليس وان كان النهارُ بمُعلَمِ
تدلَّى عليها بعد ما نام اهلُها رسولٌ فلم يَحْصَر ولم يَترَمرَمِ (١
فقال : أَلَا تَجزَعي وتكذّبي (٢ ملائكةً من ربِّ عادٍ وجُرهُمِ
أَنيبي وأَعطي ما سُئِلتِ فإنّني رسولٌ من الرَّحمان يأتيكِ بابنمِ (٣
فقالت لهُ أنىَّ يكونُ ولم أَكُنْ بغيًّا ولا حُبلَى ولا ذاتِ قيِّمِ (٤
أَأَحرَجُ بالرَّحمان ان كُنتَ مؤمنًا كلامي فاقعُدْ ما بدا لكَ او قمِ (٥
فسبَّح ثمَّ اعترَّها (٦ فالتقت بهِ غلامًا سويَّ الخَلقِ ليس بتوأَمِ
بنفختهِ في الصدر من جيب دِرْعها وما يصرمِ الرحمنُ مِلْ أَمرٍ يُصرَّمِ (٧
فلمَّا أَتمَّتهُ وجاءَت لوضعهِ فآوى لهم من لومهم والتندُّمِ (٨
وقال لها مَنْ حَولَها : جئتِ مُنكَرًا فحقٌّ بأَنْ تُلحَيْ عليهِ وتُرجَمي (٩
فأَدركها من ربّها ثمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مكلّمِ
فقال لها: انيّ من الله آيةٌ وعلّمني واللهُ خيرُ معلّمِ
وأُرسِلتُ لم أُرسَل غويًّا ولم اكن شقيًّا ولم أُبعَثْ بفحشٍ ومأثمِ

امَّا (يوحنَّا المعمدان) السابق امام وجه المسيح فقد شاع ذكرهُ بين عرب الجاهليَّة وقد رأيت انَّ احدى الكتابتين العربيَّتين السابقتين لعهد الاسلام كانت على باب كنيسة في حوران مشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا (راجع الصفحة ٧١ مع رسم هذه الكتابة في الجدول ٦٨ — ٦٩) . وقد ذكر القرآن في سورة عمران

١) حَصِر قصر عن الكلام . وتَرَمرَم حرّك شفتَيه بالكلام . يريد انَّ كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر
٢) اي لا تخيبي ظنَّهم فيكِ
٣) أَعطي ما سُئِلتِ اي ارضَيْ بما يطلبهُ منكِ الربّ . وابنم تفخيم ابن
٤) ذات قيّم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء (لوقا ١ : ٥) : «وكيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا »
٥) حرج بالرحمان اي كفر والاصل مصحّف بأَخرجُ . والمعنى كيف آثمُ امام الرحمن . فان صدّقتَ قولي فبهِ والّا فافعل ما بدا لك من اقامة او ذهاب
٦) اعترَّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل انَّ الروح القدس ظلّلها فحبلت بنعمتهِ وقوّتهِ بابنها المسيح دون زرع بشريّ . فالنفخة في صدرها مجاز
٧) صرَمهُ بتّهُ وفصلهُ . وقولهُ «مِلْ أَمرٍ» اي من الامر
٨) في البيت تصحيف . والمعنى انَّ اليهود لمَّا رأوا ابنها شكّوا في برارتها . وهو زعمُ من مزاعم اناجيل الزور ومثلهُ قولهُ عن المسيح انهُ تكلم في المهد ليبرّر والدتهُ الطاهرة ورد ذلك في انجيل الطفوليَّة المصنوع
٩) لحاهَ بكّتهُ وعابهُ وفي الاصل : بأَن تُلجَى وهو تصحيف

(ع ٣٣ و ٣٤) ما روى عنهُ القديس لوقا في الانجيل من بشارة الملاك لابيهِ زكريّا ومن مولدهِ العجيب ووصفهُ هناك بكونهِ « مصدّقاً بكلمة من الله وسيّدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين » فاطرأ ايمانهُ ورفعة مقامهِ وعفّتهُ ونبوّتهُ

والعرب يدعون يوحنّا المعمدان باسم (يحيى) وهو ايضاً مع اسم عيسى احد ألغاز التبديل التي لم يذكر اللغويّون سببها . ومن المعلوم انَّ يوحنّا اسم عبراني مركّب من كلمتين « يوحنّن » (יוחנן) او « يهوحنن » (יהוחנן) اي حنَّ اللهُ وترحّم ومنهُ السريانيّة ܝܘܚܢܢ فكيف اذن قُلب بيحيا . على رأينا انَّ الاسم قد تصحّف في العربيّة وذلك انهُ كان في الاصل « يُحنّا » فكتبوهُ قبل وضع النقط والحركات « يحنا » فقرأوهُ « يَحيَا او يحيى » . ولا نرى وجهاً آخر لتعليل هذا التغيير الذي حدث كما نظنّ قبل الاسلام فجرى عليهِ المسلمون وهم يدعونهُ بيحيى بن زكريّا النبيّ او يحيى الحَصُور لعفافهِ عن النساء . وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

(والحواريّون) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا ايضاً في اصل هذه اللفظة فقال البعض انَّ معناها القصّار لانَّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند لهُ اذ لم يُعرَف احد من الرسل بمزاولة القصارة . وقال غيرهم هو من الحَوَر اي شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها قالوا دُعوا بذلك لصفاء نيّاتهم وقيل بل لأنّهم كانوا صفوة الانبياء (راجع لسان العرب في مادَّة حور) . وان صحّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانيّة ܚܘܪܐ اولى ومعناها الابيض والصافي البياض والنقيّ . والصواب ان اللفظة حبشيّة ሐዋርያ (حَوَاري) ومعناها الرسول . وما لا ريب فيهِ انَّ اللفظة سبقت الاسلام . وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيّات (Ahlwardt. ص ٧٥) في بيت للضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ يشير الى رغبة رسل المسيح في الموت لاجل سيّدهم استشهادًا :

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي الى الله زُلفَى أن يكُرَّ فيُقتَلَا (١

وقال السموءَل يذكر الحواريّ (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢) :

وسُلَيمٰن والحواريّ يحيى ومتّى يوسفَ كأنّيّ وليتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظن يوحنّا الحبيب وكذلك ذكر متّى الرسول فخفّف .

---

١) ويروى : فيُقبَلا

أمّا « يوسف » فلعلّهُ يوسف المعروف باخي الربّ (متّى ١٣ : ٥٥) او يكون يوسف اسم ابي متى كأنّهُ اراد مُتَى بن يوسف

ومؤنّث الحواريّين (الحَوَاريَّات) قالوا هنَّ نساء الأَمصار لبياضهنَّ. قال ابو جلدة وهو مسهر بن النعمان اليشكريّ (لسان العرب ٥ : ٢٩٩):

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكِينَّا الّا الكلابُ النوابحُ
بكينَ الينا خيفةً ان تُبيحها رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ

(قال): « جعل اهل الشام نصارى لانها تلي الرومِ وهي بلادها »

٥ مفردات نصارى العرب الدالَّة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيَّة البلاد نظامهم الدينيّ ورُتبهم من رؤساء ومرؤوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين . ويمتاز بينهم العبَّاد والمنقطعون لخدمة الله في الرهبانيَّة . والدليل على ذلك الفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليَّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأَبيل) وقد اتّخذوهُ للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظِّمون الأَبيل فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله » . وهذه اللفظة سريانيَّة ܐܒܝܠܐ (من فعل ܐܒܠ اي ناح وبكى على خطاياهُ) ومعناها في السريانيَّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتَّخذون عادة رؤساءهم من الرهبان المتبتّلين

ومن الفاظهم الخاصَّة برئيس النصرانيَّة « البَطْرَك » « وَالبِطْرَك » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدَّم النصارى . وقال : البطرك هو البِطْريق ومنهم من جعل البطريق مقدَّم جيش الروم » والصواب انَّ البطرك كلمة يونانيَّة (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء امَّا البطريق فلفظة لاتينيَّة (Patricius) . وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا (لسان العرب ٧٢ : ٢٨١) :

يعلو الظواهرَ فردًا لا أليفَ لهُ مَشيَ البِطرْكِ عليهِ رَبْطُ كتّانِ

وقال اميّة بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بِطْرِيقٍ لِبِطْـريقٍ نقيّ الوجهِ واضِحْ

وكذلك انشد ابن برّيّ (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تنكروني انّ قومي اعزّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن الفاظهم (الجاثَليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيَّة ومعناها المسكوني (Καθολικός) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمَّ المطران تحت يدهِ ثمَّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمَّ القسيس ثمَّ الشمَّاس ». وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

بِمارةِ مريمٍ وبدير زكّى ومَرْ توما ودير الجاثليقِ

امَّا (المِطران) فأصلها على هذه الصورة من السريانيَّة ܡܝܛܪܢ او ܡܝܛܪܢܐ والسريان اختصروها من ܡܝܛܪܘܦܘܠܝܛܐ اليونانيَّة (μετροπολίτης) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسقُف) زعم ابن السكيت انهُ مشتقّ من السَّقَف اي طول في انحناء وهو تأويل غريب. والصواب انهُ مشتق من اليونانيَّة (ἐπίσκοπος) بواسطة السريانيَّة ܐܦܝܣܩܘܦܐ. وقد وردت اللفظة في الكلام القديم. روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمَّد الى اهل نجران : « لا يغيَّر أُسقف عن اسقفيَّتهِ ولا راهب عن رهبانيَّتهِ ولا واقف عن وقفانيَّتهِ ». وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحَّاك يصف دير العُمر (ص ٧٦٩) :

عجَّت اساقفها في بيت مذبحها وعجَّ رهبانها في عرصة الدارِ

ومن الفاظهم الدالَّة على رؤساء النصارى (الحَبر) ويقال الحِبر واصلها العالِم ثمّ خصُّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضاً لغيرهم . قال ايمن بن خُرَيم يذكر خمر التقديس (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُهَينِم نارَها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبر حِمْيَرَ بينها احبارُها بالحميرَّية في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتَهَناً في القُوسِ أَفْتَنَنِي منها الكلامُ وربّانيُّ أحبارِ

قال ابن هشام: القُوس صومعة الراهب والربّاني مشتقٌ من الربّ اي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى « السيّد العالم » . وجاءَت الحبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنهُ كَعْب الأَحبار . ويشبههُ قول الشمَّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطّ عِبْرَانيَّةً بيمينهِ بتَيْماء حبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم ايضاً (بالأَرْباب) . قال حُمَيْد بن ثور (المخصَّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيرًا يطأطئ برأسهِ ليُرْكَب :

فُضولَ ازمَّتها أَسجدتْ سجودَ النصارى لأَربابها

وروى في التاج (٢ : ٣٧١) : « لأَحبارها »

ومن الالفاظ المختصَّة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧): « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيه ولا يقضون امرًا دونهُ . وبالمعنَيَيْن فُسِّر حديث حذيفة في الامانة : ان كان يهوديًا او نصرانيًا ليردَّنَّهُ على ساعيهِ »

وممَّا ذكرهُ اللغويُّون (العَسَطُوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢): « هو رأس النصارى واللفظة روميَّة » لم يمكنَّا ردُّها الى اصلها ولعلَّها مصحَّفة

ومنها (القسّ) شرحهُ اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيَّة ܩܫܐ اي شيخ وتأتي على وزن فَعيل ܩܫܝܫܐ ومنها القسّيس في العربيَّة . قال جرير في القسّ (المعرَّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَّحن تُوماءَ والناقوسُ يقرَعُهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تَجِفُ

قالوا تُوماء من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥): ثرماء . قال ثَرْماء ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣): « صبَّحن تَيماء » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضتْ لأَيْبلِيّ قسٍّ أشْعَثَ في هيكلهِ مُندسِّ حنَّ اليها كحنين الطَّسِّ

ومنهُ اسم قسّ بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران. ومما ورد في القسّيس قول عبدالله بن زبير لحجّار بن ابجر العجليّ (الاغـاني ١٣ : ٤٧) يقرّعهُ في نصرانيّتهِ :

وعندكَ قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النَّحلِ

وجمعوهُ على قَساقسة . قال اميَّة بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧) :

لو كان مُنفلتٌ كانت قَسَاقِسةٌ يحييهم الله في ايديهم الزُّبُرُ

والاسم من القس (القِسّيسيَّة والقُسُوسة) وفي الحديث «لا يغيَّر قسّيس من قسّيسيّتهِ» واللفظة مشتقَّة من السريانيَّة ܩܫܝܫܐ وبنى منها العرب فعل قسَّس

ودون القسّ (الشمَّاس) عرَّفهُ ابن سِيده في المخصَّص بقولهِ (١٣ : ١٠٠) : «من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة» . واللفظة سريانيَّة ܫܡܫܐ اي خادم البيعة. وقد تسمَّى بعض العرب بالشماس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي حماسة ابي تمَّام (ص ٢٥٥) . وجمعها خَلَفُ بن خليفة (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شماميس فقال :

كأنَّا شماميسُ في بيعةٍ تُقسِّسُ في بعض عِيدانها

وجمعها البحتري على شمامِسُ حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) :

بين شمامسٍ وقسوسِ

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والوافه والواهف . (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقَّة من وَقَف النصرانيُّ وقِيفَى اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٦ : ٢٦٩) الحديث في كتاب محمَّد لاهل نجران «ان لا يُغيَّر واقفٌ من وِقّيفاهُ» (قال) : «الواقف خادم البيعة لانهُ وقف نفسهُ على خدمتها». وروى ابن سعد (ed. Wellhausen. ٧٧) «من وقفانيَّتهِ». و(الوافه) قد عرَّفوهُ «بقيِّم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة اهل الجزيرة» (التاج ٩ : ٤٢١). وروى الحديث السابق : «لا يغيَّر وافه من وَفهيَّتهِ». والوفاهة كالوفهيَّة والواقه بالقاف كالوافه وروى الحديث ايضاً : «ولا واقه من وقاهيَّتهِ». ومثلهما (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : «الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيّمها كالوافه وعملُها الوَهافة بالكسر والفتح والوُهفيّة والهَفيّة. وقد وَهفَ يَهِفُ وَهْفاً وَوهافةً. وقال ابن دريد في المخصَّص (١٣ : ١٠٠) : « الوافه مقلوب عن الواهف »

ومثل الوافه (السّاعور) شرحها في التاج (٣: ٣٦٨): « مقدَّم النصارى في معرفة علم الطبّ وادواتهِ واصلهُ بالسريانيَّة ساعورا ومعناهُ متفقِّد المرضى». والساعور (ܣܥܘܪܐ) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدّبر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدَّد عند العرب من المفردات النصرانيَّة الالفاظ الدالَّة على الرُّهبان ومساكنهم. فمنها (الأَبيل) التي مرَّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب. وقد ذكرنا اصلها السريانيّ. ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج (٧: ١٩٩): « الابيل الراهب سُمّي بهِ لِتأَبُّلهِ عن النساء وتَرْك غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

انّني واللهِ فاْقبَلْ حِلفتي بأبيلٍ كلَّما صلَّى جأرْ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

« وما صكَّ ناقوسَ الصلاةِ ابيلُها »

ومثل الأَبيل (الأَيبَلِيّ والأَيبُلِيّ والهَيبَلِيّ) وكلّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل. قال الاعشى :

وَمَا أَيبُلِيٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

واشهرُ من الابيل والايبليّ (الرَّاهب) فأَكثرَ من ذكرهِ شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١: ٢٨٠) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثَوْبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بن جُرْهُمِ

اراد بثوبيهِ مسحَيهِ كما قال جرير (التاج ٨: ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥):

لا وَصْلَ اذ صرمَت هندٌ ولو وقَفَتْ لاستفتَنَتْني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : « بثوبَيْ راهب الطور » وروى ايضاً « وثوبَيْ راهب اللُّجِّ » (راجع المفضَّليَّات ed. Lyall ص ٤٨) واردف البكري قائلًا: « قيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللجّ ... والتي بناها قُصيّ يعني مكّة »

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في التِلال واعالي الجبال كما يشهد عليهِ بيت انشدهُ ابن الاعرابيّ (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلَّمتْ رُهبانَ ديرٍ في القُلَل لانحدر الرُّهبانُ يسعى فنزَلْ

قالوا الرُّهبان هنا مُفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبّيّ يصف مقام الراهب ونسكهُ (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لو انها عرضت لأَشمَطَ راهبٍ في رأسِ مُشرِفةِ الذُّرى متبتّلِ
جئّارٍ ساعات النيام لربّهِ حتى تخدّد لحمهُ مُتَشَمْعِلِ
لَصَبا لبهجتها وحُسْنِ حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يَتَنزَّلِ

والمتشمعل المتغنّي في تلاوة الزبور . قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وسِربِ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ لهُ ظلّةٌ في قُلَّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ . ومّما وصفوهُ وافاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويستهدي بهِ طارق الليل . قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيهُ :

أَصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضَهُ كلَمْعِ اليدَيْن في حَبِيٍّ مكلَّلِ
يُضيُّ سناهُ او مصابيحُ راهبٍ أمالَ السليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر (اللسان ١٥ : ١٧٩) :

او مصابيحَ راهب في يَفاعٍ سغَّمَ الزيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأَنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

قال الشرّاح : القفّال عبّاد النصارى لانهم قفلت جلودهم اي يبست من العبادة . وقال المزرّد اخو الشمّاخ (عن ديوانهِ المخطوط) :

كأَنَّ شعاع الشمس في حُجُراتها مصابيحُ رُهبانٍ زهتْها القنادلُ

وذكروا لبس الرهبان السواد قال الاعلم (في الهذيليّات ص ٥٧) يصف قتمة جلد الضباع :

سودٍ سحاليلَ كأَنَّ جلودهنَّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتُّل . قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٤٨) :

تضيءُ الظلامَ بالعشاء كأنَّها منارةُ مُمسَى راهبٍ مُتبتّلِ

والصَّرورة مثل المتبتّل (١ قال النابغة الذبياني (ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١)

لو انَّها عرضت لأَشمط راهبٍ عَبَدَ الالهَ صَرُورةٍ متعبّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعُّث لمَّتهم زهدًا واصوامهم. قال منظور الاسديّ (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦) :

كأَنَّ مهواهُ على الكَلْكَلِ مَوقعُ كفَّيْ راهبٍ يصلّي
بِبازلٍ وَجناء او عَيهَلِ في غَبَشِ الصُّبح او التجلّي

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

القَهَل يُبس الجلد من العبادة . والتهجُّد السهر للصلاة . وكانوا يتلون الزبور خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) :

أَتت حججٌ بعدي عليهِ فأَصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيَّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَدْين قال كثيّر عزَّة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَدْينَ والذينَ عهدُتهم يبكون من حَذَرِ العقاب قُعودا
لو يَسمعونَ كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّةَ رُكَّعًا وسجودا

وقال جرير (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تنزَّلوا والعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ القادرِ

وكذلك خصَّصوا وادي القرى كمناسك للرهبان قال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ اذ نَلقى يهودًا وبَعثَرا

---

١) وفي الحديث . « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتُّل وترك النكاح

منعناهُ من عليـا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

وكذلك عيّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كاحد مناسك الرهبان. قال كثيّر (راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠) :

كأنّهمُ قصْرًا مصابيحُ راهبٍ بمَوْزَنَ روّى بالسليط ذُبالَها
هم اهلُ الواحِ السريرِ ويُمْنِهِ قرابين اردافًا لها وشمالَها

قصرًا اي عشيًّا . والسليط الزيت كما مرّ . وعدّد صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليّات ص ١٣) امكنةً اخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وصَوّران وزبَد . قال :

والله لو اسمعتْ مقالَتَها شيخًا من الشُّعْثِ رأْسُهُ لَبَدُ
مأْبهُ الرومُ او تنوخُ اوِ م الآطام من صَوّرانَ او زَبَدُ
لَفَاتَحَ البَيْعَ يوم رؤيتها وكان من قبلُ يَنْعُهُ لَكَدُ

فذكرهم للرهبان في كلّ هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاوّل عن شيوع النصرانيّة في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبساء. و (الحبيس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله اي المُفرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان (بالحُنفاء). وقد مرّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاوّل من كتابنا (ص ١١٩) حيث اثبتنا انّ الحنيف جاءت بمعنى الراهب . كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذيليّات (ص ٤٥ ed. Kosegarten) :

كأنّ تواليَهُ بالمَلا نصارى يساقون لاقَوْا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَّيْرانيّ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً اليهِ على شذوذ والصواب انهُ من السريانيّة ܕܝܪܝܐ . ومنها ايضاً (الرَّبيط) قال الزجاجيّ: هو الراهب. وفي التاج (٥ : ١٤٣) : « الربيط الراهب والزاهد والحكيم الذي ظلفَ اي ربط نفسهُ عن الدنيا اي سدّها ومنعها». ومنها (الجُلاذيّ) و (الجُلَذيّ)

---

١) اطلب كتاب المعمّرين للسجستاني (Goldziher. *Abhandlungen*, XXXII)

قال في التاج (٢ : ٥٥٧) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجَلاذيّ بفتح الاوَّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرِّطهُ ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يعفّينا
كأنَّ اصواتها من حيث تسمعُها صوت المحارث يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الاوَّل : « الجلاذي وجون ما يغفِّينا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضاً (النُهاميّ) جاء في المخصَّص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « النهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لانهُ ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انَّها مستعارة من السريانيَّة ܢܗܘܡܐ اي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل . او هي مشتقَّة من الحبشيَّة كما ارتأى العلَّامة نولدك (Beitraege, p. 56) . وجاءت اللفظة في الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شريسٌ قلتُ يكفي شريسكم سنانٌ كنبراس النُّهامي مفتَّقُ
نمتهُ العصا ثمَّ استمرَّ كأنَّهُ شهابٌ بكفَّي فارسٍ يتحرَّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعُّث لمَّتِهِ قال الشاعر (لسان العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضَّليَّات ص ٤١١) :

وأشعثَ عنوانٌ بهِ من سجودهِ كَرُكبةِ عَنزٍ من عنوزِ بني نَصرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخاً من الشُّعثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمَّوا الراهب (المُقدَّس) اذا زار بيت المَقدس كما قال امرؤ القيس يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطَّعت جلدهُ :

فأدرَكنَهُ يأخذنُ بالساقِ والنَّسا كما شَبرَقَ الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلدَهُ اي قطَّعهُ . يقول قطَّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيء من بيت المقدس فقطَّعوا ثيابهُ تبرُّكاً وكانوا يتبرَّكون بهِ وبمسحِهِ الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزَّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر » .

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبِّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرَّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانيَّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفَّينا بعيسى بن مريم واتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً ما كتبناها عليهم الَّا ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجمعوها الرواهب . قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣) :

فآنستُ سربًا من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مُهدَّبِ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالدَّيْرانيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكريّ (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالعذارى) ومنهُ عدَّة اديرة وصفها العرب وسمَّوها اديرة العذارى (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنهُ صوم العذارى « للعذارى النصرانيَّات من العرب شُكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظنّنا انَّ (الحَوَاريَّات) ارادوا بها ايضاً العذارى الرواهب قال مُسهر اليشكري (اللسان ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكينَّا الَّا الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١٠١) في باب الرهبانيَّة ونحوها قال : « هما الابن أَو الابنة يجعلهُ ابواهُ قيّماً وخادماً للكنيسة وانَّما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان ربَّما ولد لاحدهم ولد فحرَّرهُ اي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأَتُ عِمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيَّة נזיר اي المنذور للربّ

وهذه الفاظ أُخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرتهِ (ص ٢٠)

عن اوَّل داعٍ للنصرانيَّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمَّا ساح في الارض بعد تنصُّرهِ وزهدهِ. والاسم السياحة قال في التاج (٢: ١٦٨): «السياحة والسُّيوح والسَّيَحَان والسَّيح الذهاب في الارض للعبادة والترهُّب (قال): ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام في بعض الاقاويل لانهُ كان يذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلَّى حتى الصباح» وقد مرَّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبِّد المتقرِّب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث اوَّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي (القُوقة) والرجل مقوَّق. جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢: ٢٠٠):

أيُّها القسُّ الذي قد حلَق القوقةَ حلقَهْ
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نَسْقَهْ

ومنها (الحازي والعرَّاف والكاهن) وهي الفاظ التبست عليهم فتردَّدوا في معانيها. ولا شكَّ انها أُطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم «الكاهن والعائف والعالم بالامور» (راجع التاج في المادَّة) واللفظة معرَّبة من العبرانيَّة (חזה) اي الناظر والنبي او مأخوذة من السريانيَّة ܚܙܳܝܳܐ او ܚܙܳܘܳܐ اي المتفقّد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمتهِ ولعلَّها ترجمة اليونانيَّة (ἐπίσκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرَّاف) ارادوا بها الساحر والمنبئ بالمستقبل عموماً. وقد خصُّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ (ص ٥٩٨):

فريقانِ رهبان بأسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

ومثلهما (الكاهن) فانَّها وردت بمعنى مدَّعي معرفة الاسرار والمتعاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكهانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليَّة نريد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيَّة כהן وفي الآرامية ܟܳܗܢܳܐ فلا بُدَّ من القول انَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربيَّة. والدين المسيحي لا يقوم الَّا بالنظام الكنسيّ اي بوجود اساقفة وكهنة ومنهُ يتَّضح انَّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السَّحَرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاصّ اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدَّسة وان لم ينصُّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب (١٧: ٢٤٥): «العرب تسمّي كلَّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمّي المنجّم والطبيب كاهناً» فطبيب الارواح احقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهَّان الذين دعوا الى الله وردُّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدلّ على انَّهم كانوا ارفع مقاماً من السَّحَرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصَّة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدَّة الفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم الفاظ أخرى خاصَّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما سترى

منها (الكنيسة) وهي لفظة ساميَّة معناها المجمع عبرانيَّتها כנישתא وسريانيَّتها ܟܢܘܫܬܐ فاتت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright):

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ وبها كنائسُ حَنتَمٍ ودِنان

(قالوا) الحَنتم الخزَف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعَة) وهي سريانيَّة ܒܝܥܬܐ ومعناها البَيضة والقبَّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً وذكرُها مكرَّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣: ١٦):

اقولُ اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمَّا وفد على نبيّ المسلمين (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منَّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البيَعُ

واقدم منهما قول لقيط بن مَعْبد في عينيَّتهِ التي وجَّهها الى قومهِ ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلويّ ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

تامَتْ فؤَادي بذاتِ الخالِ خرْعبَةٌ مرَّت تُريد بذاتِ العَذَبَةِ البِيَعا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى: بذات الجذع . وروى في التاج « نامت . . خزعتهُ » وهو تصحيف . ومثلهُ قدماً قول عبد المسيح بن بقيلة (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم تجرَّعتُ بدَيْر الجَرَعَهْ غصصاً كَبْدي بها مُنصَدعهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كُثُبٍ زُرْنَ احتسابًا بِيَعَهْ

ومنها (القُلَّيس) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٣) : « القُلَّيس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِميَرَ » . واللفظة دخيلة اصلها من اليونانيَّة Ἐκκλησία . وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك ابرهة (راجع ما نقلناهُ من اقوالهم في مجاني الادب ج ٣ ع ٤٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦)

ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انَّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليَّة » وقد مرَّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

واجلُّ ما في البيعة (هَيْكلُها) وهو صدرهـا حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيَّة היכל وآراميَّة ܗܝܟܠܐ وهي فيهما بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربيَّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الاغانيّ : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنهُ (?) سُمّي بيت النصاري الهيكل » . وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ . قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تمْشي النعامُ بهِ خَلَاءً حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيت الهيكلِ

قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام . . . وربَّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

وما ايبليٌّ على هيكل بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

ومثلهُ قول الآخر وقد مرّ :

وما قدّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ابيلُ الابيلين المسيح بن مريما

وفي الهيكل (المَذْبح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى . سُمّيت بالمذابح للقرابين» . وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك للمعتقدات »

قال الحسين بن الضحّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجّت اساقفُها في بيت مَذْبحها وعجّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبُها) وقد مرّت . واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصَّليب) تنويهاً بموت السيّد المسيح مصلوباً . وقد تكرّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلُب وصُلبان وصرّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كقبلة وكرأية . وقد أقسم بهِ عديّ بن زيد فقال (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداءُ لا يألونَ شرًّا عليكَ وربِّ مكّةَ والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاوّل عن اكرام النصارى لمكّة في الجاهليّة (ص ١١٨) . وممّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظلّت اقاطيعُ انعامٍ موبّلةٍ لدى صَليبٍ على الزوراء منصوبُ

قال الصغّاني (Lane s.v) : « سمّي النابغة العَلَمَ صليباً لأنّهُ كان على صليب لانهُ كان نصرانيًّا » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانيّة ص ٦٠٥) : « اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا » . وقد ذكر الاخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدّمهم (ديوانهُ ص ٣٠٩) :

لمّا رأونا والصليبَ طالعا خلّوا لنا رازانَ والمزارعا

وممَّن صرَّحوا بعبادة العرب للصليب حجَّار بن أبجر قال يهجو بني عجل النصارى (الاغاني ١٣ : ٤٧) :

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

اي تعبد المصلوب. وروى في التاج (١٠ : ٩٠) للأُقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهُمْ حاشاي اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسِمون جباهم بالصليب قال حجّة الدين الصقليّ في كتاب أنباء نجباء الأنباء لخالد بن يزيد في امرأته رَمْلة الزبيريَّة (ص ٩٤) :

أُحبُ بني العوَّامِ طُرًّا لاجلها ومن أجلها حبَّيت أخوالها كَلْبا
فان تُسلِمي أُسلِم وان تتنصَّري يخطُّ رجالٌ بين اعينهم صُلُبا

وبنوا من الصليب فعلًا فقالوا صلَّب اي رسم الصليب كما رأيت في شعر الاعشى :

فما أيبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصَلَّب فيهِ وصارا

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزينون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً الى ما تمثّلهُ لهم من اولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر اهل الجاهليَّة عدَّة شواهد على ذلك . فذكروا (الصورة) وهي هيئة الشيْ وشكلهُ لا سيما هيئة اولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيَّة بين عرب الحجاز (ص ١١٦—١١٧) انَّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة «الملائكة والانبياء كموسى ومريم وعيسى» : وممَّن ذكروا الصور النصرانيَّة الاعشى كما سبق فبنى من الصورة فعل « صارَ » :

وصلَّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور . وتسمَّى الصورة (تمثالًا) قال في التاج (٨ : ١١١) : « التمثال الشيْ المصنوع مشبَّهاً بخَلق من خلق الله عزَّ وجلّ . (قال) والتماثيل هي صور الانبيـاء وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت ». وكانت تلك الصور تُتقن بالفن وينقشونها بالالوان ويطلونها بالذهب . قال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرَّاء مثل الهلالِ صورتُها ومثل تمثالِ صورةِ الذَّهَبِ

(قال) ويروى : بيعة الذهب . وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنَّ دُوَيْنَ الطِرْبالْ بَشَّرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصَالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثالْ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النَّحْرِ واقدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيما في اعيادهم. قال الحارث بن خالد المخزومي (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خَودٍ مثل تمثالِ بيعةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال (الدُّمية) جمعُهــا الدُّمى واصلها من السريانيَّة ܕܘܡܝܐ ومعناها الشبه . قال في التاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمية الصورة المنقَّشة من الرخام (عن الليث). وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامٌ من كلّ شيءٍ مستحسن في البياض او الصورة عامّة (وهو قول كراع). قال ابن الاثير : هي الصورة المصوَّرة لأنَّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها . . . والدمية ايضاً الصَّنم . . . لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة ». ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا: « احسن من دُمية (امثال الميدانيّ ١ : ٣٠٠) وقد شبَّهوا بها نساءهم قال الاعشى (التاج ٦ : ٣٤٤):

وحُورٍ كأمثال الدُّمَى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٣ : ١٢) : بنات المنافقين « المتزّينات كدُمى الهياكل ». ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خصُّوا بها بيَع النصارى ومحاريبهم دلالةً الى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام قال عديّ بن زيد (في الكامل للمبرَّد ed. Wright, 460) :

كَدُمى العاج في المحاريب او كالــبَيْض في الروضِ زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للاخوص في الاسلام (الاغاني ٤ : ١٤٢) :

كأنَّ لُبنى صَبيرُ غاديةٍ او دميةٌ زُيّنت بها البيَعُ

وقال عُمر بن ابي ربيعة (الكامل ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال اميَّة بن ابي عائذ (ديوان الهذيليّين ص ١٧٧) :

او دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراسِ

وتبعهُ ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ عتَّابةَ من حسنها دُميةُ قسٍّ فتنت قسَّها

وممَّن وصفوا الدُمى امرؤ القيس حيث قال (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمًى سُقفٍ على ظَهر مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشيًا مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ (العقد الفريد ص ١٠) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجرٍّ تُشادُ وقَرْمَد

وكذلك قال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُمَى حورُ العيونِ قد استُبينا

وقال سُلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :

والبيض يرفُلْنَ كالدُمَى في الرَّيْط والمُذهبِ المَصُونِ

وقال زياد بن حَمل (الحماسة ٦١٤) :

فيها عقائل امثالُ الدُمَى خُرُدٌ لم يَغذُهنَّ شَقا عيشٍ ولا يَتمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُمى كانت تُصطنع في بعض انحاء العرب كهَكِر قيل انهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين) :

كناعمتَين من ظِباء تبالةٍ على جؤذرَين او كبعضِ دُمَى هَكِرْ

وكذلك ميسنان وقيل انها مَيسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :

وما دميةٌ من دُمَى مَيْسَنا نِ معجبةٌ نظرًا واتِّصافا

ولعلَّهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُّصْب) وهو في الاصل كل ما كان يُنصَب فيُعْبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نَصَائِب. وقد خصُّوها بعبادة الاوثان فارادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح . ولعلَّ النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وأعجب من هذا انَّهم استعملوا لفظة (الوثن) للدلالة على صورهم والكلمة حبشيَّة ወሐን بهذا المعنى وقد استعملها الاعشى بمعنى الصليب. قال (المفضليَّات ص ٥٤٩ ed. Lyall ولسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العفاةُ بابوابهِ كطَوْف النصارى ببيت الوَثَنْ

(قال) اراد بالوثن الصليب

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلةً يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوَبيل) او (الأَبيل) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقْساً اذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلًا من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليهِ . وهو اليوم (الجَرَس) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ ايضاً ذكرهُ في التاج قال (٤ : ١١٨) : « والجرس الجلجل . . . والذي يُضْرَب بهِ » . وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس . قال المتلمِّس يذكر خروجهُ الى بلاد غسّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانهِ) :

حنَّت قَلُوصي بها والليلُ مُطَّرِقٌ بعد الهدوّ وشاقَتْها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » اي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر . ومثلهُ قال المرقّش الاكبر (المفضّليات ص ٤٦٥) :

وتسمعُ تَزْقاءً من البوم حولنا كما ضُرِبت بعد الهدوّ النواقسُ

ومثلهما للأَعشى (راجع الجوهري فى مادَّة حدّ) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٧٩) :

وكأْسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وقد سبأْتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمَّا تُقْرَعِ النُّقُسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم منطقُ الدُّجاجِ عن الـ ـعَهْد وضربُ الناقوس فاجتُنِبا

قال الشارح : « والناقوس انَّما يكون في القرى فلمَّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصدًا على الطريق » . ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها كصوتِ المواتح بالحَوْأَبِ
سبقتُ صياح فراريجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ . قال ربيعة بن مقروم من ابيات مرَّت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لَصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتنزَّلِ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْط الدَّيرِ قبل الدَّجاجِ وزقاء الطَّير

ومثلهُ لجرير في القسّ (البكريّ ٢١٥) :

صبَحنَ ثَرْماءَ والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا تجفُ

وقال جرير ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لمَّا تذكرتُ بالديرَين ارَّقني صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعــا ضارب الناقوس بالأبيل وهو ايضاً الحبر كما مرَّ (راجع حماسة البحتري ص ٥٦) :

فانيّ وربِّ الساجدينَ عشيةً وما صكَّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أُصالحكم حتى تبوءُوا بمثلها كصرخة حُبلى بشَّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس: « رأيت أَبيلًا على وَبيل » اي حبرًا على عصا رعايتهِ . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

امَّا (الجَرَس) فلم نجدهُ في شعر قديم . وانَّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمَّد في الوحي : « احياناً يأتيني (اي الوحي) في مثال صلصلة الجَرَس » . وفي حديث آخر رواهُ مسلم (٤ : ٤٥٠): « الجَرَس مزامير الشيطان (١ »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئُونها بالمصابيح قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نظرتُ اليها بالمحصَّب من مِنى ولي نظرةٌ لولا التحرُّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لكَ خَلْفَ السُّجْفِ ام انتَ حالمُ

وكانوا على الاخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيَّة . مرَّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقرّبون القرابين في القدَّاس ومنهُ قول الاعشى :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكلٍ . . .

ومثلهُ قول البكري في معجم مــا استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قدَّاس النصارى « وضجَّ الرهبان بالتقديس »

---

١) اطلب Goldziher: *Abhhandl. z. arab. Philologie*, p. 189

ومن مناسكهم (القُرْبان) هو في الاصل كلُّ ما يُتقرَّب بهِ الى الله . وقد خُصَّت بقربان النصارى . قال اميَّة (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

ايَّام يَلْقى نصاراهم مسيحَهُمُ والكائنينَ لهُ وِدًّا وقُرْبانا

وروى في اللسان لجرير (١٥ : ١٢٥) :

او تتركون الى القسَّينِ هِجْرَتكم ومَسْحكم صُلْبَهم رَحْمان قُرْبانا

وقد بنوا منهُ فعلًا فقالوا (تقرَّب) اذا اخذ القربان . قال الاعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق مئة من أَسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧) :

بهم تقرَّبَ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صَنَعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة «ليتقرَّبا» يريد تناولهما الفصحيّ

وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة «ܣܒܪܐ» وهي الطعام والغذاء ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم . قال عديٌّ بن زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانيَّة ٤٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨) :

إذ اتاني نبأٌ من مُنْعِمٍ لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح: «الشبر هو الانجيل والقربان» . وقد وردت الكلمة في شعر العجَّاج فافتتح احدى اراجيزهِ بقولهِ :

الحمدُ لله الذي أَعطى الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة . وكأَنها تعريب اللفظة اليونانيَّة افخارستيا (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان . وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عديّ: «قيل في الشبر ههنا انهُ القربان»

وقد خصُّوا بالذكر (خمر القربان) ورووا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك ابيات ايمن بن خُرَيم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباءَ جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنغَرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المهيمنُ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

ومثلهُ فيها للاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وان ذُبحتْ صلّى عليها وزَمْزما
ببابلَ لم تُعصَرِ فسالت سُلافةً تخالط قنديدًا ومسكًا مختّما

فبذكره للصلاة عليها خصّ الخمر المقدّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباءَ طاف نهاميُّها وابرزَها وعليها خَتَمْ
وقابلها مستهامًا لها وصلّى على دنّها وارتسمْ
تمزّزْتها غيرَ مستكبرٍ على الشرب او مُنكرٍ ما عُلِمْ

النهاميّ صاحب الدير وقد مرّت وروُي (قطب السرور Ms de Paris ff. 67) : « طاف يهوديُّها » ولعلّهُ تصحيف لانّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها .

وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر المقدّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأَعناب عتّقها لبعض أَربابها حانيةٌ حومُ
تشفي الصُّداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدويمُ
ظلّت ترَقرَقُ في الناجود يصفقها وليدُ أعجَمَ بالكتّانِ مفدومُ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيز يَشُبُّهُ لفِصْحٍ ويحشوهُ الذُّبال المفتّلا

وكما شربوا خمر القربان اكلوا خبزهُ المقدّس . وقد بيّنّا (ص ٧٢ و١٣٩) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لربّهم » انّما ارادوا بهِ تقرّبهم من القربان الاقدس فقرّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أَكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوءَ العقوبة والتباعَهْ

ومثلهُ قول الآخر :

أَكلتْ ربّها حنيفةُ من جوعٍ قديمٍ ومن إعْوَازِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الربّ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهليّة اخذوها ايضاً من نصارى الحبش وهي عندهم ማእድ وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في

سورة المائدة ع ١١٢ و١١٤) حيث يذكر انَّ الحواريين طلبوا من المسيح ان يُنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السرّي

ولا شكّ انهُ كان لهم في كنائسهم (مِنْبَر) للكرازة واعظم شاهد على قولنا انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش መንበር اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أَبي العاصي (راجع ديوانهُ : de. Boucher. p. 19)

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ اليهِ يشخصُ فوق المِنبرِ البَصَرُ

٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان

قد توفَّرت المفردات العربيَّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسَّر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع العيشة الرهبانيَّة في انحاء العرب

فمن ذلك (الاسطوانة) وهي السارية وفقاً لمعناها الاصلي في اليونانيَّة (ἱστῶν) وقد اتَّخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبَّد فوقهُ بعض الرهبان المدعوين لذلك بالعموديين (Stylites) قال ذو الجدن (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ ed. Wüstenfeld)

فانَّ الموت لا ينهاهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاءَ مع النَّشُوقِ
ولا مترهّب في أُسطوانٍ يناطحُ جُدْرَهُ بيضُ الأَنوقِ

قال الشارح: الاسطوان والاسطوانة هاهنا موضع الراهب المرتفع. وقال في التاج: الفرق بين الاسطوانة والعمود انَّ العمود حجر واحد والاسطوانة بناء

ومنها (الأَكيْرَاح) وهي قلّاية الراهب. ومثلها الكِرْح. واصل الكلمة من السريانيَّة ܟܘܪܚܐ قال في المخصَّص لابن سيده (١٣: ١٠): «الأَكيْراح بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف» . وقال في معجم البلدان (١: ٣٤٥): «الأَكيْراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلاليَّ لهم» وهي ايضاً موضع بعينهِ وانشد لبكر بن خارجة :

١) راجع مقالة المستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المِنْبر عند قدماء العرب (Orient. Stud. Theod. Noeldeke. t.1,331 - 351)

دعِ البساتينَ من آسٍ وتفّاحِ واقصد الى الشيخ من ذات الأُكَيْراحِ
الى الدساكر فالديرِ المقابلها لدى الأُكَيْرَاحِ او دير ابن وضّاحِ

ومنها (التامور) ويُروى بالهمز تأمور . قال في التاج (٣ : ٢٠) : « التأمور صومعة الراهب وناموسهُ ... وقال ابن دريد انّ اصل هذه الكلمة سريانيَّة ». ولم نجدها في المعاجم السريانيَّة بهذا اللفظ . ولعلَّها من ܛܘܪܐ بالطاء فتكون كالطمورة في العربيَّة شبَّهوا بها مسكن الراهب . او كالطَّمار اي المحلّ المرتفع والله اعلم . وقيل انَّ اصلها من ታቦር (تَبُر) الحبشيَّة فابدلوا الباء من الميم (١ ووردت الكلمة في الشعر الجاهليّ في قول الشاعر عن الراهب :

ولَهَمَّ من تامورهِ يتنزَّلُ

ومن الفاظهم الشهيرة (الدَّيْر) وهي لفظة سريانيَّة الاصل (ܕܝܪܐ) ومعناها المسكن عموماً لا سيما المحصَّن ثمَّ خصُّوا بها مسكن الرهبان . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٩) : « الدَّيْر بيت يتعبَّد فيهِ الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الاعظم انَّما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال » . وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن سيده : « الدَّيْر خان النصارى والذي يسكنهُ ويعمرهُ دَيَّار ودَيْرَانيّ » . وقال ابن الاعرابيّ : « يقال للرجل اذا رأس اصحابهُ : هو رأسُ الدير . وقد شاع استعمال الكلمة في الشعر القديم قال عديّ بن زيد (معجم البلدان ٢ : ٦٨٠) :

نادمتُ في الدير بني عَلْقَمَا عاطيتُهم مشمولةً عَنْدما
كأنَّ ريح المسكِ من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد عدَّد ياقوت والبكري وغيرهما في معاجم البلدان نيّفاً ومئة دير مما ورد ذكرهُ في الشعر القديم . بل ذُكر لابي الفرج الاصفهانيّ كتاب في الديارات خصَّهُ بذكر الاديرة القديمة بين العرب

ومنها الرُّكح) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) : « من ابيات النصارى . (قال) ولستُ من هذه الكلمة على ثقة » . (قلنا) ولعلَّ الكلمة تصحيف (الكِرْح) الآتية

١) راجع المعرَّب للجواليقي ٢٧ .ed. Sachau وكتاب فرنكل Fraenkel: *Aram. Fremdw. in arabischen*, p. 269.

ومنها (الصَّرْح) وهو في الاصل البناء العالي وقيل ان الصرح في النبطيَّة القصر. ولعلَّ الاصحّ انها حبشيَّة ጸርሕ ومعناها الحُجرة والقلَّاية (١

ومنها (الصَّومعة) ومثلها الصومع بناء للراهب محدَّد الطرف. قال في التاج (٧: ٤١١): «الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمّيت لدقَّة في رأسها». وقال زين العابدين: «الصومعة المنارة وهي في الاصل مُتعبَّد للراهب. وقد مرَّ ذكرها في الفصول السابقة (راجع الصفحة ١٧٥). واصل الكلمة من الحبشيَّة ጸማዕት ومعناها الدير والقلَّاية. وقد وردت بهذا المعنى في القرآن (سورة الحجّ ع ٤١) ونطق بهذا الشعراء القدماء روى سيبويه لاحدهم:

اوصاك ربُّك بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا معَهْ
فاخترْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومعَهْ

ومنها (الطِّرْبال) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال ابو عبيدة هو شبيه بالمنظرة من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لدُكَيْن (راجع ياقوت ٣: ٥٢٥ والتاج ٧: ٤١٦):

حتى اذا كان دُوَيْن الطربالْ رجَعْن منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلَّها اعجميَّة

ومنها (العُمْر) قال في التاج (٣ : ٣٢٠): «العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمّيت باسم المصدر لانهُ يُعمَر» والصواب انَّ الكلمة سريانيَّة (ܥܘܡܪܐ) وهي الدير. قال المتلمّس (راجع معجم ما استعجم للبكريّ ص ٦٩٦):

أَلكَ السديرُ وبارقٌ ومبايضٌ ولك الخورنَقْ
والعُمْر ذو الاحساء واللَّذَّات من صاعٍ وديسَقْ

(قالوا) العُمر في شعر المتلمّس الدير او البيعة والكنيسة

ومنها (القلَّاية) اصلها من السريانيَّة ܩܶܠܳܝܬܳܐ اشتقَّها السريان من اليونانيَّة κελλίον. وقال البكري (في معجمهِ ص ٣٦٩): «ان كانت القلَّاية مضافةً الى المواضع فانَّما هو العُمْر والعمر عندهم اسم الدير قال الثرواني:

(١) اطلب كتاب نولدك (Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft)

وان انما حيَّيتُماني تحيَّة فلا تَعْدوَا رَيحان قلّايةِ القسِّ »

ومنها ايضاً (القُوس) وهو الدير واصل الكلمة من الفارسيَّة قال صاحب اللسان (٨ : ٦٩) : « القُوس الصومعة او موضع الراهب . وقال ياقوت (٤ : ٢٠٠) : « هو معبد الراهب » وانشد في اللسان :

لا وَصْل اذ صُرِفَت هندٌ ولو وقفَتْ لَاسْتَفْتَنَتْني وذا المسحَيْن في القُوسِ»

وانشد الاصمعي لذي الرُمَّة :

على أَمْرِ منقدِّ العفاءِ كأنَّهُ عصا قسِّ قُوسٍ لينُها واعتدالُها

قال : القسّ القسّيس والقوس صومعتهُ

ومنها (الكِرْح) وهو مقام الراهب من السريانيَّة ܟܘܪܚܐ بمعناه وقد مرَّ مع الأَكيْراح

ومنها (المَنهمة) وهو مسكن النُّهَام او النهاميّ اي الراهب قال ذو الجدن (سيرة الرسول ٢٦—٢٧) :

وغُمْدانُ الذي حُدِّثتَ عنهُ بنَوْهُ مسمَّكًا في رأس نيقِ
بمَنْهمةٍ واسفلُهُ جروبٌ وحُرُّ المَوْحَل اللَّثِق الزليقِ
بمَرمَرَةٍ واعلاهُ رُخامٌ تحامٌ لا يغيّب في الشقوقِ
مصابيحُ السليط تلوح فيهِ اذا يُمْسي كتَومْاضِ البُروقِ

قال الشارح : المنهمة موضع الراهب

ومنها (النَّاموس) قال في اللسان (٩ : ١٣٠) : « الناموس بيت الراهب ولعلَّهُ « اراد الناووس من اليونانيَّة ναός وهو الهيكل . وجاء في التاج : « الناؤوس مقبرة النصارى »

٨ مفردات لنصارى الجاهليَّة في اعيادهم ومواسمهم السنويَّة

نذكر هنا الاعياد النصرانيَّة الثابتة والمنتقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما عرفها غيرهم

اوَّلها عيد (السُّبَّار) يريدون بهِ ما ندعوهُ عيد البشارة واللفظة سريانيَّة الاصل (ܣܘܒܪܐ) . قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٢٩٤) : « السُّبَّار دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مبشّرًا بالمسيح » . ولم نجد اللفظة في الشعر الجاهلي وانَّما وصف اميَّة بن ابي الصلت البشارة بآيات رويناها سابقًا

ومنها عيد (الميلاد) وقد سمَّاهُ البيروني (ص ٢٩٣) عيد يَلْدا من السريانيَّة ܝܠܕܐ اي ميلاد المسيح

ومنها (القَلَنْدَس) ذَكَرَهُ المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٤٠٦) ودعاه البيروني القلنداس (ص٢٩٢) قال وهو رأس السنة وتمام الاسبوع من ولادة مريم · واللفظة لاتينيَّة (Kalendæ) قال المسعودي :

يكون فيهِ بالشام لاهلهِ عيد يوقدون في ليلتهِ النيران ويظهرون (الافراح) لاسيما بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس ومصر وارض النصرانيَّة كلها وما يظهر اهل دين النصرانيَّة بانطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران ويساعدهم على ذلك كثير من عوامّ الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِنح) ذكرهُ ابن سيده في المخصَّص (١٣ : ١٠٣) عن ابن دريد قال : « الدِنح عيد من اعياد النصارى ولا احسبها عربيَّة وقد تكلمت بها العرب » والكلمة سريانيَّة ܕܢܚܐ ومعناها الظهور اي ظهور السيّد المسيح لبني اسرائيل يوم معموديَّتهِ · قال البيروني (٢٩٣) :

« وفي السادس من كانون الآخر دِنحا وهو عيد الدنح نفسهُ ويوم المعموديَّة الذي صبغ فيهِ يحيى بن زكريَّا المسيحَ وغمسهُ في ماء المعموديَّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمرهِ واتصل بهِ روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل »

ويعرف عيد الدنح بالغطاس ايضاً · وعلى هذا اللفظ وصفهُ المقريزيّ في الخطط (١ : ٤٤٩٤) · ويسمَّى ايضاً بيوم العماد

ومنها (السَّباسب) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) وفي التاج (٤ : ٢٩٤) : « يوم السباسب عيد للنصارى ويسمّونهُ يوم السعانين ويقال شعانين بالشين · والسباسب الاغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخولهِ اورشليم · وقد دعوا ايضاً هذا العيد بعيد الزيتونة · امَّا السعانين فمشتقَّة من العبرانيَّة הושענא (هوشعنا) التي كان يتهلّل بها اليهود امام المسيح · وقد وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانين بين بني غسَّان :

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتهُم يحيَّوْن بالرَّيحان يوم السباسبِ

ومنها (خميس العهد) قال المقريزيّ : (١ : ٤٩٥) ويسمّيهِ اهل مصر من العامَّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايَّام ويتهادون فيهِ · وقد

عرفهُ العرب ايضاً بخميس الفِصْح ورد على هذا اللفظ في ترجمة عدي بن زيد الشاعر الجاهليّ في كتاب الاغاني (٣ : ٣٢) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال : « خرجتْ في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة ايّام تتقرّب في البيعة »

ومنها (الفِصْح) كانوا يقدّمون عليهِ الصوم الاربعينيّ وقد ذكرهُ العرب. انشد سيبويه لبعضهم (في كتابهِ ٢ : ٢٧) :

صدّت كما صدّ عمّا لا يحلّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْلَ الفِصْحِ صوّامُ

ومن كلامهم في ذلك « تنحّس النصارى » اذا تركوا اكل اللحم. وقال ابن دريد « تنحّس النصارى اذا تركوا اكل الحيوان . وهو كلام عربيّ صحيح ولا ادري ما اصلهُ (التاج ٤ : ٢٥٥). ولعلّهُ من « تنحّس الرجل » اذا جاع. ويقول البعض تنهّس بالهاء وهو من تصحيف العامّة . امّا الفِصْح فمن السريانيّة ܦܨܚܐ واصلها פסח العبرانيّة وتكرّر ذكر الفصح في الشعر العربيّ الجاهليّ . قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي كان اطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرّباً لله :

ففكّ عن مئة منهم إسارهمُ واصبحوا كلُّهم من غُلّهِ خُلعا
بهم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل . قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبَّهَ سنانهُ بمصباح يوقدهُ رئيس النصارى يوم الفصح (شعراء النصرانيّة ص٤٩٤) :

عليهِ كمصباح العزيزِ يشبُّه لفصحٍ ويحشوهُ الذُّبالَ المفتّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيما اذا الهبهُ في ليلة الفصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان انور واكثر ضوءًا ». وقال عدي بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح (الاغاني ٩ : ٥٣) :

بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهم باناءِ ذي كرم كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها قنديلُ فِصْحٍ في كنيسة راهبِ

وممّن اشاروا الى افراح النصارى في عيد الفصح عبدالله بن زبير قال (الاغاني ١٣ : ٤٦) يهجو حجّار بن ابجر امير بني عجل :

فكيف بعجلٍ ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ ومرجلُكم يغلي
وعندك قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباءُ مثل جنى النحلِ

ويدعون ايضاً الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيّد المسيح من الموت يوم الفصح. ومن الالفاظ العربيَّة في ذلك (الباعوث) ودعاها في المخصَّص (١٣: ١٠٢) الباغوت بالغين قال: اعجمي معرّب عيد النصارى. وفي تاج العروس (١: ٦٠٢): «الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني. قيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة». وهو بالسريانيَّة ܒܥܘܬܐ ومعناها الصلاة والدعاء. وقد خصُّوا بها رتبةً تُقام ثاني يوم عيد الفصح. وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لمَّا صالح نصارى الشام شرط عليهم «ان لا يُحدثوا كنيسة ولا قلّيَّة ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً»

ومنها (السُّلَّاق) قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٠٨): «وبعد الفطر (يريد الفصح) باربعين يوماً عيد السُّلَّاق ويتَّفق ابداً يوم الخميس وفيهِ تسلَّق المسيح مصعداً الى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أَفصَحَ فيها ببيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس» واصل الكلمة من السريانيَّة ܣܘܠܩܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلاميّ:

بحرمة الفِصْح وسُلَّاقكم يا عاقد الزنَّار في الخَصْرِ

ومما ذكروا من اعياد النصارى (الهِنزَمن) وروى ثَعلب الهِنزَمر. قالوا عيد للنصارى (المخصَّص ١٣: ١٠٢) ولم يزيدوا ايضاحاً. وقد وردت اللفظة في شعر الاعشى:

اذا كان هِنزَمنٌ ورُحتُ مُخشَّما

قال صاحب التاج (٩: ٣٦٨): «الهِنزمن الجماعة معرَّب هَنْجُمَن او أَنْجُمَن عند الفرس ويُطلق على مجلس الشرب او لمجمع الناس مطلقاً او لعيد من اعياد النصارى». وقد دخلت اللفظة في السريانيَّة ܗܢܙܡܢ ويراد بها الحفلة

ونضيف الى ما سبق لفظة (الشَّمْعَلة) قالوا هي قراءة النصارى واليهود في اعيادهم. وذكروا عن الخليفة المتوكل انهُ حرم على النصارى «ان يظهروا في شعانينهم صليباً وان يُشَمْعِلوا في الطريق (١)». وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢: ٦٩٧):

(١) اطلب المجلَّة الاسيوية الالمانيَّة ZDMG. XXIX, 639 et XLVI, 44

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونهِ وشَمْعَلَ قسّيسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني (تزيين الاسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياةِ بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمْعِلِين يعبدون عيسى

٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من اهل البادية لا يمتازون بها غالباً عن سواهم . غير انَّ في المعاجم وبعض الشعر الجاهليّ مفرداتٍ وردت في وصفهم النصارى او شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى . نذكر هنا ما عثرنا عليهِ منها في مطالعاتنا

فمنها (الآخنيّ) قال في التاج (٩ : ١١٩) : الآخنيّ الثوب المخطَّط . وقال ابو سعيد : الآخِنيّ اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى . قال البعيث :

فكرَّ علينا ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جرَّ ثوبَ الآخِنيّ المقدّسُ

(يريد بالمقدّس الراهب الذي رحل الى زيارة القدس) . وقال العجّاج (ed. Ahlwardt, p. ٦٧) :

كأنَّهُ متوَّجٌ روميٌّ عليهِ كتّانٌ وآخِنيٌّ
او مِقْوَلٌ تُوِّجَ حِمْيَريٌّ

وقال ابو الخراش :

كأنَّ المُلاءَ المَحْضَ خلفَ كُراعهِ اذا ما تمطّى الآخنيُّ المخدَّمُ

ومنها (الإِضْريج) كساء احمر من الخزّ ويقال ايضاً للخزّ الاصفر . وقيل بل هو كساء يُتَّخذ من المرعزّى من اجود صوفها . وقد ذكرهُ النابغة في ديوانهِ (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف اعياد النصارى الغسّانيّين :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالرّيحان يوم السباسبِ
تُحيّيهم بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الإِضريج فوق المشاجبِ

ومنها (الأَرَنْدَج واليَرَنْدَج) قال ابو عبيد في المخصَّص (٤ : ١٠٣) : « هو بالفارسيَّة رَنْدَه . قالوا هو ضرب من الأَدَم اسود » . وجاء في اللسان (١٨ : ٣٠٤)

والتاج (٢ : ٥٠) انَّ اليَرَنْدج جلد اسود تُعمل منهُ الخِفاف يحتذون بها : وقد خصَّها الشمَّاخ بالنصارى فقال يصف نعاماً في برّيّة :

ودوّيَّةٍ قَفْرٍ تمشّى نَعامُها كمشي النصارى في خفافِ اليَرَنْدَجِ

ومنها (الرَّيط) وهي الملاءة المنسوجة قطعةً واحدةً وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى (التاج ٧ : ١١١) فقال يصف ثورًا وحشيًّا :

يعلو الظواهر فردًا لا أليفَ لهُ مَشْيَ البِطَرْكِ عليهِ رَيْطُ كَتّانِ

ومنها (الزُّنَّار) قالوا هو ما على وَسْط النصارى . وقال في التهذيب : ما يلبسهُ الذميُّ يشدُّهُ على وسطهِ . وقد اشتقُّوا منهُ فعلًا فقالوا زَنَّرَهُ اذا البَسهُ الزُّنَّار . وقد جاء الزنَّار في الشعر الجاهليّ قال عديّ بن زيد وكان معاوية يُعجب بهِ :

يا لِرَهْطي اوقدوا نارا انَّ الذي تهوون قد حارا
ربَّ نارٍ بتُّ ارمقُها تَقْضَمُ الهنديَّ والغارا
ولها ظبيٌ يؤجّجها عاقدٌ في الخَصْرِ زنّارا

ويروى :

عندها خِلٌّ يُثوّرها عاقدٌ في الجيد تِقْصَارا

التِقْصار القلادة . ومثلهُ لابن الضحّاك (البكري ص ٣٧٠) :

بحُرمةِ الفِصْح وسُلّافكم يا عاقد الزُّنّار بالخَصْرِ

ومنها (الكتَّان) كما رأيت في شعر الراعي والعجّاج

ومنها (المُوق) جمعها أمواق قال ابن سيده : « هو ضرب من الخفاق وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ وهو عربيٌّ صحيح » . وكان العِبادُيون ينتعلون بالامواق قال النمر بن تولب (التاج ٧ : ٧٣ واللسان ١٢ : ٢٢٧) ويروى لسلامة بن جندل :

فترى النعاج بها تمشّى خلفَهُ مَشْيَ العباديّين بالأمواقِ

وكانت هذه الخفاف تتَّخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونهُ السِّبْت وينتعل بهِ السادة قال عنتر في معلّقتهِ :

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحذى نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

ومن لبس زُهّادهم (المِسْح) وهو ثوب الرهبان من شعَر . قال جرير وسمّى الراهب ذا المسحَيْن (التاج ٨ : ٦٩) :

لا وَصْلَ اذ صرَمَتْ هند ولو وقفتْ لَاستفتنَتْني وذا المِسْحَينِ في القَوسِ

هذه بعض الفاظ نقلناها وقد صرَّحوا فيها بذكر النصارى. ولا شكَّ انَّ الفاظاً أُخرى دخلت في العربيَّة بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلُّ عليها اصلها الاعجميّ كالبُرجد والإكليل والتاج والبُرنس وابي قلمون والقَلَنسوة والجلباب والسندس وغيرها وان لم يخصّها الكتبة بالنصارى وحدهم

١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق انَّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة. فلا عجب ان تكون الالفاظ الدالَّة على هذه الصناعة قد وردت خصوصاً في آثارهم ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونةً في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأنّقون في كتابتها

فاوَّل ما ذكروهُ (القَلَم) قال معاوية الجعفري (معجم البكري ص ٥٨٢) يصف منازل دارسة:

فانَّ لها منازلَ خاوياتٍ على نَمَلى وقفتُ بها الركابا
من الاجزاعِ اسفلَ من نُمَيلٍ كما رجَّعتَ بالقَلمِ الكتابا

ومثلهُ لكعب بن زُهير (البكري ص ٤٤١):

أتعرف رسماً بين رُهمانَ فالرَّقمْ الى ذي مراهيطٍ كما خُطَّ بالقَلَمْ

وقال لبيد في معلَّقته:

وجلا السُّيولُ عن الطلال كأنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها اقلامُها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص. ومن اشهر الفاظهم (القِرطاس) وهي فارسيَّة كالكاغد ويقال قِرْطَسٌ ايضاً. وقد وردت في الشعر الجاهلي قال المُخَشّ العُقَيلي يصف رسوم دار شبَّهها بخطّ الزبور على القرطاس قال (التاج ٤: ٢١٥):

كأنَّ بحيث استُودعَ الدارُ اهلَها مَخَطَّ زَبُورٍ من دواة وقِرطَسِ

ومنها (الأديم) اي الجلد كانوا يصقلونهُ ويرقّقونهُ فيكتبون عليهِ. قال المرقّش:

الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وكانوا يدعون الأَدَم الرقاق (ورَقاً) قبل ان يصطنعوهُ من القطن تشبيهاً بوَرق الشجر في تصفيحهِ قال جرير (البكري ص ١٠٦):

لمن الديار بماقلٍ فالأنعم كالوَحْيِ في ورَق الزَّبور المُعْجَمِ

وهو (الرقّ) ايضاً جمعهُ الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشيَّة الاصل كما يُظنّ قال الخالد بن الوليد المخزومي (الاغاني ٣: ١١٢):

هل تعرفُ الدارَ اضحت آيُها عجَبا كالرقّ اجرى عليها حاذقٌ قلَما

وفي القرآن: «رقّ منشور». وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطهُ سيور (قضيماً) قال النابغة (التاج ٩: ٦٩) وفي وصف الرسوم:

كأن مجرَّ الرامسات ذيولَها عليهِ قضيمٌ نمَّقَتْهُ الصوانعُ

وقد دعوا القرطاس والصُحُف البيض (بالمُهْرَق) وهي لفظة فارسيَّة مُهْرَه. قال الصغاني: المهرق ثوب حرير ابيض يُسْقى الصمغ ويُصقل ثمَّ يكتب فيهِ والكلمة قديمة قال الحارث بن حِلزَة في معلَّقتهِ:

واذكروا حِلفَ ذي المجاز وما م قُدِّمَ فيهِ العهودُ والكفلاءُ
حذَرَ الجَوْر والتعدّي وهل م ينقض ما في المهارِقِ الاهواءُ

وقال ايضاً (التاج ٧: ٩٦) في الأَطلال شبَّهها بكتابة الحبش:

آياتُها كمَهارقِ الحُبْشِ

وقال الاعشى يذكر الأَدعية المرقومة في المهارق (اللسان ١٢: ٢٤٧):

ربّي كريمٌ لا يكدّر نعمةً فاذا تُنوشد في المهارِق أنشدا

وكذلك كتبوا على (العَسيب) اي جريد النخل قال امرؤ القيس:

لمن طَلَل ابصرتُهُ فشجاني كخطّ زبور في عسيبٍ يماني

وفي الهذليَّات قولهُ:

او زُبُر حِمْيَرَ بينها احبارُها بالحِميْريَّة في عَسيبٍ ذابلِ

وكتبوا ايضاً على الالواح (واللَّوْح) كلّ صفيحة عريضة من خشب او عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن: «في لوح محفوظ» (والرَّقيم) اللوح من الرصاص. قال امية بن ابي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع اصحاب الكهف حيث رُقم نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الَّا الرَّقيمُ مُجاورًا وصِيدَهمُ والقومُ في الكهفِ هُجَّدُ

وسمَّوا مجموع الاوراق المكتوبة (كتاباً) قال زهير في معلَّقتهِ عمَّا يخفى في قلوب البشر فيدينهُ الله في الآخرة:

يؤخَّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

وقال عديّ بن زيد الشاعر النصراني في الانجيل (شعراء النصرانيَّة):

ناشدْتَنا بكتاب الله حُرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

ودعوا الكتاب (بالقطّ) جمعهُ القُطوط وهو في الاصل الجلد الذي يكتَب عليهِ وقال اميَّة يذكر قومهُ بني اياد (التاج ٥: ٢٠٩):

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

وقيل اراد بالقطّ هنا الانجيل. وقال مثلهُ الاعشى:

ولا الملكُ النعمانُ يومَ لقيتُهُ بغبطتهِ يُعطي القطوطَ ويأفقُ

اي يمنح الصكوك للجوائز. وكذلك (الصحيفة) فهي الكتاب ايضاً قال لقيط الإيادي (تاريخ ابن الاثير ١: ١٥٧):

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إياد

ويروى: "كتابٌ في الصحيفة". وسمَّوا الصحيفة (بالمُغَلْغَلة) قالوا انَّها الرسالة المنقولة من بلد الى بلد. قال صخر الغيّ في الهذليَّات (ed. Kosegarten, p. 13):

أبلغْ كبيرًا عني مغلغلةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبْرٌ لمُقترئٍ يَعْرفهُ البُهْمُ ومَنْ حَشَدوا

ومن اسماء الكتاب عندهم (المِصْحَف) وردت في شعر امرئ القيس للدلالة على كتب الرهبان قال:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

ومن اسماء الكتب (المجلَّة) قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٢): «المجلَّة الصحيفة يُكتب فيها شيءٌ من الحكمة» واللفظة آراميَّة. قال النابغة يذكر الكتب المقدَّسة التي كانت في ايدي بني غسَّان: (التاج ٧: ٢٦١)

مجلّتهم ذاتُ الالهِ ودينهم قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العواقبِ

ومثلها (السِّفر) للكتاب من التوراة والانجيل وقد مرّت. وكذلك سمّوا الكتاب (سِجِلًّا) كما ذكر في المخصّص (١٣: ٨) وفي التاج (٧: ٣٧) والكلمة لاتينيَّة (sigillum) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم. وقد عرفوا (القِمَطْر) وهو ما يُصان فيهِ الكتاب فانشدوا (التاج ٣: ٥٠٦):

ليس بعلمٍ ما يعي قِمَطْرُ ما العلمُ الّا ما وعاهُ الصَّدْرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا (الخطّ). قال حسّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ٤٥٤ ed. Wüstenfeld) في رسوم الدار:

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الورق القشيبِ

وكذلك قالوا في (السَّطْر) انهُ الخط والكتابة. واصل الكلمة من الآراميَّة. وروى في تاج العروس لبعضهم (٣: ٦٧٢):

اني وأسطارٍ سُطِرْنَ سطرًا لَقائلٌ يا نصرُ نصرًا نصرا

وقال الشمّاخ (اللسان ٥: ٢٢٩):

كما خطَّ عبرانيةً بيمينهِ بتيماءَ حبرٌ ثمَّ عرَّض أسطُرَا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجة حسنة وهو (العُنْوَان) قال ابو دؤاد الايادي (التاج ٩: ٢٧٢):

« لمن طَلَلٌ كعُنْوانِ الكتاب »

وكانوا يُعنَون بوشي الخطّ وتنميقهِ. قال علقمة بن عبَدة (معجم ما استعجم للبكري ص ٥٠٥):

وذكَّرنيها بعد ما قد نسيتُها ديارٌ علاها وابلٌ متبعّقُ
بأكناف شمَّاتٍ كأنَّ رسومَها قضيمُ صَنَاعٍ في اديمٍ منمَّقِ

وقال المرقّش الاكبر وبهِ لقّب مرقّشاً:

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديمِ قَلَمْ

وقال حاتم الطائي (الاغاني ٧: ١٣٢):

أتعرفُ آثار الديار توهُّمَا كخطّك في رقٍّ كتاباً مُنَمْنَمَا

وخصَّ رؤبة الانجيل بالتوشية فقال (ed. Ahlwardt., p. 149):

انجيلُ احبارٍ وحَى مُنَمْنِمُهُ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلَمُهْ

واشاروا الى بعض حروف الكتابة كقول مرّار بن منقذ في وصف رسوم الدار يشبّه بحرف اللام ما مثَلَ منها :

وترى منها رسوماً قد علَتْ مثل خطِّ اللام في وَحْي الزُّبُرْ

وكان الكتبة يضاعفون العناية في كتابة صورة العنوان · قال الاخنس بن شهاب (المفضَّليَّات ed. Lyall, p. 410) :

لابنةِ حطّانَ بن عوفٍ منازلُ كما رَقَّش العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال ابو الاسود على خلاف ذلك (الاغاني ١١ : ١١١) :

نظرتُ الى عُنوانهِ فنبذتُهُ كنَبْذك نعلًا أُخلِقت من نعالِكا

ومّما ذكروهُ ايضاً من ادوات الكتابة (الدَّوَاة) قال سلامة بن جندل (ديوانهُ ص ١٥ من طبعتنا) :

لمن طَلَلٌ مثل الكتاب المنمَّقِ خلا عهدُهُ بين الصُّلَيْب فمُطرِقِ
اكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتهِ وحادثُهُ في العين جدَّةً مُهرَقِ

وكذلك صرَّحوا بذكر (المداد) اي الحبر · قال المتلمّس يذكر الكتاب الذي اعطاهُ عمرو بن هند لعاملهِ في البحرين يسرُّ اليهِ بقتلهِ (ياقوت ٤ : ٢٢٨) :

والقيتُهُ بالثِني من بطن كافرٍ كذلك أُقني كلَّ قِطٍّ مضلّلِ
رضيتُ بها لمّا رأيتُ مدادَها يجول بها التيّارُ في كلّ جَدْوَلِ

ومثلهُ (النِقْس) جمعهُ أَنقاس قال زهير بن عاصم (البكريّ ص ٥٢٤) :

انَّ بلادي لم تكن أَملاسا بهنَّ خطَّ القلَمُ الأَنقاسا
من السبيِّ حيث اعطى الناسا فلم يدَعْ لُبساً ولا التباسا

وفي الاصل : الانفاسا بالفاء · وهو تصحيف

١٢ بعض الفاظ اخرى متفرّقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض الفاظ وردت في اثار الجاهليَّة بخصوص النصارى واوَّلها اسم (النصرانيّ) وجمعُها النصارى · قال العجّاج في مفردها (ديوانهُ ص ٦٩) :

كما يعودُ العيدَ نَصْرانيُّ وبيعةً لسُورها عِلِيُّ

وقال جابر بن حُنَيّ في جمعها (شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠) :

وقد زعمت بهراء انَّ رماحنا رماحُ نصارى لا تخوضُ الى دمِ

وقال طُخَيم بن الطخمة الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد (ياقوت معجم البلدان ٢ : ٩٥٧) :

بنو السِمط والجدَّاء كلّ سَمَيْدَعٍ لهُ في العروقِ الصالحاتِ عروقُ
واني وان كانوا نصارى أُحبُّهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويَتُوقُ

وقال القطاميّ يذكر نساء النصارى في صومهنَّ (التاج ٨ : ٩٩) :

يَلُذْنَ بأعقار الحياضِ كأنَّها نساءُ النصارى أصبحت وهي كُفَّلُ

ومثلهُ لحسَّان (ص ٢٤ من طبعة تونس) :

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمَّا توارى في الضريحِ المُلحَدُ

ولعبدالله بن الزبير في حجَّار بن ابجر العجليّ (الاغانيّ ١٣ : ٤٦) :

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجْلًا ومن يكُنْ كذلك اهلٌ ان يَسود بني عجلِ

وقال في التهذيب: وجاءَت أنصار جمع نَصْران (اي النصرانيّ) وانشد :

لمَّا رأيتُ نبطًا أنصارا

يريد نصارى من النبط (اللسان ٧ : ٦٨ والتاج ٣ : ٥٦٩)

وكذلك قالوا في مؤنث نَصْرَان « نَصْرانة » قال ابو الاخزر يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الاعياء فشبههما بالنصرانيَّة تطأطئُ رأسها بصلاتها :

فكِلْتاهما خرَّتْ وأَسْجدَ رأسها كما أَسْجَدَتْ نَصْرانةٌ لم تحنَّفِ

وبنوا منهُ فعلًا فقالوا « تنصَّر » اي دخل في دين النصرانيَّة. قال حاتم الطائيّ يذكر ديار لحيان وكانوا نصارى (الاغاني ١٦ : ١٠٤) :

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بِلِحْيانَ حتى خفتُ ان أتنصَّرا

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة يهجو جميل بن معمر وقومهُ (الاغاني ٦ : ١٥) :

نحنُ منعنا ذا القرى من عدوِّنا وعُذرةَ اذ نلقى يهودًا وبعثرا
منعناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

ومما خصّوهُ بالنصارى (الإرَان) وهو سرير الميت او تابوت من خشب كانوا يحملون عليهِ موتاهم. هكذا رواهُ شارح ديوان طرفة (شعراء النصرانيَّة ٣٠٠) حيث قال في معلّقتهِ يصف ناقتهُ:

أَمُونٍ كأَلواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها على لاحبٍ كأَنَّهُ ظهرُ بُرْجُدِ

قال التبريزي في شرح المعلّقات (ed. Lyall, 33): الإِران تابوت كانوا يحملون فيهِ ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم. وقال امرؤ القيس (ed. de Slane: p. ٣٠)

وعَنْسٍ كأَلواحِ الإران نَسأْتها على لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَرَاتِ

قال الشارح (id., p. 99): الإِران سرير موتى النصارى

ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس. قال في التاج (٤: ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى. والمرجَّح ان اصل الكلمة من اليونانيَّة (ναός) ومعناها الهيكل والمدفن

ومما ذكروهُ للنصارى (البُوق) وهو النفير الذي يُنفخ فيهِ. انشد الاصمعي (التاج ٦: ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكنديّ:

«زَمْرَ النصارى زمَّرت في البوقِ»

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الابواق في حفلاتهم

ومن غريب ما نسبوا الى النصارى اكرام (الوثن) كما مرَّ سابقاً وقالوا «الوثن الصليب». وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقويَّة عند النصارى (اصناماً). كما دعاها جرير (بالزُّون) بمعنى الصنم ايضاً. حيث قال (تاج العروس ٩: ٢٢٩):

«مَشْيَ الهرابذِ حجُّوا بيعةَ الزُّونِ»

وفي هذه الاقوال غلطٌ فاحش لان النصارى لم يعبدوا قطّ الوثن او الصنم او الزُّون. فضلًا عن كون الهرابذة هم المجوس وانَّما يكرّمون الصليب والصور لما تمثّل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب واولياء الله. وشتان بين هذا وعبادة الاصنام

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانيّة

انَّ اعلام الاشخاص في الأُمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك اردنا ان نفرد باباً خاصًّا للاعلام النصرانيَّة التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فلعلَّها تزيدنا علماً بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربيَّة

وممَّا ينبغي التنبيه اليهِ بادئ بدءٍ انَّ الأَعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثمَّ اليونان ثمَّ الرومان لا تفيدنا شيئاً بالاطلاق على توحيدهم. بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للاوثان وخصوصاً للشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدَّمة القسم الاوَّل من كتابنا هذا . وكذلك يُستدلّ من تلك الاسماء انَّ العرب كانوا يعظّمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالَّة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها الَّا بالقول انَّ العرب ألَّهوا الطبيعة في مظاهرها من القوّة والجمال والحياة فرأوا فيها تجلّيات معبوداتهم

وممَّا يولي العجب انَّنا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسماً واحدًا يثبت لنا ما زعمهُ بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انَّ العرب كانوا موحّدين وانَّهم اخذوا التوحيد عن ابرهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوهُ بتوالي الاعصار . فالأَعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى ان اسم اسماعيل ابي العرب عينهِ لم يُروَ لاحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك انَّنا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شُبهاً في شرك العرب كبقيَّة الامم

هذا الى عهد المسيح . وليس الامر كذلك بعد ظهور النصرانيَّة فاننا اذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسّط بين عهد السيّد المسيح الى ظهور الاسلام امكنَّا ان نبيّن من تعدادها انّ النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وانَّ تلك الاسماء انَّما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي

ولعلَّ البعض يرون انَّ عدد هذه الاعلام قليلٌ بالنسبة الى ما ذكرناهُ عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك : اوَّلًا انَّ العرب النصارى

تبعوا غالباً في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون ان يمتازوا باسماء جديدة لم يألفوها في سابق الاجيال

ثانياً انَّ منهم من كان لهُ اكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعموديَّة يسمُّون اولادهم باسم يدلّ على نصرانيتهم واَمَّا في المعاملات العاديَّة فكانوا يطلقون عليهم اسماً آخر مألوفاً كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثاً لا بل نعرف من شهادة تاريخهم انَّ بعض النصارى في جزيرة العرب تسمَّوا باسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونُسي معناها الاصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب اليهِ بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلًا. وهكذا جرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانَّهم بعد تنصُّرهم تسمَّوا باسماء كان اصلها وثنيًا مشيرًا الى معبوداتهم كمركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنَّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انَّ الاعلام نصرانيَّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدَّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصَّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيَّة ومنها اخيرًا ما دلّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدَّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممَّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيَّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمَّى بعضهم في الجاهليَّة باسم ابي البشر. منهم «آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب» قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): «قُتل في الجاهليَّة وهو الذي وضع النبيُّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة». ومنهم آدم مولى بَلْعَنبر ذكرهُ

ابو تمّام في الحماسة ولعلّهُ آدم بن شَدْقم العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعرًا في معجم البلدان (٣: ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (ed.Freytag ١: ١٧٥): قال ابو العلاء: ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإِبراهم على حذف الياء وإِبْرَهَم» وذكر هنــاك اسم شاعر قديم دعاهُ «ابراهيم بن كُنَيف النَّبهانيّ». وممَّن تسمَّى بابراهيم ابراهيم بن أيوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١: ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ ص ٤٠–٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمَّوا بهِ في الجاهليَّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال انهُ «كان مولى رسول الله صلعم» وابراهيم بن عبَّاد الاوسيّ الذي شهد موقعة أحد وابراهيم بن قيس بن معــدي كرب الكنديّ ممَّن وفدوا على نبيّ المسلمين. وابراهيم النجَّار قال «انهُ صنع المنبر لرسول الله». وقد جاء اسم ابراهيم على صورة اخرى وهو اسم أبرَهة ذكرهُ العرب للحبشة وأشهر من دُعي بهِ أبْرَهة الذي حارب ذا نوَّاس وتملّك على اليمن. وبهِ سمي قبلهُ ابرهة ذو المنار احد ملوك اليمن ابن الرائش الذي اشار اليهِ الشاعر في وصف نوب الدهر (حماسة البحتري ٨٣):

وأَصَبْنَ ابرهةَ الذي سجدتْ لهُ صُمُّ الفُيُولِ صوامتًا لم تنطقِ

(إِدْرِيس) ليس هذا الاسم على لفظهِ في الاسفار المقدَّسة. والعرب يزعمون انهُ احد الآباء الاوَّلين قال في تاج العروس (٤: ١٤٩): «هو خنوخ او اخنوخ المذكور في التوراة». وقد تسمَّى بهِ احد النصارى الوافدين على محمَّد رسول الاسلام كما رواهُ ابن الاثير في اسد الغابة (١: ٤٤ و٤٧)

(ارميا) راهب في طور سيناء مات شهيدًا قتلهُ البلاميُّون سنة ٤٧٣ وتذكارهُ في ١٤ كانون الاوَّل

(إِسْحاق) دُعي باسم اسحاق احد شعراء الحماسة في ابي تمّام (ص ١٤٠) وهو اسحاق بن خَلَف. وذكر ابن الاثير من الصحابيّين (١: ٦٨) اسحاق الغنويّ. وممَّن اشتهر باسم اسحاق بين نصارى العرب راهب استشهد في طور سينا قُتل مع

رهبان آخرين في سنة ٤٧٣ وتذكارهُ واقع في السنكسارين الغربيّ والشرقيّ في ١٤ كانون الثاني ويدعونهُ اسحاق سلائيل

(أسرائيل) لم نجدهُ بين الأعلام السابقة للاسلام وسُمّي بهِ بعد الاسلام قليلون كاسرائيل بن يونس الراوي ذكرهُ الطبريّ غير مرَّة في تاريخهِ واسرائيل بن السَّمَيْدع ذكرهُ ياقوت في معجمهِ (١ : ٤٨٢) واسرائيل بن رَوْح (فيه ٢ : ٣٣)

(إسمَعِيل) اقدم ما نعرف ممَّن تسمَّوا بهذا الاسم شهيد نصرانيّ كان ارسلهُ ملك العجم سنة ٣٦٢ للمسيح سفيرًا الى يليانوس الجاحد القيصر الروماني ليبرم معهُ عهد الصلح وكان اسمعيل هذا مع اثنين آخَرين نصرانيَّين مثلهُ اسمهما مانويل (او عمَّانويل) وسابيل فعرض عليهم يليانوس جحود دينهم فأبوا فامر بقتلهم فماتوا شهداء ايمانهم. وعيدهم واقع في الكنيسة في ١٨ حزيران (راجع اعمال البولنديين Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246). وسُمّي بهذا الاسم ايضاً رجلان من الصحابة اسماعيل الزَّبدي ورجل آخر ذكرهما ابن الاثير في أُسد الغابة (ج١ ص٧٩–٨٠)

(اشعيا) هو اسم احد الرُهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

(الياس) ورد هذا الاسم لاحد اجداد نبيّ المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠) وقد زعموا انَّ الاسم مشتق من يئس والصواب انّ الاسم عبرانيّ الاصل وبهِ سُمّي النبي الياس الشهير وبهِ سُمّي بعد الاسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية (اطلب تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٤). ومن المحتمل انَّ اسم «اياس» الشائع عند العرب هو صورة مختلفة لاسم الياس. وبهذا الاسم عُرف احد النصارى وهو اياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية (ص٩٣) شيئاً من شعرهِ. وكان احد سادة قومهِ وابنهُ اياس كان عاملًا لكسرى انوشروان على الحيرة. وممَّن عُرف بين عرب النصارى باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سينا سنة ٣٨٠ تذكارهُ في ٢٠ تشرين الثاني. وكذلك الياس بطريرك اورشليم (٤٨٠–٥١٨) القديس كان مولدهُ في جزيرة العرب

(أيوب) هو اسم بعض العرب في الجاهليَّة منهم أيوب بن مَحروف وهو جدُّ

الشاعر النصراني عديّ بن زيد . قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢ : ١٨) : «كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ اوّل من سُمّي من العرب أيوب ». وذكرهُ في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنهِ ابرهيم عمّ الشاعر عديّ بن زيد وروى قول ابن الكلبيّ فيهما قال : « ولا اعرف في الجاهليَّة من العرب أيوب وابرهيم غير هذين وانَّما سُمّيا بهذين الاسمين للنصرانيَّة » . وقد ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١٦٢) رجلين من الانصار دُعيا بأيّوب ولا شكَّ انَّ هذا الاسم كان اسمهما في الجاهليَّة وهما « أيوب بن بشير الانصاري وأيوب بن مكرز ». وقد ذكر البحتري في حماستهِ (اطلب طبعتنا ص ٢٦٠و٢٦١) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاهُ عُبَيد بن أيوب. وكذلك ورد اسم ايّوب في شعر النابغة حيث قال (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥) :

مستشعرينَ قدَ ٱلفَوْا في ديارهمُ دُعاء سُوعٍ ودعميٍّ وايُّوبِ

يريد انَّ بني قُعَين دعوا الى الحرب هذه الاحياء الثلاثة قال الشارح : « وهم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان »

(بَنْيَامين) هو احد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

(حنَّة) هذا الاسم ورد للذكور والإناث فهو كحنَّان ويوحنَّا . امَّا للاناث فهو كاسم حنَّة امّ صموئيل . ومن الاوَّل حنَّة والد عمرو الصحابيّ الانصاريّ وابو حنَّة البدري ذكرهما في تاج العروس (٩ : ١٨٥) . وامَّا من الثاني فحنَّة بنت هاشم بن عبد مناف القرشيّ عم محمَّد ذكرها اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٨١و٢٨٣)

(حوَّاء) ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (٥ : ٤٢٩) اربع نسوة من الانصاريَّات عُرفن باسم حوَّاء فتسمَّين بهِ في عهد الجاهليَّة وهنَّ حوَّاء بنت السكن امّ بجيد الحارثيَّة زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة . وحوَّاء بنت رافع بن امرئ القيس . وحوَّاء بنت زيد بن السكن وكلّهنَّ من بني عبد الاشهل . والرابعة حوَّاء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شمَّاس . وقد اختلفوا في نسبهنَّ وعددهنَّ

(حَيقار) هو من الاسماء الكتابيَّة ورد في سفر طوبيَّا في الترجمة اليونانيَّة (١ : ٢٣) . وفي تاريخ الطبريّ (١ : ٧٤٥) انَّ احد بني معدّ بن عدنان الذين خرجوا مع اليمنيين الى الريف كان يدعى بالحَيقار بن الحيق

(داوُد) هو احد اعلام النصرانيَّة المتواترة في الجاهليَّة · واقدم من عُرف بهِ احد ملوك الضجاعمة الذين سبقوا غسَّان وتنصَّروا مع بني سليح واسمهُ « داود اللثق » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) « هو الذي يُضاف اليهِ دير داوُود بالشام وقد ملك زماناً » · وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبهُ فقال : « هو داود بن هبولة اخي هبالة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعم » · ويروى اسم داوُود على صورة دؤاد قال الاسود بن يعفر (حماسة البحتريّ ص ٨٣) يصف منازل آل محرّق :

ارضٌ تخيّرها لطيب مَقيلها كعبُ بن مامةَ وابنُ امّ دؤادِ

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهليَّة « ابو دؤاد الايادي » اطلب شعرهُ في حماسة البحتري (ص ٨٧) · وقد ذُكر هنالك (ص ١٤٤) شاعرٌ آخر دُعي داوُد وهو داوُد بن حَمَل الهمذانيّ · ومن موالي الانصار داود بن بلال (ذكرهُ في اسد الغابة ٢ : ١٢٩)

(زكريَّا) دُعي بهذا الاسم احد بني خزاعة وهو زكريّاً بن علقمة الخزاعيّ ذكرهُ ابن الاثير في أُسد الغابة (٢ : ٢٠٥) وقال انهُ دُعي ايضاً كُرْزًا · وذكر في الاغاني (١٩ : ١٢) زكريّاً بن ثباة الثقيفي

(سُلَيمان) ذكر اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٩٩) بين حكّام العرب في الجاهليَّة سليمان بن نوفل ممَّن حكَّموهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم · وذكر البحتريّ بين قدماء الشعراء (في حماستهِ ص ٢٢٦) سليمان بنَ المُهاجر العدويّ · وروى ابو تمَّام (ص ٤٣٥) شعرًا لسُليمان بن قتَّة · وذكروا بين الانصار عدَّة رجال دُعوا باسم سليمان كسُلَيمان الليثي بن اكيمة وسُلَيمان ابن ابي حثمة القرشي وسُلَيمان بن صُرَد الخزاعي وسُليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أُحد وسليمان بن مُسْهر وسليمان بن هاشم ابن عُتبة القرشي (اطلب أُسد الغابة ٢ : ٣٥٠ — ٣٥٢) · ولعلَّ الذين تسمَّوا في الجاهليَّة بسُلَيم وسلَّام وسَلْمان وسالم اشاروا باسمائهم الى سُلَيمان · والدليل عليهِ ما ورد من الشعر في سُلَيمان الحكيم بتغيير صورة اسمهِ فدعاهُ الاسود بن يعفر سلَّاماً قال (التاج ٨ : ٣٤٤) :

ودعا بمحكمةٍ امينٌ سكُّها من نَسْج داودَ ابي سلَّامِ

ومثلهُ للحطيئة :

فيهِ الرماحُ وفيهِ كل سابغةٍ جلَّاءَ مُحْكَمَةٍ من نسجِ سلَّامِ

ودعاهُ النابغة سُلَيْماً فقال ناسباً اليهِ نسج الدروع (ديوانهُ ص ٩٩)

وكلّ صَموتٍ نَثْلةٍ تُبَّعيَّةٍ ونسجُ سُلَيْمٍ كلُّ قضَّاء ذائلِ

(سِمْعان) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كتابيًّا او نصرانيًّا محضاً وقد دُعي بهِ قوم في الجاهليَّة منهم سِمْعان بن عمرو بن قريط سيّد بني كلاب الذي كتب اليهِ رسول المسلمين يدعوهُ الى الاسلام فرقع دلوَهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٩—٢٠ ed. Wellhausen) ثمَّ خاف واسلم . وذكر ابو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٥٤ ed. Goldziher) سمعان بن هُبَيْرة قال : « وهو ابو السمَّال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة » وقالوا انهُ كان في الردَّة . وفي أُسد الغابة لابن الاثير (٢ : ٣٥٥) صحابيَّان كان اسمهما سمعان وهما سمعان بن خالد الكلابي وسِمْعان بن عَمْرو بن حجر ولعلّ الاوَّل منهما هو الذي ذكرهُ ابن سعد . واسم سمعان ورد ايضاً على صورة شِمْعون كما سترى (راجع ياقوت معجم البلدان ٢ : ٦٧٢)

(السَّمَوْءَل) وهو سموئيل وصَمُوئيل وشموئيل ايضاً . وقد اثبتنا في ديوان السموءَل ما يرجح كون السموءَل بن عادياء نصرانيًّا وعليهِ يكون الاسم شاع ايضاً بين النصارى . وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبرًا من اليهود يُدعى سَموئيل بن زيد (ص ٣٥٢ و٣٩٨ ed. Wüstenfeld)

(عِمْرَان) ومثلهُ (عَمْرو) اسمان شائعان بين عرب الجاهليَّة ولعلَّهم استعاروهما من عَمْرام و عُمْري الواردين في التوراة فعَمْرَام هو ابو موسى وهارون ومريم (عدد ٣ : ١٧) ورُوي في القرآن عِمْران فجعلهُ كابي العذراء مريم (٣ : ٣١ و٦٦ : ١٢) . وعُمْري اسم لاحد ملوك اسرائيل ولبعض ابناء اسرائيل . وممن شتهروا باسم عمرو في الجاهليَّة عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قميئة وعمرو بن الاهتم التميمي وغيرهم . واشتهر باسم عِمْران عِمْران ابن مرَّة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

(مريم) تعدَّدت نساء العرب المدعوَّات بمريم نذكرهنَّ في الباب الثالث

(موسى) دُعي بهِ بعض العرب قبل الاسلام كموسى بن الحارث (سيرة الرسول ص ٢١١) وابي موسى الاشعريّ (ابن سعد ٧٠) وموسى بن جابر الحنفيّ احد شعراء الحماسة قال في خزانة الادب ولبّ لُباب لسان العرب (١ : ١٤٦) : « هو احد شعراء

بني حنيفة المكثرين يقال لهُ ابن الفريعة وهي امُّهُ ويقال كان نصرانيًّا ».وكان اسم رسول الغسّانيين موسى وهو منصِّرهم في القرن الرابع كما مرَّ في القسم الاوَّل. وكذلك احد المستشهدين من نسَّاك العرب في جبل سينا سنة ٤٧٣ كان يُدعى موسى

(لوط) ذكر ابن سعد في الوفادات (ص١٩ ed. Wellhausen) في جملة الرواة المعاصرين لنبي المسلمين « لوط بن يحيي الازديّ »

(النُعمان) اقدم من ذكرهُ التاريخ بهذا الاسم النَّعمان بن بنيامين بن يعقوب (تكوين ٤٦: ٢١) وبهِ عُرف قائد ملك سوريّة الذي ابرأَهُ اليّا النبيّ. وقد شاع بعد ذلك بين العرب ولعلَّهم استعاروهُ من الاسفار المقدَّسة

(نوح) سُمّي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجْلد ورد ذكرهُ في أُسد الغابة (٥:٥٤) . وذكر في الاغاني (٢١: ٩٠) رجلًا دعاهُ بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا. اسم احد من الجاهليَّة دُعي بهارون. ولعلَّ هارون بن النعمان بن الاسلت الاوسي (الاغاني ١٥: ١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سُمي بهِ قبل الاسلام

(يَعْقُوب) كان من شهداء طور سينا سنة ٤٧٣ المسمَّى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥: ١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهليَّة الذين أسلموا يَعقوب بن اوس ويَعقوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمَعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٤: ٦٤) من جملة المغنّين في اوَّل عهد الاسلام يعقوب بن الهبَّار

(يُوسف) عُرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sanctorum, III Apr., p. 19) . ومن المدعوّين بهِ يوسف بن الحكَم الثقفي وكان في اوَّل ظهور الاسلام. وذكر ابن الاثير (٥: ١٣٢) يوسف الفهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبيّ. وذكروا بين الانصار يونس بن شدَّاد الازديّ ويونس المظفَّري الاوسي (اسد الغابة ٥: ١٣٢) فالاسم سبق الاسلام. والدليل عليهِ ايضاً اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس (Jonas). ثمَّ انَّ هذا الاسم اذا شُدّدت النون يراد بهِ اسم يوحنَّا النصراني على لفظ اليونانيَّة (Ἰωάννης) كما سنبيّن

٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم او لبعض صفاته

هو الصنف الثاني من الاعلام النصرانيَّة وما تختصّ بهِ هذه الاعلام انها تحتوي على الاسم الكريم بلفظهِ او ببعض صفاتهِ الالهيَّة

فمن ذلك الاسماء التي تُختم بإِيل. ورد في تاج العروس (٧ : ٢١٨) : « قال الاصمعي في معنى جبريل وميكائيل: معنى ايل الربوبيــة فأضيف جَبر وميكا اليهِ فكأَن معناه عبد إِيل ورَجُل ايل. وقال الليث: هو بالعبرانيَّــة وهو اسم من اسماء الله تعالى » وقد مرَّ في ذكرنا للملائكة ما ورد في الشعر الجاهــلي من ذكر جبريل وميكائيل واسرافيل وما اشبهها. واماَّ هل دُعي احدٌ في الجاهليَّة بهذه الاسماء فلم يحضرنا من ذلك شيء الَّا جبرئيــل بن ناشرة المعافري احد رفقة عمرو بن العاص (اطلب معجم البلدان لياقوت ٣ : ٨٩٦)

ولا يبعد انَّ اسم « جَبر » الشائع في الجاهليَّة كان مقتصر عن « جبريل » كجَبر بن عتيك وجَبر بن عبدالله القبطيّ وجَبر الكندي كانوا في اوَّل الاسلام وقـد سبقت اسماؤهم الاسلام (اطلب أُسد الغابة لابن الاثير ١ : ٢٦٥ — ٢٦٧). ويدخل في هذا الباب اسماء عبرانيَّة ورد ذكرها في الفصل السابق في جمـلة الاعلام المنقولة عن الاسفار المقدَّسة كاسرائيل واسمعيل

ومنها (شَراحيل) احد الاسماء الشائعة في الجاهلية كشَراحيل بن مالك بن ذبيان من اشراف العرب وشراحيل بن مرَّة الهمداني وشراحيل بن زرعة الحضرميّ (تاج العروس ٧ : ٣٨٩) وشراحيل بن عبد قيس البلويّ (حماسة البحتري ص ١٩٦) وبني شراحيل بن الشيطان بن حارث (اشتقاق ابن دريد ص ٢٤٣) وغيرهم ايضاً والاسم آرامي معناه « أَطلق الالهُ »

ومنها (شُرَحْبيل) شاع ايضاً في الجاهليَّة كشُرَحْبيل بن السِّمط (اشتقاق ابن دريد ص ٢١٨) وشُرحبيل ذي رُعَين الحميري (ص ٣٠٧) وشرحبيل بن حَسَنة وشرحبيل بن عبدالله من الصحابة المهاجرَين الى الحبشة (سيرة الرسول ص ٢١٣) وشُرَحْبيل بن غيــلان (ص ٩١٥) وغيرهم. ولعلَّ هذا الاسم هو كالاسم الآرامي

شربل (ܫܪܒܝܠ) عُرف بهِ احد شهداء النصرانيَّة في مدينة الرها ودُعي بهِ احد جثالقة الكلدان

ومنها (شَمُويل) ولا نعرف نصرانيًا دُعي بهِ في الجاهليَّة وقد ذكر ابن هشام من يهود قريظة الذين اسلموا (ص ٣٥٢) شَمُويل بن زيد وعزّال بن شمويل والاسم عبرانيّ معناهُ عَظم الله. وقد سبق ان اسم « السموءل » هو كشموئيل او صموئيل

ومنها (شَمْعَلة) وهو اسم بعض شعراء النصارى اخصُّهم شَمْعَلة بن فائد وشمعلة بن الاخضر الضبيّ (تاج العروس ٧: ٣٩٩ وحماسة ابي تمّام ٢٨٢ و٦٤٠). وذكر ابن سعد بين الوافدين على محمَّد المسمَّى شمعلة. وفي الاغاني (١٠: ٩٩) شَمْعلة بن عامر شاعر نصراني حملهُ بعض خلفاء بني اميَّة على الاسلام فام يُسلم « فغضب فامر بهِ فقُطعت بضعة من فخذهِ وشُويت بالنار واطعمها ». ويقال شَمْعل ايضًا (كامل المبرّد ed. Wright, p. 524) وعلى رأينا انَّ هذا الاسم تعريب إِسمعيل ومعناه « سمع الرب »

ومنها (شَهْمِيل) وقيل شِهْميل ابو بطن من العرب وهو اخو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا. ولعلَّ معناه « عزَّ الرب وجلَّ »

ومن هذه الاسماء ما أُضيف الى اسم الله وقد مرَّ الكلام في هذا الاسم الكريم واصلهِ. فمن ذلك (أَحمَس الله) ورد في كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen Skizzen, ص ٦٩) « وأَنَس الله » (ص ٦٦ .Ibid وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢١٩) « وأَوس الله » بمعنى عطاء الله (تاج العروس ٤: ١٠٢ — ١٠٣) و « تيم الله » بطن من بني بكر بن وائل وبطن من النمر بن القاسط (التاج ٨: ٢١٦) و « وهب الله » في الكتابات الحورانيّة وغيرها (Journ. As., 1882, p. 8-10)

فهذه الاسماء باضافتها الى الاسم الكريم تدلُّ على توحيدهِ تعالى الذي دخل كما سبق الى بلاد العرب على يد دُعاة النصرانيّة خصوصًا

واشهر منها اسم « عبدالله » الذي كان يعمّ كل انحاء جزيرة العرب. وهذا الاسم ورد على صورتين امَّا باضمار الاسم الكريم وامَّا بالتصريح بهِ وكلاهما قد تسمَّى بهِ نصارى كثيرون في الجاهلية

فامّا الصورة الاولى فقد جاء على صورة (عَبْد) كعبد بن حنيف احد بني لِحْيان من لخم باني دير الأُكَيراح (معجم المستعجم ص ٣٧٣) وكطرَفة بن العبد الشاعر الشهير وعلى صورة (عَبْدَة وعَبَدَة) كعَبَدة بن الطبيب (الاغاني ١٨: ١٦٣) وعلقمة بن عَبَدة وكلاهما من فحول الشعراء

وعلى صورة (عَبْدان) اسم رجل من اهل البحرين (التاج ٢: ٤١١) وعلى صورة (عُبَيد وعَبِيد) كعُبيد بن الابرص الشاعر الشهير (الاغاني ١٩: ٨٤) وعُبيد بن عُوَيج القرشي (الاغاني ٦: ٦٠) وعُبيد بن اوس الظفري وعُبيد بن رفاعة الزرقيّ (أُسد الغابة لابن الاثير ٣: ٣٤٦ — ٣٤٨). وعلى صورة (عُبَيْدَة) كعُبَيْدة بن عبد المطلب (اشتقاق ابن دريد ص ٥٤). وعلى صورة (عابد) كعابد بن عبدالله بن مخزوم (تاج العروس ٢: ٤١٤). وقد مرّ ان « العِبَاد قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانيَّة » (ابن دريد ص ٧). وقد وردت ايضاً على صورة (عُبادة) كعُبادة بن عقيل (ابن دريد ص ١٨٢) وصورة (عَبُّود) روى في التاج (٢: ٤١٣) اسم رجل يُدعى عبُّودًا آمن بالانبياء. وعلى صورة (عبَّاد) كعبَّاد بن عمرو بن كلثوم الشاعر النصراني (الاغاني ٩: ١٨٣) وكالحارث بن عباد سيّد بني بكر في حرب البسوس (شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠). وعلى صورة (عُبَادى) قال في التاج (٨: ٤١٤) انهُ « اسم نصرانيّ ». وعلى صورة (عَبدون) المنسوب اليهِ دَيْر عَبدون (مستعجم البكريّ ٤٧٤)

اما المضاف الى الاسم الكريم (فعَبْدالله) وهو اسم كثر مَن تسمَّى بهِ من اهل الجاهليَّة حتى بلغوا المئين كعبدالله بن جدعان سيد قريش وممدوح اميَّة بن ابي الصلت (الاغاني ٨: ٢ — ٦) وعبدالله ابي رسول الاسلام. وكالشاعرَين عبدالله بن رواحة (الاغاني ٤: ٤ — ٧) وعبدالله بن الزِبَعْريّ (أُسد الغابة ٣: ١٥٩) وعبدالله بن غَطَفان (التاج ٧: ٢٣٩) الخ. وقد جاء على صورة التصغير (عُبَيْد الله) كعُبَيْد الله ابن الحرّ الجعفيّ الفارس الشاعر (ابن دريد ٢٤٣ وحماسة البحتري ص ١٠٣) وعُبَيد الله بن عبد المدان (حماسة البحتريّ ص ١٣٧). وكذلك اختصروه (بعَبْدَل) كعَبدل بن حارث العِجْلي وعبدل بن حنظلة احد شرفاء العرب (التاج ٢: ٤١٤)

وقد اضافوا العبد الى الاسماء الحُسْنى الدالَّة على الاله الحقّ فقالوا (عَبْد الواحد)

كعَبْد الواحد بن منيع السَّعْديّ (حماسة ابي تمَّام (ص ٣٠٣ ed.Freytag)

وقالوا (عَبْد الرَّحمان) كعَبد الرحمان بن رَواحة من الصحابة (ابن دُريد ٢٦٨) وعبد الرحمان بن كعب (فيهِ ٢٧١) وعبد الرَّحمان بن رِبْعي (حماسة البحتري ص ٣٣) وغيرهم كثيرين . روى ابن دريد في الاشتقاق عن ابن الكلبي (ص ٣٦) انَّ « الرَّحمان صفة منفردة لله تبارك وتعالى اسمهُ لا يوصف بها غيرهُ . . . وقال ابن الكلبي وقد سمَّت العرب في الجاهليَّة عبد الرحمان . . . ورُوي للشنفرى في الرَّحمان :

لقد لطمَتْ تلك الفتاةُ هَجينها ألَا بَتَرَ الرحمنُ ربّي يمينَها »

واقدم الآثار التي ورد فيها اسم الرحمان الكتابة الحميريَّة التي رُقمت على سُدّ مأرب سنة ٥٤٢ — ٥٤٣ للمسيح بامر أبرهة ملك الحبش ففي اوَّلها ما تعريبهُ « بقوَّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحهِ وروحهِ القدُّوس » (راجع الصفحة ٦٣ من الجزء الاوَّل) وعليهِ قد ثبت انَّ اسم الرحمان اسم نصراني واليهِ انتسب الذين دُعوا باسم عبد الرحمان . ومثلهُ (الرحيم) كعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (حماسة ابي تمام ص ٤٩ و ٥٤)

وقد اضافوا العَبْد الى اسماء حُسنى غيرها كالأعلى من صفاتهِ تعالى فقالوا (عَبد الأَعلى) كعبد الاعلى بن صامِت العَبْدي (حماسة البحتري ص٢٠٣) . وكذلك اضافوا الى الملك فقالوا (عَبد الملك) كعبد الملك المذكور آنفاً . وعبد الملك بن أُكَيْدر صاحب دومة الجندل النصراني السابق ذكرهُ وعبد الملك بن علقمة الثقفيّ (أُسد الغابة ٣ : ٣٣٢) . واضافوا الى المنَّان فقالوا (عبد المنَّان) منهم عبد المنَّان بن عبد المسيح المتلمّس الشاعر النصراني (الاغاني ١١ : ١٨٧) . والى الحَميد فقالوا (عَبد الحَميد) منهم عبد الحميد ابن حفص بن المغيرة المخزومي (أُسد الغابة ٣ : ٢٧٦)

فهذه الاسماء كلها تشير الى توحيد اصحابها في الجاهليَّة وقد سبق القول انَّ اعتقاد الاله الواحد في الجاهليَّة دخل خصوصاً بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أُخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها الى الوثنيَّة وانما سقطت عن معناها الاوَّل كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصُّرهم . فمن ذلك (عبد قيس) و (امرؤ القيس) تسمَّى بها النصارى كما مرَّ وان كان اسم قيس يدلّ على بعض اوثانهم القديمة . وكذلك (المَدَان) من اوثان حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان

في اليمن من اشراف نصارى نجران. ومثلهُ (كِلَال) واليه نُسب عبد كِلَال احد ملوك حمير المتنصرين كما سبق. ومثلهُ ايضاً (العزيز) كان من اصنام بعض قبائل العرب. وبه عُرف عَبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري. وذُكر في تاج العروس (٢ : ٤١٢) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل. وقالوا ان ياليل اسم صنم (١

ومثلهُ (يَغوث) تسمَّى به عبد يغوث الحارثيّ سيّد بني مذحج (الاغاني ١٢ : ١٥٣)

هذا ما حضر لنا من اسماء اهل الجاهليَّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى. ولا شكّ انها دخلت بينهم بتأثير النصرانيَّة

٣ الاعلام النصرانية المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانيَّة التي شاعت بين عرب الجاهليَّة وهذه الاعلام يستدلّ من مجرَّد منطوقها انَّها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم :

(أَبجَر) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأَبجر بن جابر سيد بني عجل النصارى (الاغاني ١٠ : ٢٧) والعرب يشتقُّونهُ من « بَجرَ » اي عظم بطنُهُ. ولعلّ الاصحّ اشتقاقهُ من السريانيَّة ومعناهُ فيها الاعرج وبهِ عُرف ملوك الرُّها الاباجرة

(أَفريم) هو اسم نصراني يُشار بهِ الى ملفان السريان القديس افرام الكبير. وقد عُرف بهِ أَفريم أُسقف الحيرة الذي ذكرتهُ هند الكبرى في كتابتها التي اوردناها في الجزء الاول (ص ٩١)

(إيشوع) و (يَشوع) ورد في الاسم الاضافيّ عبد يشوع كما سترى. وجاء مفردًا ايضاً لبعض اساقفة العراق كايشوع بَرنون (كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ٧٥)

(ايليا) هو اسم الياس الذي مرَّ ذكره ولعلَّهُ على هذه الصورة شاع بين

١) راجع كتاب ڤلهوزن (Wellhausen: *Reste arabischen Heidentums*, 2 ed., p. 4)

النصارى خصوصاً . وممَّن تسمَّى بهِ ايليا اسقف نجران الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٨) وايليا الكشكراني (المجدل ٣٨)

(بولس) جاء في اعمال شهداء نجران انَّ ذا نوَّاس لمَّا دخل نجران غيلةً وقتل اهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفى قبل ذلك بسنتين فأحرق رممهُ

(جرجس) شهيد النصرانيَّة المعروف . وبهذا الاسم عُرف جرجس اسقف العرب الكاتب السريانيّ الشهير . وكان اسقفاً على بني طيّ في اواسط القرن السابع (Duval : *Littérature Syriaque*, p. 377)

(جُرَيج) وقيل (جَريج) عُرف بهِ جُرَيج الراهب (الطبري ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧) وعبد الملك بن جريج وشَبَث بن قيس بن جريج (تاج العروس ٢ : ١٥) وورد جُرَيج بين اعلام اليمنيين (الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩) . والاسم على رأينا شبيه بجرجس او مشتقّ منهُ (اطلب الملحقات بتاريخ الطبري .Add DLXXXIII) وقد ورد عند العرب على صورة جُرْجه . قال في التاج (٢ : ١٥) : « بنو جُرْجه المكيُّون » ولعلّ بعض هذه الاسماء العربيَّة مشتقَّةً عن اسم القديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن واسقف الحميريين (راجع القسم الاوَّل ص ٦٤)

(رُومان) عُرف بهذا الاسم عند العرب بنو رُومان بطن من بني طي (ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨) وكان لنبي المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكرهُ في التاج (٨ : ٣٢٠) . وذكر معهُ صحابيًّا يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة . وامُّ رومان بنت عوير الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام . وكذلك ذكر ابنُ سعد (ص ١٩) في كتاب الوفود يزيدَ بن رومان . ولا نشكّ في ان هذا الاسم تعريب رومانوس احد مشاهير القديسين في حدود العرب . وقد جاء على لفظهِ الاعجميّ في تاريخ الطبري (١ : ٢٢٠٢) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاعة كان عليها رئيساً « رومانوس بن وبَرَة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٧٩) ذكر « ابن رومانوس الكلبيّ » وقال هناك انهُ « كان اخا النعمان »

(سَرْجِس) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بكُس او باخوس على عهد مكسيميانوس المغتصب في اوائل القرن الرابع . وقد عرف العرب النصارى امرهُ

وكان على اسمهِ عدّة اديرة (راجع معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤). لا بل تسمّى باسمهِ بعض نصارى العرب. فقد ذكر الطبري (١ : ١٨١٢) راوياً كان في بدء الاسلام دعاه موسى بن سَرجس. وكذلك ذكر للزُبير غلاماً باسم سَرجس (١ : ٣١٨٥). وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في ردّهِ على الهاشميّ (طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢) انَّ الذي تردَّد على محمَّد نبيّ الاسلام كان اسمهُ سرجيوس. ولقبهُ بُحيرا معناهُ العالم وهو الذي اشار اليهِ في القرآن في سورة النحل (عدد ١٠٥) حيث قال عن المكيين: «ولقد نَعلم انهم يقولون انَّما يعلّمهُ بشرٌ». ولعلَّ اسم سرجون صورة أُخرى من هذا العلَم. وقد عُرف في دمشق يوم فتح العرب «سرجون بن منصور الروميّ» الذي دعاهُ الطبري (٢ : ٢٠٥ و٢٢٨) «كاتب معاوية وصاحب امرهِ». وهو ابو القديس يوحنا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او سُمّي بجدّهِ ابن منصور وعنده كان ينزل الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٤). وقد ذكر في الاغاني (١٤ : ٩٤ و ١٦ : ٢٢) كنديم النعمان بن المنذر المسمى «سرجون بن نوفل»

(سمعان) و (شمعون) قلنا سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣) انهُ من المحتمل ان يكون ايضاً هذا الاسم نصرانيًّا محضاً وذلك امَّا اشارةً الى القديس سمعان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل او الى سمعان العمودي الشهير بين العرب. وممَّن يضاف الى من ذكرنا سابقاً «اوس بن سمعان» الصحابيّ (اسد الغابة ٢ : ١٤٦) وابو ريحانة شمعون بن يزيد الازدي (التاج ٥ : ٤٠٣ وأُسد الغابة ٣ : ٤). وشمعون اسم لاساقفة وحبساء اشتهروا قبل الاسلام في العراق وجهات العرب كشمعون اسقف الانبار في ايام الملك انو شروان (تاريخ ماري بن سليمان ed. Gismondi. 53) وشمعون اسقف الحيرة (فيهِ ص ٥٦) وشمعون بن صباعي الشهيد اسقف المدائن (ص ١٦)

(شمَّاس) قد كثر هذا الاسم في الجاهلية وبهِ عُرف بطن من تميم «بنو شمَّاس» ومنهم قيس بن شمَّاس ذكرهُ في الحماسة وشمَّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أُحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم ايضاً. والبعض يشتقُّون هذا

الاسم من شِماس الفرس اي جموحهِ . ومن المحتمل ان اصل هذا الاسم من السريانية (ܡܫܡܫܢܐ) بمعنى خادم الدين . والله اعلم

(عبد المسيح) هو ادلُّ الاسماء العربيَّة على نصرانيَّة الذين تسمَّوا بهِ وعددهم بين العرب ليس بقليل واقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جرهم سادس ملوك جرهم على مكَّة الذي ذكرناه في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ١١٦) . ومنهم عبد المسيح ابنُ عَسَلة الذي روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ٢٥٤) نقلًا عن المفضليات . ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسَّاني كان سيد اهل الحيرة واحد المعمَّرين . قال ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٨ : ed. Goldziher) انهُ « ادرك الاسلام فلم يسلم وكان منزلهُ في الحيرة وكان شريفاً في الجاهليَّة » . وذكر لهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ديرًا بناهُ عُرف باسمهُ كان بظاهر الحيرة وفيهِ وُجد قبره وكان عليهِ مكتوباً :

حَلَبْتُ الدهر أَشْطُرَهُ حياتي ونلتُ من المُنَى فوق المَزيدِ
فكافحتُ الامور وكافحتني فلم اخضع لمُعضِلةٍ كَؤُودِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ الثُريَّا ولكن لا سبيلَ الى الخُلودِ

ولعبد المسيح هذا شعر رُوي في كتب الادب سنجمعهُ ان شاء الله . وممَّن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعرُ الجاهلي الشهير بالمتلمس واسمهُ عبد المسيح بن جرير (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٣٣٠) . ومنهم عبد المسيح بن الديَّان من سادة نجران قال الاعشى يمدحهُ وآلهُ (شعراء النصرانيَّة ٣٨٢) :

وكَعْبَةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخيْ بأبوابها
نزور يزيدًا وعبدَ المسيح وقيساً وهم خيرُ أربابها

وذكر ياقوت (٤ : ٧٥٦) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عديّ بن معقل وقال هناك انَّ كعبة نجران كانت لهُ وهي قبَّة من أَدَم وثلثمائة جلد يؤمَّن فيها الخائف ويُرفَد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب (قال) وكانت على نهر بنجران . ومن وفود نجران على نبي المسلمين احد اساقفتهم يُدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود (ص ٧٦) انهُ كان من كندة وان اسمهُ عبد المسيح . ومنهم ايضاً « عبد المسيح بن الموَهب » الذي روى لهُ البحتري شعرًا في حماسته (اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا) .

هذا فضلًا عن اساقفة بهذا الاسم تولّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانيّة وكان بينهم رجال من اصل عربي

(عبد ياسوع) ذكر صاحب التاج (٢: ٤١٢) هذا الاسم لاحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. واشهر منهُ (عبديشوع) او (عبد ايشوع) على اللفظ السرياني. وبه عُرف في جهات العراق قبل الاسلام عدة اساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبيس ذكره ابن ماري في المجدل (ص ٢١) وعبد ايشوع الميشاني صاحب العمر (ص ٢٨) وعبد يشوع القناني رسول العرب (فيه)

(عديّ) هو اسم شاع في الجاهليَّة وتسمَّى بهِ كثير من نصارى العرب كعدي ابن زيد الشاعر النصراني الشهير (شعراء النصرانيَّة ص ٤٣٩) وعدي بن حنظلة (تاريخ الطبري ٢: ١٠١٦) وعدي بن اوس ابن مارينا (فيهِ ايضاً ١: ١٠١٨) وعديّ بن حاتم الطائي (١: ١٧٠٦ — ١٧١٠). وعلى ظنّنا ان هذا الاسم اعجمي اصلهُ ادّي او عدّي كان احد تلامذة المسيح ومبشرًا لايمانهِ بين الكلدان والعرب وقد افاض المؤرخون في ذكرهِ

(عيسى) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجاب اننا لم نجد ذكرًا لهذا الاسم بين اعلام العرب في الجاهليَّة. ولعلّ رسول الاسلام اخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووهُ كذلك بغضاً بالنصارى واشارةً الى عيسو

(فراسية) ورد هذا العلَم في مروج الذهب للمسعودي (ed, Barbier de Meynard,III, 200) فقال هناك انّ المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت امُّهُ « الفراسيَّة » بنت مالك بن المنذر من آل نصر ». وهذا الاسم نصراني بَحْت كما نبَّه اليهِ الطابع (ص ٤٥٠) وهو تصحيف « اوفراسية » (Euphrasie) اسم عدَّة شهيدات نصرانيَّات

(فيليبُّس) اسم احد رسل السيد المسيح . وهو اسم فيليبُّس العربي اوَّل القياصرة المتنصِّرين (راجع القسم الاوَّل ص ٣٢)

(فيميون) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصَّرها كما روينا في القسم الاوَّل (ص ٥٩ — ٦٠) والاسم اعجميّ لا محالة لعلّهُ معرَّب من اليونانيَّة Εὔφημος اي البليغ والحسن النطق

(قسّ) اسم معرَّب من السريانيَّة وهو فيها ܩܫܝܫܐ اي الشيخ يدلُّ خصوصاً على الكـاهن النصراني وبهِ دُعي خطيب العرب اسقف نجران « قسّ بن ساعدة الايادي » (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٢١١). ومن إياد ايضاً كان المسمَّى الخُسّ ابن حابس ابو هند بنت الخس الايادية » (التاج ٤ : ١٣٧) الشهيرة بفصاحتها. وعلى ظنِّنا انَّ « الخُسُّ » هنا كالقُسّ

(ماري) هو اسم التلميذ الذي دعا الى الايمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن. وبهذا الاسم عُرف قبل الاسلام ماري الفارسي اسقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

(مارية) هو اسم مريم على لفظهِ اليوناني واختصَّت بهِ نساء النصارى على هذه الصورة مشيرات بهِ الى العـذراء الطاهرة . منهنَّ « مارية بنت الحارث » الكنديَّة قرينة المنذر ملك الحيرة ووالدة ابنهِ الاسود (الاغاني ٢ : ٣٢). ومنهن مارية بنت الارقم بن ثعلبة من ملوك بني جفنة الغسَّانيين (التاج ١٠ : ٣٤١) وابنهـا الحارث الاعرج الذي فيهِ قال حسَّان :

اولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ ابيهمِ قبرَ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضلِ

ومنهنَّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرْطَيْن اللذين بحسنهما يُضرَب المثل « خذهُ ولو بقُرْطَي مارية » (امثال الميداني ١ : ٢٠٤). ومنهنَّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن ابجر سيّد بني عجل النصارى (الطبري ١ : ١٠٣٣) . و « مارية بنت الصبَّاح الشيبانيَّة » من بني هند (الاغاني ٦ : ١٧٨–١٧٩) وابنهـا قيس بن شراحيل الذي فيهِ قال الحارث بن حلّزة يشير الى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فهلَّا سعيتَ لصلح الصديقِ كصلحِ ابن مارية الأقْصمِ

ومنهنَّ « مارية أمة هند ابنة النعمان » (الاغاني ٢ : ٣٢). . ومنهنَّ ايضاً « مارية القبطيَّة » ابنة شمعون التي اهداها صاحب مصر المقوقس الى نبيّ المسلمين فولدت لهُ ابنهُ ابراهيم (تهذيب الاسماء للنووي ص ٨٥٣) وذكر ابن عبد البرّ النمريّ القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج ٢ ص ٧٨٣) أمتين لمحمَّد اسمهما « مارية »

(مَرْقُس) هو اسم احد الانجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل . وبهِ عُرف احد شعراء الحماسة (حماسة ابي تمَّام ص ٢٩٧ ed. Freytag) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقَس . (قال) واسمهُ عبد الرحمان المعني احد بني معن بن عَتُود

(مَرْيَم) هذه صورة اخرى لاسم مريم العذراء وفيهِ اشارة ايضاً الى مريم اخت موسى . وممَّن تسمَّى بمريم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجتهِ نائلة ابنة الفرافصة النصرانيَّة (الطبري ١ : ٣٠٥٦) ولهُ ابنة اخرى بهذا الاسم من امّ عمرو (فيهِ) . كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصاريَّة » (الاستيعاب ٢ : ٧٨٢) . وقد تكنَّى بابي مريم عدَّة من العرب منهم احد بني حنيفة « ابو مريم الذي قتل زيد بن الخطَّاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « ابو مريم البَلَوي » (تاريخ الطبريّ ١ : ٢٣٨٥) وقد ورد الاسم على صورة مريام كابي مريام الاسقف (الطبري ١ : ٢٥٨٤—٢٥٨٥)

(مَرينة) او (مَرينا) اسم نصراني لاحدى الصالحات . وكان في الحيرة « قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا اشرافاً » (الاغاني ٢ : ١٢) وقد عدَّهم في محلّ آخر (٨ : ٦٤) من « العباديين »

(ميكَال) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرَّ . وقد ورد في تاج العروس (٩ : ١١٩) اسم جدّ البيت الميكالي بنيسابور فدعاهُ « ميكال بن عبد الواحد » ورقَّى نسبَهُ الى ملوك الفرس

(هِرْمز) او (هرمزد) احد شهداء النصرانيَّة في العراق . وبهِ تسمَّى بعض نصارى العرب كهرمز اسقف مدينة عمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني واثبت اعمالهُ بامضائهِ

(هُود) احد الانبياء على ما يقال أُرسل الى العرب . ومن المحتمل انَّهُ اسم نصراني وانَّهُ صُحِّف عن يَهُوذا احد رسل السيد المسيح الذي يذكرهُ القدماء كداعي العرب الى النصرانيَّة . ولعلّ اسم « هَوْذة » صورة اخرى لهذا الاسم عُرف بهِ هَوْذة بن عليّ ذو التاج احد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناهُ سابقاً

(الهَيْجُمانة) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١٩٩ و ٤٥١) وسمَّاها الطبري (١ : ٨٨٢) الحَيْجُمانة وهي امّ ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس

وقال الطبريّ انّها كانت ابنة عمرو بن ابي ربيعة بن ذُهل . واسمها اعجميّ يوافق اليونانيّة Ἡγουμένη ومعناها الرئيسة والسيّدة

(يحنّه) اسم نصراني شهير . وقد اشتهر بهِ ملك أيلة « يحنّه بن رؤبة » الذي كتب اليهِ رسول الاسلام يدعوهُ الى طاعتهِ (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ : ١٧ ed. Wellhausen,) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنّة بن رؤبة » . وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للاسم ذاتهِ

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انّهُ اسم يوحنّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونِس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانِيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل

٤ الاعلام النصرانية الوصفيّة والمعدول بها والمعرّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليّة فنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الّا انها ادلّ على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عُدل بهِ عن منعوت نصراني او نُقل معناهُ الى العربيّة . ولا نطرق هذا الباب الّا بكل حذر لئلّا ينسبنا القارئ الى المبالغة ولعلّ غيرنا يتّسع فيهِ

(امرؤ القيس) لا بدع انّ بعض نصارى الجاهليّة دُعوا بهذا الاسم ولعلّ اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاوّل ص ٧٧) انّهُ اوّل من تنصّر من ملوك آل نصر في العراق . ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٩٩-١٠٠٦) . ولعلّ سائلًا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنّن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الاسلام » (ص ١٦٦) انّ هذا العلَم احد الاسماء « التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم

كاليونان والسريان وقد حرَّفوها » (قال) : « فامرؤ القيس مثلًا نظنُّهُ تحريف ماركوس (مرقس) وربَّما تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لهُ صبغة عربيَّة ... ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفاً عند العرب قبل النصرانيَّة او قبل مجاورتهم اليونان ». هذا رأي رصيفنا جرجي افندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنا والمرجَّح ما يقولهُ المستشرقون انَّ الاسم مركَّب من « امرء » و« قيس » اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني. والله اعلم

(بَحير او بَحيرا) على رأينا انَّ هذين الاسمين بمعنًى واحد وانهما من السريانيَّة « ܒܚܝܪܐ » ومعناهُ الرجل الحاذق والعالم والاغلب انهُ لقب. وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا. وذكر في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ١٦٧) رجلًا آخر شآميًّا بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين. وكذلك اسم بَحير كان شائعاً في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس (٣ : ٢٩) اربعة من الصحابيين بهذا الاسم اشهرهم بَحير بن ابي ربيعة المسمَّى عبدالله وبَحير الانماري

(بِشر وبَشير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليَّة وكثر في القبائل التي مرَّ بيان نصرانيَّتها كبشر بن الحارث الصحـابي وبشر بن المعلَّى سيّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر. وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أُسد الغابة ١ : ٢٩٣). وعلى رأينا انَّ في هذا الاسم اشارةً الى اسم البشارة او انَّهُ استعير من الآراميَّة بهذا المعنى فاتَّخذهُ النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

(البَعيث) هو اسم بعض اهل الجـاهليَّة النصارى اخصُّهم بعيث بن حُرَيث الحَنَفي وبعيث بن رزام التغلبي . واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بن بشير من بني مجاشع واسم امّهِ وردة. قالوا انهُ دُعي بعيثاً لقولهِ :

تبعَّث مني ما تبعَّث بعد ما أُمرَّت قواي واستمرَّ عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعْث اي المنبعث من الموت كما دعـا نصارى الغرب بهذا المعنى « Anastase » ونذكر انَّ الاب انستاس الكرملي اتحفنـا في

المشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الخضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم
(تَوْبة) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمَّى بهِ في الجاهليَّة او في اوائل الاسلام تَوْبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣: ١٠٥) وتوبة السَّلُولي واسمهُ عبد الملك (فيهِ ١: ٥٨٧) و تَوْبة بن الحُمير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠ : ٦٧)
(ثابت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهليَّة ولا سيما بين القبائل المتنصّرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها. ولعلَّهُ احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيَّة الاجنبيَّة كمثل « Constans » اللّاتينيَّة او « Firmus »
(جابر) ممَّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليَّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَيّ (شعراء النصرانيَّة ص١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في ايَّام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢: ٢٦) لعلَّهُ من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجَبْر وجبَّار وجبرئيل كما مرَّ
(الحارث) احد الاعلام التي استحبَّها النصارى في الجاهليَّة فتسمَّى بهِ ملوكهم الغسَّانيُّون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقَّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولًا الى اللاتينيَّة (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيَّتهُ الى ابنائهِ (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عبَّاد شاعر بني بكر وسيّدهم (شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠). والحارث بن حلّزة البكري (شعراء النصرانية ص٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود اليمنيّين على محمَّد في السنة ٩ للهجرة (الطبري). امَّا اصل هذا الاسم فليس بثابت. وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الاسلام (ص١٦٦) انَّهُ معرَّب من اليونانيَّة (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيَّة ومعناها العامل بالارض ». وفي قولهِ نظرٌ لأنَّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيَّة وبهِ عُرف ملوك من النبط
(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنَّا بن زبدى لانَّ السيّد المسيح خصَّهُ بمحبَّتهِ بين تلاميذهِ (١. وعلى ظنّنا انَّ النصارى الذين سُمُّوا بهِ اشاروا الى

١) وفي شرح المفسّرين للقرآن يدعونهُ « حبيباً النجَّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذَّبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب النجَّار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

ذاك الرسول. ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة (راجع أُسد الغابة لابن الاثير ١: ٣٦٨–٣٧٥). ومن شهداء النصارى في مدينــة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا (BHO, p. 84) وعُرف بهِ شهيدان آخران في صور وفي العراق في أيَّام سابور. وبينهم واحد نُسب اليهِ دير حبيب (ياقوت ٢: ٦٥٣)

(حكيم) من المحتمل انَّ الذين دُعوا في الجاهليَّــة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصــة بن ضرار التغلبيّ (حماسة ابي تمَّام ص ٧٩٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبَلَة العبدي من بني عبد القيس (أُسد الغابة ١: ٣٩) وغيرهم انَّما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم

(خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيَّة بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا بهِ اولادهم في الجاهليَّــة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ الى النصرانيَّة (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيبانيّ (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ (سيرة الرسول ٤٦). ومن المحتمل ايضاً انَّهم عرَّبوا ذلك من اعلام نصرانيَّة يونانيَّة (ἀΐδιος) او رومانيَّة (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua). ومثل خالد تسميتهم بخالدة وخُلدة وخُوَيلد وخليدة وخلَّاد (اسد الغابة ١: ١١٩–١٢٢ و ١٢٧)

(الخِضر) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المسلمون ايَّ اختلاف فقالوا انَّهُ النبيّ الياس او النبيّ اليشاع او النبيّ ادريس او القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ اثرًا بين اعلام الجاهليَّــة. ولو كان قديمًا لدُعي بهِ احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انهُ تعريب «Horus»

(الخليل) اسم ابرهيم ابي المؤمنين الذي اصطفاهُ الله واحبَّهُ. ورد هذا الاسم في شعر ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٦١٨):

تُلاقي خليل الله فيها ولم تكن من الناس جبَّارًا الى النار هاويا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعَلَّلُ فيهـا بالكرامةِ لاهيا

وجاء في القرآن في سورة النساء (٤: ١٢٤): «واتَّخذ اللهُ ابرهيمَ خليلًا». وسبقهُ السموءل فقال (راجع ديوانهُ الذي طبعناهُ ص ٣٠):

فهذا خليلٌ صيَّر الناس حولهُ رياحين جنَّات الغصون الذوابلِ

(سَعْد وسَعيد وأَسعَد) دُعي بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك ابي المرقّش الذي دفع ابنهُ الى احد نصارى الحيرة ليعلّمهُ الخطّ (الاغاني ٥ : ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس (٨ : ٧١) وسعد الذي نُسب اليهِ دير سَعْد (ياقوت ٢ : ٦٦٩) وأَسعد بن زُرارة (أَسد الغابة ١ : ٧١) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الاسماء معرَّبةً عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد « Felix » مثلاً . والى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي « سَعْدان بن عبد يسوع » المذكور في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) في حروب قيس وتغلب

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقَّع على اعمالهِ في اليونانية « Σωλήμος » (راجع الشرق المسيحي Lequien : *Oriens Christianus*, II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام . ومؤرخو العرب يزعمون ان نبيًّا بهذا الاسم أُرسل الى قوم ثمود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأبى اكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة واهلكهم الَّا الذين آمنوا فتوجَّه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد انَّ النبي المذكور احد دُعاة النصرانيَّة الذين سبق لنا ذكرهم . وما يؤكدهُ كتبة العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ,ed. Wüstenfeld) انَّ فيميون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبهُ في دعوتهِ ولزمهُ رجل اسمهُ صالح من عرب الشام وذكر في أُسد الغابة (٣ : ٩) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان اصلهُ من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتل بقُدَيد وكان صالحًا ديّنًا » . فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرَّب عن اسم اجنبي نحو « Justus » او « Innocens » او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهليَّة المستفيضة فهو بمثابة كيفا (ܟܐܦܐ) السريانيَّة وPetrus اللاتينية والصفا العربيّة وهو الاسم الذي ميَّز بهِ السيد المسيح هامة رسلهِ اذ جعلهُ كصفاةٍ عليها تُبنى بيعتهُ . وليس لدينا برهان قاطع على انَّ العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب قبل الاسلام ص ١٦٦) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانيــة فتسمَّوا بها

وضرب مثلاً على ذلك اسم الحارث كما مرَّ واسم « صخر » فقال انهُ « ترجمة بطرس»

(مالك) نظنّ انَّ هذا الاسم بين نصارى الجاهليـــة امَّا معرَّب عن اليونانية واماَّ مشير الى احد اولياء النصارى . والدليل على الاوَّل ما رويناهُ سابقاً (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العمودي سمَّـاهُ الكاتب (Basilicus) اي مالكاً . والدليل على الثـــاني اسم رجلين من نسَّاك النصارى اشتهرا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO,pp. 131-132)

(محمَّد) مرَّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و١٤٨) انَّ اسم محمَّد من اعلام زمن الجاهليَّة . وانَّ النصارى عُرفوا بهِ كمحمَّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعي من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161) . وهذا الاسم يشبه بمعناه عدَّة اسماء يونانيَّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخصُّهم اوتيميوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاوَّلين فمن المحتمل ان يكون عُرّب عن بعضها

(منصور) نجد هـــذا الاسم بين اعلام الجاهليَّة . منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعميّ بن اياد . ومن بني ربيعة منصور بن جَعوَنة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠) : « كان شريفاً بالشام سيّـدًا » . ومن قضاعة منصور ابن جُمهور من رجال كَلْب . واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني اميَّة وهو القديس العلَّامة يوحنَّا الدمشقي . وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرَّب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥ الاعلام النصرانيَّة الجغرافيَّة

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لمزارات النصارى واكرامهم لها

(أوريشَلِم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعدهُ مدينـــة مقدَّسة يكرمها النصارى ويتبركون بزيارتها . والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانَّما جاءَت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١ : ٤٠٢ واللسان ٥ : ٩٦) :

وطوَّفتُ (١ للمال آفاقَهُ عُمانَ فحِمْصَ فأُرِيشَلِمْ

١) ويروى : وقد طفتُ

اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارضَ النبيطِ وارضَ العَجَمْ

ورووا: أُوريسَلِم وأُوراسَلَمْ. وذكروا حديثاً لعطاء (اللسان ٥: ٩٦): «أَبْشري أُورَى شَلَّم براكبِ الحمار» قالوا يريد بيت المقدس. وهذا الحديث منقول عن نبوَّة زكريَّا في السيّد المسيح ودخولهِ الى اورشليم (متى ٢١: ٥): «قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيكِ وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»

(إيلياء) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ رومانيّ الاصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيَّد هيكلًا للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت انَّ معنى ايلياء بيت الله. والصواب انَّها مشتقَّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوَّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١: ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين:

فلو انَّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ الى واسطٍ من إيليًا لكَلَّتِ
سمَى بالمهارى من فلسطينَ بعد ما دنا الفيءُ من شمس النهار فولَّتِ
فما غاب ذاك اليومُ حتى اناخها بمَيْسان قد حُلَّت عُراها وكلَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١: ٤٢٤):

وبيتان بيت الله نحنُ وُلاتُهُ وقصرٌ بأعلى ايلياءَ مُشرِفُ

(سَدُوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لمآثمهم. وقد عرف العرب في الجاهليَّة امرها فقال عمرو بن درَّاك العبديّ (في التاج ٨: ٣٣٥ واللسان ١٥: ١٧٧):

واني وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرونَ على تميمِ
لَأَعظمُ فجرةً من ابي رِغالٍ وأجْوَرَ في الحكومةِ من سَدُومِ (١

وقال اميَّة بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢: ٢٩٧):

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٢ كعَصْف في سَدُومِهِمُ رميمِ

(سِينا) قال ياقوت (٣: ٢٢٠): «موضع بالشام يضاف اليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم ونُودي فيهِ».

---

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى: لاعظم صفقةً من شيخ مَهْو ٢) وروى ياقوت (٣: ٥٩): حين أضحوا

وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) : « وشجرة تخرجُ من طور سيناء ». وربَّما دُعي بالطور دون اضافة كقولهِ (في سورة مريم ١٩ : ٥٣): « وناديناهُ (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا ». ومثلهُ قولهُ عن رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨ : ٢٩) : « آنسَ من جانب الطور نارًا »

(صِهيَون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلَّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس او احدى كنائسها . وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديَّان وقيل يمدح السيِّد والعاقب اسقفَيْ نجران (ياقوت ٣ : ٤٣٨) :

أَلَا سيِّدَيْ نجرانَ لا يوصيَنْكما بنجرانَ فيما نابها واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وترْتديا بهِ فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ فقبلَكما ما سادها ابواكما
وان احلبَتْ صِهيَونُ يومًا عليكما فانَّ رحا الحرب الدكوكِ رحاكما

(القُدْس والمَقْدس ويقال بيت المَقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدَّد الفرزدق (الاغاني (٢١ : ١٩٧) :

قُل للفرزدقِ والسَّفاهةُ كاسمها ان كنتَ تارك ما نُهيتَكَ فاجلسِ
ودَعِ المدينة انَّها مذمومةٌ واقصدْ لمكَّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج (٤ : ٢١٣) لشاعر يخاطب ناقتهُ :

لا نومَ حتى تهبطي ارض العُدُسْ وتشربي من خيرِ ماءٍ بقُدُسْ

وورد في شعر العجَّاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt) :

ضراغمٌ تنفي بأخذ همْسِ عن باحة البطحاء كلَّ جَرْسِ
حتى تزول هَضَباتُ قُدْسِ

وقد مرَّ بك (ص ١٩٨) انَّهم كانوا يدعون بالمُقدِّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبهِ كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور :

فادرَكْنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنَّسا كما شبرَقَ الولدانُ ثوب المقدِّسِ

الفصل الرابع

الاحداث النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

ظهر من الفصول السابقة ما استمدَّهُ عرب الجاهليَّة من النصارى في مفرداتهم اللغويَّة واعلامهم الشخصيَّة. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن مــا اخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخيَّة سواء جرت في العهد القديم من اوَّل العالم الى السيّد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لهذين الطورَيْن

١ أَحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبــار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الَّا انَّنا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانيَّة. واليهود كما لا يخفى قلّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليهِ انَّ الاسفار الالهيَّة والاناجيل المقدَّســة كما يظهر من عدَّة شواهد تؤيّد ذلك كانت معرَّبةً وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتتبَّع تلك الاحداث مع ما ينوّه بها من اقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو اوَّل ما تُفتتَح بهِ توراة موسى حيث يذكر اوَّلًا خلق الله عزَّ وجلَّ للسماء ثمَّ الارض مباشرةً بالجماد ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان. امَّا تكوين السماء فقد مرَّ ذكرهُ في ما اوردناهُ من الالفاظ الدالَّة على الخالق سبحانَهُ وتعالى ثمَّ السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيهــا (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩و٢٩٢). فبقي تكوين الارض في سبعة ايَّام الخليقة. فمما جاء من ذلك ما رواهُ المقدّسي (كتاب البدء ١: ١٥٠–١٥١) فقال: «وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب:

اسمعْ حديثًا لكي يومًا تجاوبهُ عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أنْ كيف أبدى إلهُ الخلق نعمتَهُ فينا وعرَّفنا آياتهِ الأُوَلا
كانت رياحًا وماءٌ ذا عُرَانيَةٍ وظلمةٌ لم يدَعْ فتقًا ولا خَلَلا

فأمر الظلمةَ السوداء فانكشفَتْ وعزَّل الماء عمَّا كان قد شغلا
وبسَّط الارض بسطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاءَ بهِ بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
قضى لستَّة ايَّام خلائقَهُ وكان آخرُ شيءٍ صوَّر الرَّجُلا»

روى في تاج العروس (٣:٥٤٣) البيتين الخامس والسادس لاميَّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصَّص (١٣:١٦٤) روى البيت السادس لاميَّة الَّا انَّ شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ (٤:٦٥) اقدم واصحّ وكلاهما يروي الابيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البدء (١:٦٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قولهُ :

واسلمتُ وَجهي لمن أُسلمتْ لهُ الارضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ لهُ المُزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
اذا هي سِيقت (٤ الى بلدةٍ اطاعت فصبَّت عليها سجالا

ومثلها لاميَّة بن ابي الصَّلت (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٦) :

وشقَّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العَذْب الزُّلالِ
وباركَ في نواحيها وزكَّى بها ماكان من حَرْثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيّرين الكبيرين (شعراء النصرانيَّة ٢٢٩ وسيرة الرسول ٤٠) :

انَّ آياتِ ربّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ الَّا الكفُورُ

---

١) رواهُ في تاج العروس (٣:٥٤٣) على صورة اخرى :

والارض سوَّى بساطًا ثمَّ قدَّرها تحتَ السماء سواءً مثل ما ثقَّلا

٢) روى الجوهري (١:٢٩٩) : وجاعل الشمس. وورد في الاصل : « مصيرًا » وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصَّص (١٣ : ١٦٤) وفي تاج العروس (٣:٥٤٤) : قالوا « والمصر » الحاجز والحدّ بين الشيئين

٣) في الاصل « فضلًا » وهو تصحيف اصلحهُ في المخصَّص وفي تاج العروس

٤) وفي كتاب البدء روى : اذا هي سوقت . وهو غلط

خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ مستبينٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمَّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

ولهُ ايضاً (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

هو اللهُ باري الخَلق والخَلقُ كلُّهم إماءٌ لهُ طوعاً جميعاً وأَعبُدُ
تسبّحه الطيرُ الجوانحُ في الخَفَى واذ هي في جوّ السماء تصعّدُ
ومن خوفِ ربّي سبّح الرعدُ فوقَنا وسبّحهُ الاشجارُ والوحشُ أُبَّدُ
وسبّحهُ النينانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمَّ من شيءٍ وما هو مُقلِدُ (٣

وقال اميّة يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff.397 طبعة مصر ٢ : ١١٨) :

هو أبدأ (٤ كلَّ ما يأثرُ النا سُ اماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خلق النحلَ معصراتٍ تراها تقصف اليابساتِ والمخضورا (٥
والتماسيحَ والسنادل (٦ والايّلَ م شتّى والرئمَ واليعفورا
وصواراً من النواشط عيناً ونعاماً صواحياً (٧ وحميرا
واسوداً عوادياً وفيولاً وسباعاً والنملَ (٨ والخنزيرا
وديوكاً تدعو الغراب لصلحٍ وإوَزّينَ اخرجت وصقورا

ثمَّ ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسَهُ من نفخة خالقهِ. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥) : « سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانيًا ديّاناً وترجماناً وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم . . » :

---

١) ويروى : يخلق . . . فكل مستنيرٌ . .
٢) ويروى : ثمَّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادَّة « قلد » . قالوا أقلد البحرُ على الخَلق اي أرتج عليهم وغرَّقهم وجعلهم في جوفهِ . ويروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر (٢ : ١١٨) : « هو ابدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر : خلق النخل مصعداتٍ . . . والخُضورا
٦) السنادل طيور كبار . وفي طبعة مصر : « والتماثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر : خواضباً
٨) وفي طبعة مصر : وذباباً والوحش

قضى لستَّة ايَّام خلائقهُ (١ وكان آخرُها أن صوَّر الرجلا
دعاهُ آدمَ صوتاً فاستجاب (٢ لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال اميَّة بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢ : ١١٣) :

والارضُ معقلُنا وكانت امَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُوأَدُ

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيهِ) :

منها خُلقنا وكانت أُمَّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنَّنا شُكُرُ
والطُّوطُ (٣ نزرعهُ فيها فنلبَسُهُ والصوفُ نجتزُّهُ ما أدفأَ الوَبَرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلًا ما ارحمَ الارضَ الَّا انَّنا كُفُرُ

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨) :

كيف الجحودُ وانَّما خُلِقَ الفتى من طينِ صَلْصالٍ له فخَّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئتهُ ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنَّة وتكوين حوَّاء من ضلعهِ وتجربة الشيطان لهما على صورة الحيَّة ثمَّ عقاب الابوين الاوَّلين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ = (Ms de Vienne, ff.213,

ثُمَّتَ اورثَهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جعلا
لم يَنْهَهُ ربُّهُ عن غيرِ واحدةٍ من شجرٍ طيِّبٍ ان شمَّ او أكلا
تعمَّدا (٥ للَّتي من اكلها نُهيا بأمر حوّاءَ لم تأخذ لهُ الدَّغَلا
كلاهما خاط اذ بِرُّ (٦ لَبوسُها من ورق التين ثوبًا لم يَكُن غُزِلا

---

١) وفي طبعة مصر : خليقة . والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر : إستجاب . غلط
٣) الطوط هو القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : فعمدا
٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيَّة الرقشاء اذ خُلقت كما ترى ناقةً في الخَلْق او جملا (١
فلاطها اللهُ اذ أغوت خليقتهُ (٢ طول الليالي لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرتْ والترب تأكلهُ حزنًا وان سهلا
فأتعبا (٣ ابوانا في حياتهما ووجدا (٤ الجوع والاوصاب والمللا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوَّاء وعقاب الحيَّة رواهُ العصاميّ في تاريخه بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٩) قال :

سعى الرجيمُ الى حوَّا بوسوسةٍ غوتْ بها وغوى معها ابو البشرِ
خلقان من مارجٍ انشا خليقتهُ وآخرَ من ترابِ الارض والمدرِ
انشاهما ليطيعاهُ فخالفهُ ابليسُ عن امرهِ للحَيْنِ والقدرِ
فأبلسَ الله ابليسًا واسكنهُ (٥ دارًا من الخُلد بين الروضِ والشجرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بغيٍ ومن حسدٍ فاحتال للحيَّة الرقطاء والطيرِ (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ اعطاهما بيمينٍ كاذبٍ غدرِ
هناك سار الى حوَّا بوسوسةٍ أزْدت بغرَّاتها معها ابا البشرِ
فأُهبطوا من معاصيهم وكلُّهمُ نائي المحلّ فقيدُ العينِ والأثرِ
واهبط الله ابليسًا واوعدهُ نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشررِ
وانزل اللهُ للطاووس رغمتهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالنكرِ
وأعقب الحيَّةَ الحسناء حين عفت مَسْخَ القوائم بعد السَّعي كالبقرِ
وأعقبِ اللهُ حوَّا بالذي فعلَتْ بالطمثِ والطَّلْقِ والاحزانِ والفِكرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقين . امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة او الجمل فذلك من مزاعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت مجنَّحةً ذات اربعة قوائم فعوقبت بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيَّة » وبشقّ لسانها . (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤ : ٦٦)

٢) في طبعة مصر : خليفتَهُ بالفاء

٣) في طبعة مصر : فأبقيا

٤) فيها : واوجدا

٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الانسان فسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء (١: ٦١) وفي اللسان (١٣: ٤٥٧) والتاج (٦: ٦٥) عن الحيَّة قول اميَّة :

والحيَّة الحَتْفةُ الرَّقشاء اخرجَها من بيتها أَمِناتُ اللهِ والكلِمُ
اذا دعا باسمِهِ الانسانُ او سمعتْ ذات الالهِ يُرَى في سَعيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الاساس: « اخرجها من جُحْرها أُيْمِناتُ الله والقَسَمُ » (قال) « ويُقال حيَّة حَتْفَة اي قاتلة كما يقال امرأَة عَدْلَة »

ونروي هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢: ٨٥) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها لهُ النصارى وان تأَخر زمانهُ عن الجاهليَّة :

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ مسأَلةَ القاصدِ قَصْدَ الحقّ
أَخبرَني قومٌ من الثقاتِ أُولو علومٍ وأُولو هيئاتِ
تضرَّعوا في طلَب الآثارِ وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والانجيلا واحكموا التأْويلَ والتنزيلا
انَّ الذي يفعلُ ما يشاء ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاء
انشأَ خَلْقَ آدمٍ إِنشاء وقَدَّ منهُ زوجَهُ حوَّاء
مبتدياً وذاك يومَ الجُمُعَهْ حتى اذا أَكملَ فيهِ الصَّنْعَهْ
اسكنَهُ وزوجهُ الجِنانا فكان من امرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترَّا بهِ كما ابانَ اللهُ في كتابهِ
غرَّهما الشيطان في ما صنعا فأُهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبئس ما اعتاضَ من الجِنانِ والضعفُ من جبلَّة الانسانِ
فشقيا وورَّثا الشقاءَ نَسلَهما والكدَّ والعناءَ
ولم يزل مفتقرًا (١ من ذنبهِ حتى تلقَّى كلماتِ ربّهِ
فأَمِن السُّخْطَة والعذابا واللهُ توَّاب على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢: ١٦٥) يهجو بني منقر :

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤْمَكُمُ مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

١) لعلَّ الصواب: منتفرًا

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهليَّة نَسْل آدم وقصَّة ولديهِ كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوَّا :

ثمَّ تنسَّلا احبَّا (١ النَّسلا فحبلتْ حَوَّاءُ منهُ (٢ حَمْلا
واقتنيا الابن فسُمّي قاينا وعاينا من نَشْئهِ (٣ ما عاينا
فشبَّ هابيلُ وشبَّ قاينُ ولم يكن بينهما تبايُنُ

ومن الشعر المتضمّن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوَّاء عند قتل قاين (ويقولون قابيل) لاخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الَّا انَّهُ قديم يُروى في اقدم كُتب المسلمين كتاريخ الطبرى (١٤٦:١) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ٦٥:١) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشادَهُ الى علي بن ابي طالب ما يدلُّ على انَّ الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تغيَّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي حسن ولونٍ وقلَّ بشاشةً وجهٌ صبيحُ (٤
وجاوَرَنا عدوٌّ ليس يفنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيـلَ واحزَنا لقد فُقد المليحُ (٥
فما لي لا اجودُ بسكب دَمْعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضَّريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمًّا وما انا من حياتي مستريحُ

ونسبوا الى حوَّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعاً بِهُلْكٍ ليس بالثمن الربيحِ (٦
وما يُغني البكاء عن البواكي اذا ما المرء غُيِّب في الضريحِ

---

١) في الاصل « واحبّ » وهو غلط

٢) في الاصل « منهُ حوَّاء » بكسر الوزن

٣) هكذا روى المسعودي (١ : ٦٣) وفي كتاب البدء : وولدت ابنًا . . . من امره . . .

٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء : بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ . وروى المسعودي : كل ذي طعمٍ

٥) رواية المسعودي :

وقتَّل قاينُ هابيل ظلماً فوا اسفًا على الوجهِ المليحِ

٦) رواهُ الطبري (١٤٦:١) :

ابا هابيلَ قد قُتلا جميعًا وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

فبكِّ النفسَ منكَ ودَعْ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

واضافوا الى هذه الابيات قولًا على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنَّات ضاقَ بك الفسيحُ
وكنتَ بها وزَوْجَك في رخاءِ وقلبكَ من اذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومَكْري الى ان فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبَّار اضحى بكفِّك في جنانِ الخلدِ ريحُ

وممَّن اشاروا في الجاهليَّة الى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي (المفضَّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ ما لم يخلعوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ اخطر من الطوفان في عهد نوح. ولا شكَّ انَّ عرب الجاهليَّة نقلوا الخبر عن اهل الكتاب ولا سيما النصارى. منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياسًا ويشبهُهُ بنوح في صنع سفينتهِ (شعراء النصرانيَّة ص ٣٨٩) :

جَزَى الالهُ اياسًا خيرَ نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحًا بعد ما شابا
في فُلْكهِ اذ تبدَّاها ليصنعها وظلَّ يجمع ألواحًا وابوابا

ومنهم اميَّة ابن ابي الصلت روى لهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر ١١٨:٢ = Ms de Vienne, 212v) والمقدسي في كتاب البدء (٣: ٢٤) ابياتًا منها قولهُ يذكر نجاة نوح واهله وحلولهُ على جبل الجوديِّ الذي فوقهُ نزلت سفينتهُ على زعم العرب :

الى أن يفوتَ المرءُ رحمةَ ربّهِ وان كان تحت الارض سبعون (١ واديا
كرحمةِ نوحٍ يوم حلَّ سفينة (٢ لشيعتهِ كانوا جميعًا ثمانيا
فلمَّا استنارَ (٣ اللهُ تنُّور ارضهِ ففارَ وكان الماء في الارض ساجيا
ترفَّع في جَرْيٍ كأنَّ اطيطَهُ صريفُ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظَهرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيمٍ ألبس الماءَ داجيا (٤

١) في كتاب البدء (٣: ٢٤) : سبعين
٢) كذا في كتاب البدء ولعلَّ الصواب : سفينَهُ
٣) كذا فيهِ ولعلَّ الصواب : استثار او استفار
٤) في طبعة مصر: « راجيًا » وهو تصحيف

فصارت بها ايَّامُها ثمَّ سبعةً وستَّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقُّ بهم تهوي باحسن إمرةٍ (١ كأنَّ عليها هاديًا ونَواتيا
وكان لها الجوديُّ نَهيًا وغايةً واصبحَ عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ (كتاب البدء ٣: ٢٤):

مُنجي ذي الخَيْر من سفينة (٢ نوحٍ يومَ بادت لبنان من أُخراها
فار تنُّورُهُ وجاشَ بماءٍ طمَّ فوق الجبال حتى علاها
قِيل للعبد سِرْ فسار وباللّـــهِ على الهول سَيْرُها ومُسراها
قِيلَ فاهبطْ فقد تناهَتْ بكَ الفُلْـــكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ ايضاً (رواهُ صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب ٤: ٤):

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانَّهُ من امير السوْ ينتقمُ
المُسبحُ الخُشْبَ فوق الماء سخَّرها خِلالَ جريَتِها كأنّها عُوَمُ (٣
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلِّ موجٍ مع الارواحِ تقتحمُ (٤
مشحونةٌ ودخانُ الموج يرفعُها ملأى وقد صُرعت من حَولها الامَمُ (٥
حتى تسوَّت على الجوديِّ راسيةً بكلِّ ما استُودِعَتْ كأنّها أُطُمُ (٦

وروي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجـــاحظ (Ms de Vienne, ff 396[v]) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح:

تصرخُ الطيرُ والبريَّةُ فيها مع قويِّ السباعِ والافيالِ
مرَّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ظَهْرَيْ غواربٍ كالجبالِ

---

١) في الاصل: امره

٢) لعل الصواب: من سفينه

٣) وفي الاصل عن شارح ديوان اميَّة ما نصَّهُ: «يُقال سَبَّح الرجلُ واسبَحَهُ الله. والعُوَم جمع العُومة كأنَّها حيةٌ تكون بعمَّان. والعَامةَ شبه الطَّوْف الَّا انَّها اصغر منهُ يركب فيهِ البحر» وروى في لسان (١٥: ٢٢٨): في اليمّ جريتُها

٤) في الاصل: في جوانبهِ اي جوانب الماء

٥) في الاصل: مشحونة اي مملوَّة يقال: اشحنْ سفينتك اي املأها. وفي خزانة الادب قبل هذا البيت بيت آخر أُقحم في القصيـــدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبَّهَ عليهِ في الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قولهُ:

نُودي قُمْ واركَبَنْ باهـــلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعموا

٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصراني في عهد بني اميّة عن نوح وسفينته (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤) :

وأنذِرُكم مصايرَ قومِ نوحٍ وكانت امّةً فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكرًا ولله المحامِدُ والوقارُ
فلمّا ان اراد اللهُ امرًا مضى والمشركون لهم جُؤَارُ (١
ونادى صاحبُ التنوُّر نوحًا وصبَّ عليهمُ منهُ البَوارُ (٢
وضجُّوا عند جيئَتهِ وفرُّوا (٣ ولا يُنجي من القَدَرِ الحِذارُ
وجاش الماء منهمرًا اليهم كأنَّ غُثاءَهُ خِرَقٌ نِشارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإِذنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
الى الجوديّ حتى صار حِجْرًا وحان لتَالِكَ الغُمَرِ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امرؤٌ فيَّ افتخارُ

وذكر اميّة الجُوديّ في محلّ آخر مشيرًا الى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويه ١ : ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات (شعراء النصرانيّة ص ٦١٧) :

سبحانَهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ وقبلَنا سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

ولاميّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح ففرَّ الغراب وعادت الحمامة بغصن الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212v ثمّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

واذ هم لا لَبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ السِلام لهم رطابُ (٧

١) قالوا الجؤار الماء الكثير ٢) في لسان العرب : نوحٌ . وفي الديوان : الوَبارُ . ونظنّها تصحيفًا ٣) رواية الديوان : جيئتِهِ اليهم . وجيئَتهُ اي حين جاء الطوفان

٤) في الاصل : « يريد كأنَّ زَبَدَهُ ملاءة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خِرَق قُسارُ

٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت الى الجوديّ . والجَوَار الجَور اي لولا الله لجار بالسفينة الحَيرة فكانت تجور ولا تهتدي

٦) قال في اللسان : الحِجْر الممنوع الـذي لهُ حاجز . وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تَبرح . الغُمَر والغَمَرات الشيء الذي يُغمَر ويغرق . والانحسار الانكشاف . وتالِك مثنّى تلك كتانِك

٧) رواهُ الالوسي في بلوغ الارب (٣ : ٢٢١) عن الثعالبي « لهمُ عراةٌ . . . صمُّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخرُ السِلَامِ » وفي البيت اشارة الى ما كان يزعمهُ العرب انَّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطيور ناطقة ومن امثالهم « كان ذلك اذ كان كل شيءٌ ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن الفِطَحْل »

عشيَّةَ أُرسل الطوفانُ يجري وطاف الماءُ ليس لهُ جرابُ
على امواج أَخضَرَ ذي حبيكٍ كأنَّ سُعارَ زاخرهِ الهضابُ
بآيةِ قام ينطقُ كلُّ شيء وخانَ امانةَ الديكُ الغرابُ (١
وأُرسلت الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٢ على المهالك لا تهابُ
تَلَمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعائنَةً بها الماءُ العُبابُ (٣
فجاءت بعد ما ركضتْ بقِطْفٍ عليهِ الثَّأْطُ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمَّا فرَّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقد السِّخابُ (٥
اذا ماتت تورَّثهُ بنيها وإن تُقتَلْ فليس لها استلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرء نوحاً جزاء البَرِّ ليس لهُ كِذابُ
بما حملَتْ سفينتهُ وانجت غداةَ اتاهمُ الموتُ القُلابُ
وفيها من أُرومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظماء ولا السغابُ

وقال ايضاً في حمامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمامة جيفة غداةَ غدت منهم تضمُّ الخوافيا
رسولاً لهم واللهُ يحكم امرَهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجاءت بقِطْفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها موضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طَوقَها وقالت ألا لا تجعلِ الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ نبالهم يخالونهُ مالي وليس بماليا
وزِدْني على طوقي من الحَلي زينةً تُصيب اذا أُتبِعتُ طوقي خضابيا
وزدني لطَرْف العين منك بنعمة ووَرِّثْ (٨ اذا ما متُّ طوقي حماميا
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ويهوين زيني زينةً أن يرانيا (٩

١) روى في كتاب البدء : « بانَّهُ قام » . وروى الالوسيّ : « وكان امانة الديك » وكلاهما تصحيف ٢) في كتاب البدء : تزلُّ ٣) في كتاب البدء : وعائنهُ . وفي كتاب البدء : « بهِ تيبُّس واضطراب » وهي رواية مصحَّفة

٤) القِطْف ما قُطف من الاغصان . والثَّأْطُ الحمأة . والكُبابُ الطين اللازب . وفي كتاب البدء : « عليهِ الشلط والطين الكثاب » وهو تصحيف

٥) في كتاب البدء : فرَّشوا الآيات . ولعلَّ المعنى ميَّزوا وفصَّلوا . والسِّخاب القلادة . ويروى : السحاب وهو تصحيف

٦) في كتاب البدء : « تورَّثها . . وان قُتلت » . وفي البيتين اشارة الى زعم العرب بان الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انَّما هو جزاء امانتها لمَّا عادت الى سفينة نوح

٧) في كتاب البدء : فجازى . والبيت مختلّ الوزن

٨) في الاصل : وأَرِّث

٩) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصَّةً يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب . يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمَّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الأيَّام :

وأصبنَ نوحاً بعد ما بلغَتْ بهِ أُفُقَ البلاد سفينةٌ لم تغرَقِ

وممَّن ذكروا نوح وسفينتهِ في الجاهليَّة النابغة الجعديّ في ميميَّتهِ التي اولها :

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ م من لم يَقُلْها فنفسَهُ ظلَما

ثمَّ قال يذكر بامر الله الى نوح ليُعدّ لهُ فلكاً (خزانة الادب ٤ : ٤) :

نُودِيَ قُمْ وارْ كَبَنْ باهلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعما (١

وفيها زعم الجعديّ انَّ سفينة نوح كانت من خشب الجوز لصلابتهِ وجودتهِ قال (لسان العرب ٧ : ١٩٥) :

يرفع بالقار والحديدِ من م الجَوْز طوالًا جُذُوعُها عُمُما (٢

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لرؤبة (ديوانهُ ص ١٢٨) :

فقلتُ لو عُمّرتُ سنَّ الحِسْلِ او عُمْرَ نُوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ (٣

والصخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ صرتُ رهينَ هرَم او قَتْلِ

ومثلهُ لابي العتاهية ديوانهُ ص ٦٧) :

نُحْ على نفسك يا م مسكينُ ان كنتَ تنوحُ

لستَ بالباقي ولو م عُمّرت ما عُمّرِ نوحُ

٥ ﴿ ابناء نوح ﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهليَّة ذكرًا لابناء نوح الَّا في قصيدة لصلاءَة بن عمرو الشهير بالافوه الاوديّ (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٧٠) ذكر فيها ملوك التبابعة والثامنة وقد ورد منها ابيات في كتاب وصايا ملوك العرب (ص ٢٠) فقال :

فلو دام البقاءُ إذَنْ جدودي وأسلافي بنو قَحْطانَ داموا

ودام لهم تبابِعُهم ملوكًا ولم تَمُتِ الثَامنةُ الكرامُ

وعاش المَلْك ذو الأذعار عمروٌ وعمروٌ حولَهُ النَّجِبُ اللُّهامُ

ملوك ادَّتِ الدنيا اليها إتاوَتها ودان لها الانامُ

الديكَ على حجَّة ان يذهب ويأتي بالثمن فلمَّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوساً

١) وفي بعض الروايات : « ما رعموا » وهو غلط . وقد مرَّ انَّ هذا البيت قد رُوي سهوًا في جملة ابيات اخرى لاميَّة بن ابي الصلت من بحر البسيط

٢) العُمَم جمع عَميم وهو المجتمع الكثير

٣ الحِسْل ولد الضب ويروى : عُمْر الحسل . والفِطَحْل السيل والطوفان . (راجع الصفحة ٢٨٨)

ولمّا يَمضِها سامٌ وحامٌ ويافثُ حيثما حلّت ولامُ (١

٦ ﴿ ذكر ابرهيم الخليل وابنهِ اسحاق ﴾ ورد اسم ابرهيم في الشعر الجاهلي ويقال ابراهِم وابراهَم. قال عبد المطّلب (المعرَّب للجواليقي ص ٩ واللسان ١٤ : ٣١٤) ينسب ابتناء الكعبة الى ابراهيم :

عُذتُ بما عاذَ بهِ ابراهِمُ مُستقبِلَ القبلةِ وهو قائمُ اني لكَ اللهمَّ عانٍ راغمُ

ولهُ : نحنُ آلُ اللهِ في كعبتهِ لم يزل ذاك على عهد ابراهَمِ

ودعاهُ ورقة بن نوفل باسم الخليل فقال (شعراء النصرانيّة ٦١٨) يخاطب زيد بن عمرو :

فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تُلاقي خليلَ الله فيها ولم تَكُنْ من الناس جبّارًا الى النار هاويا

وكذلك قال جرير (الطبري ١ : ٤٣٣) :

ابونا خليلُ اللهِ واللهُ ربُّنا رضينا بما أعطى الالهُ وقدَّرا

وفي شعرهم اشارة الى اسحاق ويدعونهُ الذبيح لما ورد في التوراة من طاعة ابراهيم لمّا امتحنهُ الله وامره بتقدمة ابنهِ. قال الاعشى يشبّه لون الخمر بلون دم الذبيح :

ومُدامةٍ ممّا تُعَتِّقُ بابلٌ كدمِ الذبيح سَلَبْتُها جِريالَها

وقد وصف اميّة بن الصلت تقدمة ابراهيم كما رُويت في التوراة فقال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الانبياء ٩٣ وخزانة الادب ٢ : ٥٤٣) :

سبّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعتْ شمسُهُ وكلَّ هلالِ (٢
ولابراهيمَ الموفّيَ بالنَذْرِ (٣ احتسابًا وحاملِ الأَجْذالِ (٤
بِكْرِهِ لم يَكُن ليصبرَ عنهُ لو رآهُ في معشرٍ أقتالِ (٥

١) جاء في كتب العرب انَّ لام ابنٌ لنوح كسام وحام ويافث

٢) رُوي هذا البيت لابن صرمة الانصاري (خزانة الادب ٢ : ٥٤٣)

٣) كذا روى الطبريّ. وروى صاحب كتاب البدء : الموفي بنذر. وروى في شواهد مغني اللبيب (ص ٢٤١) : « لابراهيم الوافي بالنذر » والبيت مكسور

٤) الأجذال جمع جِذْلَ وهو القطعة الكبيرة من الحطب. وروى الثعلبي في قصص الانبياء (ص ٨٣) : « حامد الاجزال » وهو غلط. وكذلك روى في كتاب البدء « الاجزال » بالزاي

٥) الأَقتال جمع قِتْل وهو القِرْنُ والنظير والمقاتل. وروى الطبري : او يراهُ. ويروى في بعض نسخهِ : معشرٍ أَقيال

ولهُ مُدْيَةٌ تَخايَلُ في اللحـم حُذَامٌ حنيَّةٌ كالهلالِ (١
أَبُنَيّ انّي نذرتُكَ للّـه شَحيطًا فاصبرْ فدىً لك حالي (٢
فأجاب الغلامُ أن قال فيهِ كلُّ شيءٍ لله غير انتحالِ (٣
ابتي انّني جزيتُكَ باللّـهِ تقيًّا بهِ على كل حالِ (٤
فاقضِ ما قد نذرتَ لله واكففْ عن دَمي أَن يَمسَّهُ سِرْبالي
واشْدُدِ الصفْد لا أحيدَ عن السكّين حَيْدَ الأسيرِ ذي الأغلالِ (٥
انّني آلَمُ المحزَّ وانّي لا أمسُّ الأذقانَ ذات السِّبالِ (٦
جعل اللهُ جيدهُ من نحاسٍ اذ رآهُ زَوْلًا من الازوالِ (٧
بينا يَخلعُ السرابيلَ عنهُ فكّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ (٨
قال خُذْهُ وأَرسِلِ ابنك اني للذي قد فعلتُما غيرُ قالِ (٩

---

١) مدية حُذام وحُذام اي قاطعة. وحنيَّة مستديرة. وتخايل اي تلوح. وروى في قصص الانبياء: « تخايَلُ في اللحم غلاماً جبينهُ كالهلال » وهي رواية مصحَّفة. ورواهُ في خزانة الادب:

ولهُ مديةٌ تخيّلُ في اللـحم هُذَامٌ جليَّةٌ كالهلالِ

قال جامع ديوان اميَّة محمَّد بن حبيب: المدية السكين. تخيّل في اللحم تمضي فيهِ من الخيلاء. وهُذام القاطعة السريعة من الهذم وهو القطع والاكل في سرعة. وجليَّة مجلوَّة

٢) الشحيط الذي يَتشحَّط اي يضطرب في دمهِ يريد نذرتُ ان اضحّيك لله. وروى في كتاب البدء: سحيطًا. وفي قصص الانبياء: فذلك حالي. وفي خزانة الادب: فدًا لك حالي. ولعلَّها كلّها مصحَّفة

٣) قال شارح الديوان: غير انتحال اي غير كذب وادّعاء بل هو حقّ

٤) ورد هذا البيت وما يليهِ في خزانة الادب. قال: « جزيتُكَ بالله أطعتُك بالله »

٥) قولهُ « لا أحيدَ » اي لئلّا احيد. ويروى: « أن احيد » قالوا معناها خشية ان احيد اي اميل عنهُ. ويروى: من السكين. والصفد الحبل الذي يُربط بهِ

٦) قال الشارح في خزانة الادب: يقول لم أَمْسَس ذَقني اي لا اجزع ولا امنعك. وذقن الانسان مجمع لحيَتهِ واصلهُ في الجمل يحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذقنهِ على الارض. والسِّبال جمع سَبَلة وهي عند العرب مقدَّم اللحية

٧) الزَّوْل الشجاع والعجب. والجيد العُنُق. ويروى: جعل الله حَيْدَهُ. والحيد المثل والنظير

٨) روى في قصص الانبياء وشواهد المغني: « بينا يخلع السراويل. . . بكبش حَلال ». والجُلال الجليل والعظيم

٩) روي في شرح شواهد المغني: فخُذَنْ ذا فداء ابنك انّي. وروى الطبري: فخذا ذا. وفي قصص الأنبياء: فخذن ذا فدًى لإبنك. ويروى: فأرسل ابنك عنهُ اني ما قد فعلتما. وقولهُ « غير قالٍ » اي غير مبغضٍ لهُ اي راضٍ بهِ

والدٌ يتّقي وآخَرُ مولو دٌ فطارا عنهُ بسَمْعٍ مُعالِ (١
رُبَّما تجزَعُ النفوس من الأَمــر لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ (٢

وقد اختصر ذلك السموءل في ديوانهِ (راجع طبعتنا ص ٣٠) فقال :

فهذا خليلٌ صيَّر الناسَ حولهُ رياحينَ جنّات الغصونِ الذوابلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكَبْشه براهُ بديعًا لا نِتاجَ الثيائلِ

٧ ﴿ ذكر لوط وعقاب سَدُوم ﴾ لوط اخو ابراهيم. ذكرهُ العرب ورووا ما جرى لسَدُوم من العقاب في عهده. ورد في المعاجم (الصحاح والتاج واللسان في مادَّة سَدَمَ) لشاعر لم يذكروا اسمهُ ولعلَّهُ هو الشاعر الآتي ذكرهُ :

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٣ كعَصْفٍ في سَدُومِهِم الرَّمِيمِ

وجاء في التاج واللسان لعمرو بن درَّاك العبدي يشير الى مثل العرب : «أجوَر من قاضي سدوم» فقال :

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المُرونَ على تميمِ
لأعظمُ فجرةً مِنَ ابي رِغالٍ وأجوَرُ في الحكومةِ من سَدُومِ

وقال اميَّةُ بن ابي الصلت يذكر قصَّة سدوم وفجور اهلها وعقابهم (سفر التكوين ف ١٩ ثم معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٩ وكتاب البدء ٣ : ٥٨ وآثار البلاد للقزويني) :

ثمَّ لوطٌ اخو (٤ سدومٍ اتاها اذ أتاها برُشْدها وهُداها
راوَدُوهُ عن ضيفهِ ثمَّ قالوا قد نهيناك ان تُقيم قراها
عَرضَ الشيخُ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ بأجْرَعٍ ترعاها (٥

١) قال الشارح : اي ذهب سمعهُ في الناس. والمُعال المرتفع اي صار لهما شرفًا يُذكَران بهِ . ويروى : « بسمعٍ فعالِ » وهو تصحيف

٢) رُوي هذا البيت لشعراء كثيرين والارجح انَّهُ من هذه القصيدة لاميَّة. قال في خزانة الادب : « المشهور انهُ لاميَّة من قصيدة طويلة عدَّتها تسعة وتسعون بيتًا ذكر فيها شيئًا من قصص الانبياء داؤد وسليمان ونوح وموسى وذكر قصَّة ابراهيم واسحق وزعم انه هو الذبيح وهو قول مشهور للعلماء ». وروي في كتاب البدء : « رُبَّما تكرهُ النفوس ». وفي الخزانة : « من الشرّ »

٣) وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ٥٩) : حين أضحوا

٤) في كتاب البدء : ثمَّ لوطًا اخا

٥) روى القزويني : « غرض الشيخ » وهو تصحيف. وفي كتاب البدء : فرعاها

غضبَ القوم عند ذاك وقالوا أيّها الشيخ خطبةٌ نأباها
أجمعَ القــومُ أمرهم وعجوزٌ خيَّبَ اللهُ سَعْيها ولحاها (١
أرسلَ الله عند ذاك عذابًا جعلَ الأرضَ سُفلها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثمَّ طينٍ ذي جروفٍ مُسَوَّمٍ اذ رماها (٢

٨ ﴿ يعقوب وبنو اسرائيل ﴾ يعقوب ابو الاسباط الاثني عشر الذي دُعي اسرائيل ويقول العرب اسرائين. قال بعض القدماء (اللسان ١٧ : ٣٥١) :

قد جرَتِ الطيرُ أيامنينا قالت وكنتُ رجلًا فطينًا هذا لعمرُ اللهِ اسرائينا

رواهُ في القلب والابدال لابن سكّيت (ص ٩ ed. Haffner) : « هذا وربِّ البيت اسرائينا ». وسمّاهُ اميَّة بن ابي الصلت إسرال (نقد الشعر لقدامة ص٨٣) :

ما ارى مَنْ يغيثني في حياتي غير نفسي الّا بني إسرالِ

وروى الجاحظ (في البيان والتبيان ١ : ١٩٠) لبعض بني اياد النصارى قولهُ وفيهِ اشــارة الى رؤيا يعقوب عند مسيرهِ الى ما بين النهرين اذ رأى سلّمًا تصعد عليهِ ملائكة الله وتنحدر (تكوين ٢٨ : ١٢) فقال :

ونحن ايادٌ عبيدُ الالهِ ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

ونسبوا الاسباط الى يعقوب. قال السموءَل (اطلب طبعتنا لديوانهِ ص ١٢) :

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دراسِ التوراة والتابوتِ

وذكرهُ في محلّ آخر وخصَّ بالذكر يوسف ابنهُ وقصَّتهُ في مصر (ص ٣١) :

وهذا رئيسٌ مجتبىً ثمَّ صفوُهُ وسمَّاهُ اسرائيلَ بكْرِ الاوائلِ
ومن نسلهِ السامي ابو الفضلِ يوسف م الذي اشبع الاسباط قَمْحَ السنابلِ
وصار بمصرٍ بعد فرعون امرُهُ بتعبيرِ احلامٍ لحلّ المشاكلِ
ومن بعد احقابٍ نَسُوا ما اتى لهم من الخير والنصرِ العظيمِ الفواضلِ

٩ ﴿ موسى الكليم ﴾ قد اكثر شعراء الجاهليَّة النصارى من ذكر موسى كليم الله ورووا ما جرى لهُ مع فرعون ونجــاة بني اسرائيل على يدهِ من رقّ المصريين. فمن ذلك ما ورد في كتاب البدء (١ : ٧٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص١٤٥—

١) لحاها اي لعنها. روى القزويني: « عزم القوم امرهم بعجوز. . . ومحــاها ». وفي ياقوت: سَعْيها ورجاها

٢) في معجم البلدان: ذي حروفٍ. والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر

١٤٦) وفي خزانة الادب (١: ١١٩ و ٤: ٢٤٣ في الهامش) لزيد بن عمرو ورُويت ايضاً لأُميَّة :

رضيتُ بكَ ٱللّهمَّ ربًّا فلن أُرَى أَدينُ الهًا غيرَكَ الله ثانيا (١
وانتَ الذي من فَضْلِ منّ (٢ ورحمةٍ بعثتَ الى موسى رسولًا مناديا
وقُلْتَ لهُ فاذهب وهارونَ فادعُوَا الى الله فِرْعَونَ الذي كان طاغيا (٣
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيت هذه بلا وتَدٍ حتى اطمأنَّت (٤ كما هيا
وقولا لهُ أأنت رفَّعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرْفِقْ اذًا بك بانيا (٥
وقولا لهُ أأنت سوَّيت وسطها مُنيرًا اذا ما جنَّهُ الليلُ ساريا
وقولا لهُ من يُرسلُ الشمس غدوةً فيُصبحُ (٦ ما مسَّت من الارض صاحيا
وقولا لهُ مَن أنبت الحبَّ في الثرى فاصبح منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا (٧
ويخرجُ منهُ حبَّةً (٨ في رؤوسهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وروى المقدسي في كتـاب البدء (٣: ٨٢) لأُميَّة بن ابي الصلت يذكر صَلَف فرعون وعقابهُ :

ولفرعونَ اذ تُسَاقُ لهُ الما ءُ فهلَّا لله كان شَكُورا
قال اني انا المُجيرُ على النا سِ ولا ربَّ لي عليَّ مُجيرا
فمحاهُ الالهُ من درجاتٍ ناميات ولم يكن مقهورا (٩
سُلب الذكرَ في الحياة جزاءً واراهُ العذابَ والتغييرا
وتداعى عليهمِ البحرُ حتى صار موجًا وراءهُ مستطيرا

---

١) وفي خزانة الادب (٤: ٢٤٣) : راضيا
٢) فيها (١: ١١٩) : من فضل سَيْبٍ
٣) روى في كتـاب البدء : فادعو . وهو مكسور الوزن . وروى في الخزانة : « وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء . . . . » وهي رواية مغلوطة
٤) في كتاب البـدء : أنت سمَّكتَ هذه بلا عمد حتى استقرّت . وفي بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٢: ٢٨٣) : « أأنت الذي سوَّيت » ووزنهُ مختلّ
٥) في سيرة الرسول : بك هاديا
٦) في كتاب الخزانة : « من اخرج الشمس بكرةً فاصبح »
٧) صحَّفهُ في كتاب البدء بروايتهِ : « من ينبت الحي والثرى فتصبح . . . راسيا »
٨) في الخزانة : « فأَصبحَ منهُ حبُّهُ »
٩) كذا في الاصل . ولعلَّ في البيت تصحيفًا . والمقهور المغلوب

فدعا الله دعوةً لا تُهنَّأُ بعد طغيانهِ فصار مُشيرا (١

وممَّن ذكروا موسى وفرعون السموءَل حيث قال (راجع ديوانهُ ص ٣١):

ألسنا بني مصر المُنكَّلة التي لنا ضُربت مصرٌ بعَشْرٍ مَنا كلِ
أَلَسْنا بني البَحْر المغرَّق والتي لنا غُرِق الفرعونُ يوم التحاملِ

ومثلهُ للقطامي في غرق فرعون (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth):

وشُقَّ البحرُ عن اصحاب موسى وغُرِّقت الفراعنةُ الكِفَارُ

وقال الاعشى مشيرًا الى اكل بني اسرائيل المنَّ والسلوى في البرّية (سيرة الرسول لابن هشام ٣٦٨ ولسان العرب ١٩ : ١١):

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهُمُ ما ابصرَ الناس طُعْماً فيهم نَجَعا

وللسموءَل يصف ما جرى في البرية لبني اسرائيل (ديوانهُ ص ٣١):

واخرجَهُ الباري الى الشعْبِ كي يرى اعاجيبَهُ مع جودهِ المتواصلِ
وكيما يفوزوا بالغنيمةِ اهلُها من الذهب الابريزِ فوق الحمائلِ
أَلَسْنا بني القُدس الذي نُصب لهم غمامٌ يقيهم في جميعِ المراحلِ
من الشمس والامطار كانت صيانةً تجير نوادبهم نزول الغوائلِ
أَلَسْنا بني السلوى مع المنّ والذي لهم فَجَرَ الصوَّانُ عذبَ المناهلِ
على عدد الاسباط تجري عيونُها فُراتاً زلالًا طعمُهُ غير حائلِ
وقد مكثوا في البرّ عمرًا محدَّدًا (٢ يغذّيهمُ العالي (٣ بخير المآكلِ
فلم يبلَ ثوبٌ من لباسٍ عليهم ولم يُحوَجُوا النَّعْل كلَّ المنازلِ
وارسل نورًا (٤ كالعمودِ امامهم يُنير الدُّجَى كالصُّبحِ غيرَ مُزايلِ
ألسنا بني الطور المقدّس والذي تَدَخْدَخَ (٥ للجبّار يوم الزلازلِ
ومن هيبة الرحمان دُكَّ تذلُّلًا (٦ فشرَّفهُ الباري على كل طائلِ
وناجى عليهِ عبدَهُ وكليمهُ فقدَّسنا للرب يوم التباهلِ

١٠ ﴿ القضاة الى داوُد ﴾ كان خلفُ موسى في قيادة شعب اسرائيل يشوعَ بن نون ولم نجد اسمهُ في الشعر الجاهلي. وانما ذكر الشريشي في شرح مقامات الحريري (١ : ٨٠) بيتين للرصافي الشاعر يخاطب وجيهاً اسمهُ موسى فيهما اشارة ايقاف يشوع للشمس فقال:

---

١) نظن انَّ الرواية مصحَّفة ٢) في الاصل: مجدَّدًا ٣) ويروى: الباري
٤) ويروى: وانصب نورًا ٥) ويروى: تدكدك
٦) ويروى: أليس تطأطا بالجليلِ تذلُّلًا

وعشيَّ أُنسىءَ للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقَّعُ
سقطتْ ولم تَمْلِكْ يمينُكَ ردَّها فوددتُ يا موسى لوَ انَّك يوشَعُ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ٩٨) ابياتاً لشاعر جاهلي اسمهُ عوف بن سعد الجُرْهمي يذكر فيها حرب يشوع للعمالقة وقتلهُ لملكهم ملك ايلة الذي دعاهُ السَّمَيْدع بن هوبر فقال :

أَلَم تَرَ انَّ العِمْلقيَّ بن هَوْبَرٍ بأَيْلَةَ أمسى لَحْمُهُ قد تمزَّعا
تداعت عليهِ من يهودٍ جحافلٌ ثمانين الفًا حاسرينَ ودُرَّعا
فأَمست عدادٌ للعماليق بعدَهُ على الارضِ مشيًا مُصْعِدين وفُزَّعا (١
كأن لم يكونوا بين اجبال مكَّةٍ ولم يَرَ راءٍ قبل ذاك سمَيْدعا

ثمَّ ذكروا اوَّل ملك بني اسرائيل المسمَّى شاؤل وهم يدعونهُ طالوت قال السموءَل (ديوانهُ ص ١٢):

وانفلاقُ الامواجِ طُورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ المملَّكُ الطالوتُ

وذكرهُ صاحب القرآن في سورة البقرة (٢٤٨ : ٢) : « ان الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً »

١٢ ﴿ داؤود الملك ﴾ تكرَّر اسمهُ في الشعر الجاهلي . ولم يكد الشعراء يذكرون من امرهِ غير وضعهِ للزَّبور وسردهِ للدروع . الَّا انَّ السموءَل اشار الى قتلهِ جُليات وهو يدعوهُ جالوت قال (ديوانهُ ص ١٣):

ومُصاب الافريس حين عَصَى اللــهَ واذ صابَ حَيْنَهُ الجالوتُ

وفي القرآن (٢ : ٢٥٢): « وقتل داؤد جالوت »

وقد ذكرهُ عبيد بن الابرص (خزانة الادب ١ : ٣٢٣) بياناً لطول عمرهِ :

وطلبتُ ذا القرنَيْن حتى فاتني ركضًا وكدتُ ان ارى داؤودا

وقال الاعشى يذكر حوادث الدهر (حماسة البحتري ص ٩٠):

ومرُّ الليالي كلَّ وقتٍ وساعةٍ يُزَعْزعنَ ملكًا او يباعدنَ دانيا
وردنَ على داؤُودَ حتى أَبَدْنَهُ وكان يناديِ العيشَ اخضر صافيا

وقد اكثروا من ذكر داؤود ونسجهِ للدروع ولا نعلم على ايّ نصّ استندوا في اثبات ذلك قال طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٩ وديوانهُ ص ٥٨ ed. Seligson):

---

١) وفي طبعة مصر (١ : ٢٢) : « فزَّعا » بالزاي

وهُمْ ما هُمْ اذا ما لَبِسوا نَسْجَ داوُودَ لبأسٍ مُحْتَضِرْ

وقال حُصَين بن الحُمَام المرّي (حماسة ابي تمَّام ص ١٨٩) يصف كتائب كان يقودها عمرو بن هند ملك الحيرة الملقَّب بالمحرّق :

عليهنَّ فتيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ وكان اذا يكسو أجادَ وأكرما
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قيونُها ومطّردًا من نسج داوُودَ مُبْهما (١

وكذلك جاء في حماسة ابي تمام (ص ٢٨٤) لحُسَيل بن سُجَيع الضبيّ في وصف الدرع :

وبيضاءَ من نسج ابن داوُدَ نَثْرةٍ تخيَّرتُها يوم اللقاء ملابسا

ومثلهُ للبيد (حماسة البحتري ص ٨٤ وديوانهُ طبعة الخالدي ٨٣) في كوارث الزمان :

وتزَعْنَ من داوُدَ احسن صُنْعهِ ولقد يكونُ بقوّةٍ ونعيمِ
صنَعَ الحديدَ لحفظهِ اسرادَهُ لينال طول العيش غيرَ مَرُومِ

ومثلهم قال الاعشى (شعراء النصرانية ٣٨٨) :

واعددتُ للحرب اوزارَها رماحًا طوالًا وخيلًا ذُكُورا
ومن نسج داوودَ يُحْدَى بها على أثر العِيس عِيرًا فَعِيرا

وكذا لسلامة بن جندل (الاصمعيات ص ٥١) في وصف درع :

مداخَلةٍ من نسجِ داوودَ شكُّها كحبّ الجنا من أَبْلَمٍ متفرّقٍ

ولهُ ايضاً (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٤) :

لبسوا من الماذيّ كلَّ مفاضةٍ كالنَهْيِ يوم رياحهِ الرَّقْراقِ
من نَسْجِ داوودَ وآل محرّقٍ غالٍ غرائبُهُنَّ في الآفاقِ

امَّا زَبُور داوُود فقد مرَّ لنا ما ورد فيهِ من شعر العرب (راجع ما سبق ص ١٨٤) :

﴿ سليمان الحكيم ﴾ اطنب شعراء الجاهليَّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة التي ذكرها الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الايَّام الثاني ويزيد العرب انَّ سليمان كان يقهر الحيوان ويسخّر الجنّ للقيام باعمالهِ الجبَّاريَّة . فمن

١) وفي المعرّب للجواليقي (ص ٣٥)) : محكما

ذلك قول النابغة من قصيدة مدح فيها النعمان فجعلهُ مقتفياً لآثار سليمان في تسخيره الجنّ لبناء تدمر (ديوانهُ في العقد الثمين ص ٧ وشعراء النصرانيَّة ٦٦٣):

ولا أرى فاعلًا في الناس يشبهُهُ ولا أُحاشي من الاقوام من أَحَدِ (١
الّا سليمانَ اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريّةِ فاحدُدْها عن الفنَدِ (٢
وخيِّس الجنَّ اني قد اذنتُ لهم يبنونَ تدمر بالصفّاح والعمَدِ (٣
فمن أَطاعك فانفَعْهُ بطاعتهِ (٤ كما اطاعكَ وادلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَن عصاك فعاقِبْهُ معاقبةً تنهى الظَّلُوم ولا تَقعُدْ على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد الى سليمان بن داوُود حيث قال (معجم البلدان ١ : ٩٣ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥):

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ وورْدٌ بتيماء اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً لهُ ازَجٌ عالٍ وطيٌّ موثَّقُ
يوازي كُبَيْداءَ السماء ودونَهُ بلاطٌ ودارات وكاس وخندقُ

وللاعشى ايضاً في سليمان وسعة ملكهِ وتسخيرهِ للجنّ (كتاب البدء ٣ : ١٠٨):

فلو كان حيًّا خالدًا ومعمّرًا لكان سليمانُ البريُّ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبارةً وملّكهُ ما بين سرفى الى مصرِ (٦
وسخَّر من جنّ الملائك شيعةً (٧ قياماً لديهِ يعملون بلا أجرِ (٨

---

١) ويروى: «وما ارى . . وما احاشي»

٢) ويروى: ولا سليمان اذ قال المليكُ لهُ . ويروى: كُنْ في البريّة . . عن العَندِ . ويروى: واردُدها عن الفند . ويروى: وازجرها عن الفَنَد . والفند الخطأ

٣) خيّسَهُ ذلّلهُ . وتدمر المدينة الشهيرة التي ذُكر في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) ان سليمان بانيها . والصفّاح الحجارة العراض . وروى الثعلبي في قصص الانبياء:

وجيِّش الجيش اني قد أبحتُ لهم بناء تدمر بالاحجار والعمَدِ

٤) ويروى: فاعقبْهُ لطاعتهِ اي جازهِ

٥) الضَّمَد الذلّ والظلم

٦) قولهُ «عبارةً» لعلّهُ تصحيف «عبادهُ» . امَّا سرفى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان وقد زعم المسيو هوارت (Ch. Huart) انها صرفند وانّ الاعشى اشتقها من اليونانيّة «Σαρεφθά»

٧) روى في لسان العرب (١٦ : ٢٥١) والتاج (٩ : ١٦٥): تسعة

٨) روى في التاج (٩ : ١٦٥): «يعملون محاربا» بتغيير القافية غلطاً

وقال الاعشى (حماسة البحتري ص ٩٠) في تسخير الجنّ لسليمان :

فذاك سليمانُ الذي سخّرت لهُ مع الانس والجنّ الرياحَ المَرَاخيا

ولاميَّة بن ابي الصلت في قهر سليمان للجنّ (اللسان ١٩ : ٢١٥) :

أيّما شاطنٍ عصاهُ عكاهُ ثمَّ يُلقَى في السجن والأغلالِ

ومثلهُ لشاعر حميري (حماسة البحتري ص ٨٧) في صروف الدهر :

خطفنَ سليمانَ الذي سُخّرت لهُ شياطينُ جنٍّ من بريءٍ وذي جُرْمِ

وكذا قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص٨٦) :

ومُلكَ سليمان بن داوُودَ زلزلَتْ وريدانَ قد ألحَقنَهُ بالصعائدِ

وقد مرَّ سابقاً ان اسم سليمان ورد على صور اخرى كسالم وسلَّام وسُلَيم (راجع الصفحة ٢٣٢) :

﴿ يونان النبي ﴾ لم نجد في الشعر الجاهلي ذكرًا لاحد ملوك بني اسرائيل بعد سليمان. وكذلك الانبياء الّا يونان النبي فانَّهم يدعونهُ يونس ويشيرون الى قصَّتهِ وبعثتهِ الى اهل نينوى فيذكرون ابتلاع الحوت لهُ. قال اميَّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ص ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦) :

وانت بفضلٍ منك نجَّيتَ يونساً وقد بات في أضعاف حوت لياليا
رسولًا لهم واللهُ يُحكم امرهُ يُبين لهم هل يؤنسُ التربُ باديا

وقد ضربوا المثل في حوتهِ فقالوا: « آكل من حوت يونس » و « أنهم من حوت يونس » وكذلك ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الصافات حيث قال (ع ١٣٩ — ١٤٨) : « وانَّ يونس لمن المُرسَلين اذ ابق الى الفُلك المشحون فساهَمَ فكان من المُدحَضين فالتقَمَهُ الحوت وهو مُليم. فلولا انهُ كان من المسبّحين للَبِث في بطنهِ الى يوم يُبعَثون فنبذناهُ بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليهِ شجرةً من يقطين وارسلناهُ الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتَّعناهم الى حين ». وقد ورد للفرزدق ابيات في نجاة يونان من بطن الحوت فقال في ابن هبيرة حين ثقب سجن خالد بن عبد الله القسري وعبر الفرات (محاضرات الادباء ٢ : ١١٤ والفرج بعد الشدَّة للتنوخي ١ : ١٢٨) :

ولمَّا رأيتَ الارض قد سُدَّ ظهرُها ولم ترَ الّا بطنَها لك مخرجا
دعوتَ الذي ناداهُ يونسُ بعد ما ثوى في ثلاثٍ مظلماتٍ ففُرِّجا

وروى في كتاب البدء (١ : ٧٣) بيتاً لصرمة بن انس المعروف بالراهب فيهِ اشارة الى قصّة يونس . ولعلّ البيت مصحَّف :

ولهُ الراهبُ الحبيسُ تراهُ رَهْنَ يونس (١ وكان ناعمَ بالِ

وقد وجدنا في بعض مخطوطات باريس العربيَّة « كتـاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد » (Ms 687 de Paris, ff. 65) بيتاً لاميَّة يذكر فيهِ اليقطينة التي انبتها الله ليستظلّ تحتها وايبستها الشمس (سفر يونان ٤ : ٣-٧) :

فأَنبَت يقطينًا عليهِ برحمةٍ من الله لولا اللهُ أَبَقِي (٢ صاحيا

ونضيف الى ما سبق بيتاً رواهُ الجاحظ لاميَّة (كتاب الحيوان ٧ : ١٧) ذكر فيهِ نبوَّة حزقيال التي رآها حيث ظهر لهُ رجل ثمَّ اسد ثم ثور ونسر وهي الحيوانات الرمزيَّة المشار بها الى الاربعة الانجيليين اعني متّى الذي بدأ انجيلهُ بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبهِ ثمَّ مرقس الذي افتتح انجيلهُ ببشارة يوحنا المعمدان كزئير الاسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء انجيلهِ ضحية زكريَّا في الهيكل واخيرًا يوحنَّا الذي ارتفع كالنسر بوصف مولد ابن الله الكلمة الازلية . وهذا هو البيت :

رجلٌ (٣ وثورٌ تحت رِجْل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ موصدُ (٤

وكذلك ورد في الشعر الجاهلي اسم حيقار او حَيقر المذكور في الترجمة اليونانيَّة من سفر طوبيَّا (١ : ٢٣) ولهُ قصَّة طويلة عند العرب نشرها حضرة الاب انطون صالحاني في ملحقات الف ليلة وليلة . قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص ٨٦) في بلايا الدهر :

عصَفنَ على الحيقارِ وسطَ جنودهِ وبيَّتن في لذَّاتهِ ربَّ ماردِ

هذا ما وقفنا عليهِ في الشعر الجاهلي من منقولاتهم عن العهد القديم الَّا انَّ في رواياتهم النثرية ما كان اوسع وادلّ لولا انَّ معظمها قد فُقد وانما حُفظ منها قسم في تاريخ المؤرخين الاقدمين كتاريخ الطبري او كتبهم الادبية ككتب الجاحظ وكثير

---

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : « رهن يونا » بدلًا من يونان ليستقيم الوزن
٢) كذا في الاصل ونظنّ الصواب : ما يقي صاحيا
٣) رواهُ الدميري في حياة الحيوان : « زحل » وهو تصحيف
٤) وفي عجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦) وليث ملبدُ

منها مدوَّن في القرآن . ومن هذه الروايات ما هو موافق لنصوص الكتب المقدسة منقول عنها بحرفها او بمعناها . ومنها ما تجدهُ في كتب مصنوعة نُسبت زورًا الى انبياء او رسل او صالحين كبعض كتب الرُّؤَى (Apocalypses) او الوحي المزعوم كوصيَّة آدم وكتاب احنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وكتب أُخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيَّما الرهبان او بواسطة اهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الفريَّة ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربَّما استند اليها بعض اعداء النصرانية في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنَّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفاً

٢ أَحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهليَّة الاخبار المدوَّنة في اسفار العهد العتيق كذلك عرفوا احداث العهد الجديد واشاروا اليها نظماً ونثرًا

ومعلوم انَّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواهُ الانجيليُّون الاربعة عن السيد المسيح وسيرة حياتهِ وتعليمهِ وموتهِ وقيامتهِ يُضاف اليها امور ورد ذكرها في التقليد الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى ودوِّنت في تآليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنَّفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الغثُّ بالسمين واختلط الباطل باليقين كبعض اناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١ : ١٦٤—٢٠٥) وانتشر قسمٌ منها في بلاد العرب بين اهل الجاهليَّة

فممَّا عرفوهُ انَّ عيسى اي يسوع الناصري هو المسيح . قال السموءَل (راجع طبعتنا لديوانه ص ٣٢) :

وفي آخرِ الأيَّامِ جاءَ مسيحُنا فأهدى بني الدُّنيا سلامَ التكامُلِ

والعرب لم يُطلقوا هذا الاسم على غيرهِ بل صرَّحوا انهُ هو اسمهُ الخاص بهِ . وكذلك نسبوهُ الى امهِ مريم كما مرَّ لعمرو بن عبد الحق :

وما سبَّح الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح ابن مريما

يؤيدهُ قول القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٠) : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشِّركِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى أبنُ مريم »

وقد عرفوا من التقليد انَّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفاً على نساء

العالمين فطهَّرها الله مُنذ حُبل بها بالبطن وذلك بنعمة خاصَّة منهُ تعالى حتَّى انَّ الثعلبي روى في كتاب قصص الانبياء المسمَّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين وهو قولهُ: « ما من مولود الَّا والشيطان يَمَسُّهُ حين يولد فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان الَّا مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار الى هذه النعمة الجليلة حيث يقول (سورة آل عمران (ع ٣٧): « يا مريم انَّ الله اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين »

وذكر الثعلبي ايضاً (ص ٣٣٥–٣٣٨) وروى قبلهُ المقدسيّ ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ (ج٣: ١١٨–١٢٠ ed.Huart) خبر مَولد مريم العجيب من حنَّة العاقر بعد نذر والدتها ثمَّ اعتزالها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثمَّ كفالة زكريَّا لها في الهيكل الى حين اقترانهـا بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مرويّ في سورة آل عمران (ع ٣١–٣٣):

« اذ قالت امرأة عمران: ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني انك انت السميع العليم فلما وضعَتها قالت: ربِّ اني وضعتُها أنثى والله اعلم بما وضعَتْ وليس الذكرُ كالانثى واني سمَّيتُها مريم واني اعيذُها بك وذرّيَّتها من شيطـان الرجيم فتقبَّلها ربُّها بقَبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكرياء كلَّما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: أنَّى لكِ هذا. قالت: من عند الله ان الله يرزُق من يشاء بغير حساب »

ولم يَفتهم ذكر يوحنَّا المَعمَدان السابق أمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطَّرًا في انجيلي لوقا ومرقس عنهُ اعني ميلادهُ العجيب على كبر سنّ والديهِ وبيَّنوا مقامهُ بين الانبياء وتقدُّمهُ امام وجه المسيح وموتهُ على يد هيرودوس انتيباس اذ نهاهُ عن الزواج بامرأة اخيهِ كما ورد في تاريخ الطبري (ج ١ ص ٧١١–٧٢٠) وفي كتاب البدء والتاريخ (٣: ١١٦–١١٨)

وممَّا رووهُ بتفصيلهِ بشارة الملاك للعذراء مريم بالمسيح وحَبلها من الروح القدس وإنْ دخل في رواياتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونيَّة كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقاً (ص ١٨٧–١٨٨) عن اميَّة بن ابي الصلت التي اوَّلها:

وفي دينكم من ربِّ مريم آيةٌ منبِّئةٌ بالعبد عيسى بن مريما

ومثلها ما رووهُ من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلّمهِ في المهد وكآياتهِ في هربهِ الى مصر من وجه هيرودوس وفي حياتهِ في الناصرة كانحناء اغصان النخل امام

امّهِ لتجني من ثمرها وكنبات البلسان في المطريّة لمّا سقت ارضها بماء غسلهِ وكإفحام يسوع لاستاذهِ في الناصرة بما كان يعرضهُ عليهِ من المشاكل وكنفخهِ في طير يصطنعهُ من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رُويت في الاناجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخصُّها انجيل الطفوليَّة فتناقلها اهل الجاهليَّة ورُوي بعضها في القرآن في السُّوَر الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنيَّة جَمْعَهُ لرسلهِ وانصارهِ الحواريّين فنوَّهوا بهم في شعرهم (راجع الصفحة ١٨٩—١٩٠ وكرَّر ذكرهم في القرآن. وذكروا ايضاً الآيات التي اجترحها ورُويت في الاناجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان وردّ النطق للبُكم والسمع للصُّمّ واحياء الموتى حتى ضُرب المثل بطبّ عيسى وشفاء عيسى قال الثعالبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبعة مصر ص ٤٧):

طبّ عيسى – يُضرَب بهِ المثل لانهُ كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله. ومن امثال العرب: فلان يتطبَّب على عيسى بن مريم قال المتنبّي:

فآجَرَك الالهُ على عليلٍ بعثتَ الى المسيح بهِ طبيبا

وكثيراً ما ذكروا الانجيل الذي بشَّر بهِ السيّد المسيح فاشاروا الى ما فيهِ من الهدى والنور والموعظة للمتَّقين» (سورة المائدة العدد ٥٠) قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦):

وأُوتيا المُلكَ والانجيلَ نقرأُهُ نشفي بحكمتهِ احلامَنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلَنا فوق البريَّة ارباباً كما فعَلا

ومثلهُ قول النابغة في بني غسّان وقد دعا الانجيل بالمجلّة:

مجلَّتُهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وأذكروا اسرار حياة المسيح في ختامها كدخولهِ اورشليم يوم الشعانين (راجع الصفحة ٢١٥) وكعشائهِ السرّي في خميس العهد ورسمهِ لسرّ القربان الاقدس وآلامهِ وصليبهِ وموتهِ وان اختلطت في اقوالهم شُبُهات نقلوها عن الكتب المزوَّرة التي رذلتها الكنيسة منذ ظهورها. وقد سبق لنا (ص ٢٠٩ — ٢١٠) ايراد اقوالهم في القربان. وتسميتهم لهُ بالشَّبر. وقلنا هناك انَّهُ ليس بمستبعد انَّ القرآن في سورة المائدة (ع ١١٢—١١٦) بذكرهِ للمائدة التي انزلها السيّد المسيح على الحواريين انما

اشار الى المائدة السموية اي القربان الاقدس (راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٣٥) وكذلك عرفوا في عهد الجاهلية انَّ النصارى يعبدون المصلوب (راجع الصفحة ٢٠٣ — ٢٠٤) كقول حجّار بن ابجر في بني عجل النصارى :

يهدّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

وكقول الأُقَيْشر :

« في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهم »

وممَّا ألمعوا اليهِ ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيهِ بعد الصوم الاربعيني (راجع الصفحة ٢١٦) كما قال الاعشى في هوذة بن علي لمَّا فكَّ اسارى تميم :

ففكَّ عن مئةٍ منهم إسارَهمُ واصبحوا كلُّهم من غُلّهِ خُلعا
بهم تقرَّب يوم الفصحِ ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وآخر ما رووا من اعمال المسيح صعودهُ الى السماء وهو عيد السُّلَّاق (راجع ص ٢١٧) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى (سورة آل عمران ع ٢٨) حيث قال: « قال الله يا عيسى انّي متوفّيك ورافعُك اليَّ »

ويضيفون الى ذلك انَّ السيّد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد انتصاره على المسيح الدَّجال كقول القائل « اذ المسيحُ يقتلُ المسيحا » (لسان العرب ٣ : ٤٣٠) وكما قال اميَّة بن ابي الصلت (راجع الصفحة ١٧٨) :

ايَّام يلقى نَصاراهم مسيحَهُمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

وهذا بلا شكّ اخذوهُ من قول السيد المسيح في انجيل يوحنَّا (٥ : ٢٢) : « انَّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن ليُكرم الابنَ جميعُ الناس » او من قولهِ في انجيل متى (١٦ : ٢٧) : « ان ابن البشر مزمع ان يأتي في مجد ابيهِ مع ملائكتهِ ليجازي كل احد بحسب اعمالهِ »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثير من اخبار السيد المسيح المدوَّنة في اسفار العهد الجديد اطَّلعوا ايضاً على بعض الاحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي كانت بين السيّد المسيح وظهور الاسلام . من ذلك بعثة رسل المسيح الى اقطار العالم ليدعوا الأُمم الى دينهِ كما روى ذلك اقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخهِ (ج ١ ص

٧٣٧–٧٣٩) وابن طاهر المقدسيّ في كتاب البدء والتاريخ (ج٣ ص١٢٧). ويقول مفسّرو القرآن انَّ ما ورد في سورة يس عن مُرسَلَين أُرسلا الى قرية ليدعوا اهلها الى نفي عبادة الاصنام والايمان بالله انَّما يشير الى حواريَّين وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما الى انطاكية ليردَّا اهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونهُ حبيباً النجَّار قُتل شهيدًا عن ايمانه وعاقب الله قاتليهِ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩–٧٩٣)

وممَّا رووهُ من اخبار النصارى نقلًا عن كتبتهم قصَّة شهداء أفسس السبعة الذين اراد الملك دقيوس في اواسط القرن الثالث للمسيح ان يضطرَّهم على عبادة الاصنام فهربوا من وجه الحكَّام واختفوا في مغارةٍ حيث قيل انَّ الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الَّا بعد سنين طويلة مرَّت عليهم كليلةٍ فبعثهم الله ليكونوا آيةً لقيامة الموتى. فهذه القصَّة التي شاعت في عدَّة بلاد وروتها مجاميع اخبار القديسين تحت اسم « السبعة النوَّام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهليَّة فدعوهم اصحاب الكهف اشارةً الى الكهف الذي رقدوا فيهِ. وقد ذكرهم اميَّة بن ابي الصلت في ابيات لم يُعرَف منها غير بيت استشهد بهِ البيضاوي في تفسير القرآن (طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الَّا الرقيمُ مجاورًا وصَيدَهُمُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكهف. وقد اتَّسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الادب (٢: ٢٣٦) ملخَّصةً عن الدميري وتجدها ايضاً مفصَّلة في تاريخ الطبري (ج ١: ٧٧٥ – ٧٨٢)

وقد عرف العرب في الجاهليَّة شهيدًا آخر للنصرانيَّة وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديوقلسيانوس في اوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونهُ بالخضر جعلوهُ من الانبياء وزعم الطبري (ج ٧ ص ٧٩٥) « انَّهُ ادرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم » ورووا في استشهادهِ العجائب الغرائب (١). وقد وجدوا بين الكنائس المشيَّدة لاكرامهِ كنيسةً ترقى الى القرن الرابع للمسيح في

١) راجع في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٣٨٥ – ٣٩٥) مقالةً جمعنا فيها ما يُعرَف من آثار هذا الشهيد ثمَّ اضفنا اليها اثرًا آخر اثبتناهُ في المجلَّة عينها (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤ – ٤٣٠) اطلب ايضاً تاريخ الطبري (١ ص ٧٩٥ – ٨١٢)

جهات العرب وهي اقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (١

وقد سبق لنا (اطلب الجزء الاوَّل ص ١٠٣ — ١٠٤) انَّ عرب الجاهليَّة عرفوا ايضاً القديسَين الشهيدَين سرجيوس وباخوس وانَّ اقدم أثرٍ كُتب بالعربيَّة انَّما كان لتذكارهما. وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأثر الراقي الى سنة ٥١٢ للمسيح ورويِنا ما اثبتهُ احد مشاهير السريان عن تعبُّد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما انَّنا ذكرنا اقوال الشعراء في خروجهم الى الحرب تحت راية ذاك الشهيد (ص ٩٩—١٠٠)

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم باصحاب الاخدود لانَّ ذا نوَاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في اخاديد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال (ع ١ — ٩):

والسماء ذات البروج واليومِ الموعود وشاهدٍ ومشهود قُتل اصحاب الاخدود النار ذات الوَقُود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الَّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي لهُ ملك السماوات والارض واللهُ على كل شيءٍ شهيد

امَّا ذو نوَاس فحاربهُ الحبش وغلبوهُ وانتزعوا بلاد اليمن من يدهِ وفيهِ يقول عمرو بن معدي كرب (كتاب العرائس للثعلبيّ ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣ : ١٨٣):

أتُوعدُني كأنَّك ذو رُعينٍ بأنعم عيشةٍ او ذو نوَاسِ
وقدماً كان قبلك في نعيم (٢ وملكٍ ثابت في الناسِ راسي
فقدُم عهدهُ (٣ من عهد عادٍ عظيمٍ قاهر الجبروت قاسي
فأمسى اهلهُ بادُوا وامسى يُنَقَّل (٤ في أُناسٍ من أُناسِ

ومما درى بهِ ايضاً عرب الجاهليَّة من امور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

١) راجع مجموع الكتابات اليونانيَّة (CIG n° 8609) وكتابات وادنغتن (Wadington, n^{os} 1981, 2038, 2092, etc)

٢) روى في كتاب البدء والتاريخ (٣ : ١٨٣) : وكائن كان قبلك من نعيم

٣) وفيهِ : قديمٌ عهدهُ ٤) وفيهِ : يحوَّلُ

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والمؤمنين مع ما لهم من الطقوس الدينيَّة والاسرار المقدَّسة والعادات التقويَّة وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليُراجع

الفصل الخامس

في الامثال العربية المنقولة عن الاسفار المقدَّسة

يعرف القرَّاء ما كان للامثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهليَّة فانهم اودعوها اخبارهم وضمَّنوها حكمهم وكانوا يُحلُّون بها صدور محافلهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في اسلاك قصائدهم وينقلونها في انحاء جزيرتهم حتى ضُرب المثل في سيرها فقالوا: أَسيَر من مثل وانما فضَّلوها لاربع فوائد وجدوها فيها كما قال احدهم: اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وهذه الخواصّ تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم اذ عُرفوا بالرزانة والتروّي في الكلام وايراد الحكم البليغة باللفظ الوجيز. وقد اشار صاحب سفر الملوك الثالث الى حكمة العرب هذه عند كلامهِ عن حكمة سُلَيمان وقد سماهم هناك باهل المشرق فقال (٤: ٣٠) : « ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع اهل المشرق » ثمَّ ذكر بعض العرب المشهورين بذلك

ولمَّا ظهر الاسلام واخذ اللغويُّون يجولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الادبيَّة جعلوا لامثالهم شأناً عظيماً. وكان اوَّل من اخذ بجمعها عبيد بن شريَّة وصُحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولكليهما كتاب في الامثال واشتهر بعدهما المفضَّل الضبّي في اوائل الدولة العبَّاسيَّة وقد طُبعت امثالهُ في الاستانة ثمَّ تبعهُ ابو عُبيد القاسم بن سلام ولهُ كتاب الامثال السائرة ثمَّ الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثمَّ هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حِمير ثم ابن الاعرابي ولهُ تفسير الامثال وابن قتيبة مؤلف حكم الامثال ثم العسكري مؤلف جمهرة الامثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري (+ ٥٣٩—١١٤٥ م) فوضع كتابهُ مجمع الامثال وضمَّنهُ نيفاً وستَّة الاف مثل جمعها من اكثر من خمسين

كتاباً ورتَّبها على حروف المعجم (ونحن نشير في كلامنا الى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤)

وقد راجعنا ما تيسَّر لنا من هذه المجاميع لعلَّنا نقف على اصول تلك الامثال فوجدنا عددًا منها نُقل بلفظهِ او بمعناهُ عن اسفار العهدين القديم والحديث ما يدلُّ على انَّ قائليها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعلَّ قوماً منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم ان يضربوا الامثال نقلًا عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينيَّة

وها نحن نورد هنا هذه الامثال اثباتاً لقولنا ونشير الى الآيات الكتابيَّة المأخوذة عنها . ولم ننقل غير الامثال الراقية الى عهد الجاهليَّة او اوائل الاسلام مما يدلُّ على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل اربعة اقسام

١ انَّ بين الامثال العربيَّة قسماً كبيرًا ورد على صورة أَفعَل التفضيل ذكرهُ الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم . وهذه الامثال مبنيَّة على ما خُصَّت بهِ المواليد الطبيعيَّة من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الاسد . فهذه الامثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصَّة بهم وقد سبقهم الى استعمالها اصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل انَّ العرب استعاروها من تلك الاسفار او انَّهم اوردوها بمجرَّد نظرهم الى الطبيعة

فمنها امثال مبنيَّة على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجوّ والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليهِ من ذلك . يقول العرب: احسن من الشمس والقمر (الميداني ١ : ٢٠١) وابهى من القمرين (م ١ : ١٠١) واشهر من البدر (م ١ : ٣٤٣) واثقب من النجوم وارفع من السماء (م ١ : ٢٧٨) وأَبيَن من فلَق الصبح (م ١ : ١٠٣) وأنور من وضح النهار (م ٢ : ٢٦٢) فهذه الامثال قد سبق اليها كلّها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة (٧ : ٢٩) عن الحكمة: «انَّها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم واذا قيست بالنور تقدَّمت عليهِ» وكقول ابن سيراخ (١٧ : ٣٠): «ايُّ شيءٍ اضوأ من الشمس» وكقول سفر الاناشيد (٦ : ٩): «مَن هذه المُشرفة كالصُّبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس»

ويقول العرب آكَلُ من النار (م ١ : ٧٤) وقال اشعيا النبيّ قبلهم (٣٠ : ٢٧): «هوذا اسم الربُّ يأتي من بعيد ... وشفتاهُ مملوءَتان سخطاً ولسانهُ كنار

آكلة ». وضربوا المثل في سرعة البرق (م ١ : ٣١٥) وقـال الربُّ قبلًا في الانجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقاء ١٠ : ١٨) : « اني رأيتُ الشيطـان ساقطاً من السماء كالبرق »

ومن امثالهم في الحسن : « احسن من الدُّمية » (م ١ : ٢٠٠) وكان داوُد قال في مزاميره (١٤٣ : ١٢) : « انَّ بَناتنا كاعمدة الزوايا مزيَّنات كدُمية هيكل »

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا : « أقسى من صخرة ومن حجر » (م١ : ٦٢) وايبس من صخر (م٢ : ٣٢٢ وارسب من حجـارة (١ : ٢٧٨) ومثلهُ في اشعيا (٥٠ : ٧) عن ثبات المسيح بازاء اعدائهِ : « السيد الرب ينصرني لذلك لم اخجل بل جعلتُ وجهي كالصوَّان » وقال : موسى في تثنية الاشتراع (٨ : ١٣) لبني اسرائيل عن الرب : « انهُ اخرج لك المـاء من صخرة الصوَّان » وقد اشار السيد المسيح الى ثبات بيعتهِ لمَّا دعا رسولهُ بطرس الهامة بالصخرة واكَّد لهُ انهُ « يبني بيعتهُ على تلك الصخرة فلا تقوى عليها ابواب الجحيم » (متَّى ١٦ : ١٨) . ويشبههُ مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا : اثقل من الرصاص (م١ : ١٣٨) وارسى من الرصاص (م١ : ٢٧٨) وقد شبَّه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص (خروج ١٥ : ٥ و ١٠) : « غطَّتهم اللُّجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة . . . وغرقوا كالرصاص في غمر المياه » وكذلك قولهم : « اثقل من طَوْد » (م ١ : ١٣٨) وقد شبَّه الملك داود في الزبور (١٢٤ : ١) المتَّكلين على الرب « بجبل صهيون الغير المتزعزع الثابت الى الابد »

وممَّا ضربوا فيهِ الامثال من الجمادات مُروق السهم ومضاء السيف وحدَّةُ الموسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الارض فقالوا : « أمرَق من السَّهم » (م ٢ : ٢٣٣) وامضى من السيف (م ٢ : ٢٣٦) وأحدُّ من مُوسى (م ١ : ٢١٢) واعدل من ميزان وأخلَف من سحابة صيف وأحلى من العسل (م ١ : ٢٠١) واشهى من الخمر (م ١ : ٣٤٢) واحقر من التراب (م١ : ٢٠٢) . وكلّ ذلك قد شبِّهت بهِ الكتب المقدَّسة فقال اشعيا (٤٩ : ٢) « جعل (الربّ) فمي كسيفٍ ماضٍ . . وجعلني سهماً مختارًا وفي جعبتهِ سترني » وقال بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (٤ : ١٢) : « انَّ كلمة الله هو حيّ عامل أمضى من كلّ سيفٍ ذي حدَّين » وقال داود النبيّ (مز ٤٤ : ٦) : « نِبـالُك مسنونة . . هي في

قلوب اعدائك » وقال ايضاً (مز ٥١ : ٤) في الرجل الظالم :« لسانك يخترع الظلم عاملًا بالغش كالموسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان (اخبار١٩ : ٣٥–٣٦) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة تكون لكم » وقد شبَّه القديس يهوذا في رسالته (١ : ١٢) المنافقين بالسحابة المخلفة فقال :« هؤلاء سُحُب بلا ماء تحملُها الرياح » . امَّا حلاوة العسل فتكرَّر ذكرها في الكتاب المقدَّس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة (٢٤ : ٢٧) : « انَّ روحي احلى من العسل وميراثي ألذُّ من شَهْد العسل » وقال صاحب المزامير (١٨ : ١١ :« خشية الربّ اشهى من الذهب والابريز الكثير واحلى من العسل وقَطْر الشِهاد » . وقال في سفر نشيد الاناشيد في شهوة الخمر (١ : ٣) :« نفرح ذاكرين حبَّك الذي هو اطيب من الخمر » . وقال في المزامير (١١٢ : ٧) في حقارة التراب :« انَّ الربّ يُنهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسَهُ مع عظماء شعبهِ»

وكما سبقت الكتبُ المقدَّسة العربَ في امثالهم المنقولة عن الجماد كذلك تقدَّمتهم في استعارة الامثال عن الحيوان ومميّزاته . فمن ذلك ضربُهم المثل بشجاعة الاسد فقالوا :« اجرأ من قَسْوَرة ومن ذي لُبَد » (م ١ : ١٦٤) واشجع من أُسامة واشدّ من أَسد (م١ : ٣٤٣) . وقال قبلهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة (١٤ : ١٨) : « اي شيءٍ احلى من العسل واي شيءٍ اشدّ من الأَسد » . وقال في سفر الامثال (٢٨ : ١) :« الصدّيقون كشِبْل يطمئنُّون » . وقال يعقوب في نبوَّتهِ على يهوذا (تك ٤٩ : ٩) :« يهوذا شبلُ اسدٍ . . . جثمَ وربض كأَسد وكلبوَّة فمن ذا يقيمهُ »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوتهِ وفي خبث الثعلب فقالوا :« أظلم من ذئب » (م ١ : ٣٩٢) وأعدى من ذئب (م ١ : ٤٣٠) وأَسْلط من سِلْقَة وهي الذئبة (م١ : ٣١١) وأَروغ من ثُعَالة . قال طرفة :« كلهم اروغ من ثَعْلَب » (م ١ : ٢٧٩) . وتقدَّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب (تك ٤٩ : ٢٧) : « بنيامين ذئبٌ يفترس » وقال السيّد المسيح لتلاميذهِ (لو ١٠ : ٣) :« ها انا مُرسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال ايضاً (متى ٧ : ١٥) :« احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُمْلان وهم في الباطن ذئاب خاطفةٌ » وقد شبَّه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثهِ (لو ١٣ : ٣٢) . وقالوا على خلاف ذلك :« اذلُّ من النَّقَد »

اي الغنم. وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بازاء اعدائهِ (٥٣ : ٧) : « كشاة سِيق الى الذبح وكحَمَل صامت امام الذين يجزُّونهُ »

وقد ضرب العرب الامثال في الفرس وسرعتهِ وشدَّتهِ وكرم طباعهِ فقالوا: « أجود من الجواد المُبرّ » (م ١ : ١٦٧) وأسرع من فريق الخيل (م ١ : ٣٠٧) وأشأى من فرس واشدّ من فرس (م ١ : ٣٤١) . وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولا سيما في وصف سفر أيوب (٣٩ : ١٩ — ٢٥) : « أأنت الذي يؤتي الفرس قوَّة ويقلّد عنقهُ رعدًا . . . »

وكذلك ضربوا الامثال في الكلب وفي السوس وفي النملة فقالوا: « آلف من كلب (م ١ : ٧٥) وأطوَع من كلب (م ١ : ٣٨٧) وأحرص من كلب على جيفة (م ١ : ٢٠١) وقالوا: « آكل من السوس (م ١ : ٧٤) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا: أجمع من النملة (م ١ : ١٦٦) وأكسب من نملة وذرَّة (م ٢ : ٩٨) واحرص من نملة (م ١ : ٢٠٢) . وفي الكتب المنزلة اوصاف مثلها فجاء في سفر طوبيا (٦ و ١١) وصف ألفة الكلب. وقال اشعيا يصف رقباء اسرائيل وطمعهم (٥٦ : ١١) : « كلاب نَهِمة النفوس لا تعرف الشبَع » . وقال في سفر الامثال (٢٥ : ٢٠) عن السوس والعث : « كالعثّ في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذهِ (متى ٦ : ١٩) : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » واماَّ النملة وحرصها على جمع الطعام فقد ألمع اليها سفر الامثال بقولهِ للكسلان (٦ : ٦) : « اذهب الى النملة ايها الكسلان انظر طرقها وكن حكيمًا »

ومن امثالهم في الطيور ما قالوهُ في منعة العقاب وسرعة طيرانهِ وحدَّة بصرهِ وفي عمر النسر وفي ألفة الحمام ونهَم الجراد: « اعزّ من عقاب الجوّ » (م ١ : ٤٣٧) وأبصر من عقابِ مَلاعٍ (م ١ : ١٠٠) وأعمَرُ من نسر (م ١ : ٤٣٤ وآلف من حمام (م ١ : ٧٥) واجرد من الجراد (م ١ : ١٦٧) . وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول ايوب (٣٩ : ٢٧) : « أبأمرك يحلّق النسر ويجعل وكره في العلاء مسكنهُ الصخر وفيهِ مبيتهُ وعلى انف الصخر معقلهُ من هناك يبحث عن قوتهِ وعيناهُ تنظران من بعيد » وقال داود في رثائهِ لشاول وليوناتان (٢ ملوك ١ :

٢٣) : « أسرَع من النسور واشدّ من الاسود » . وقال السيِّد المسيح ممثِّلًا بوداعة الحمام (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام » . ثمَّ في تثنية الاشتراع (٢٨ : ٣٩) يتهدَّد الرب شعبهُ « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحيَّة والافعى : « اظلم من حيَّة واظلم من أفعى » (م ١ : ٣٩١) واعدى من الحيَّة (م ٢ : ٤٢٩) . ومثل هذا في سفر ايوب يصف المنافق (٢٠ : ١٦) : « يرضع سُمَّ الأَصلال فتقتلهُ لسان الأَفعى » وفي الكتب المقدَّسة آيات كثيرة تشير الى خبث الحيَّة وسمّها القاتل . وفي الانجيل الكريم (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا حكماء كالحيَّات » قال ذلك لأَنَّ الحيَّة تحرص على رأسها لئَلَّا تصاب بأذى فتصونهُ دون جسمها . ولعلَّ العرب ارادوا ايضاً ذلك بقولهم « أعدى من الحيَّة » يريدون العَدْو اي السرعة لتسرّعها الى جحرها لتنجو من العدو . هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان (١ : ٣٢٠) بخلاف الميداني الذي اشتقَّهـا من العداوة والظلم . وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 459) على صورة اخرى فقال : « احلم من الحيَّة » ثمَّ روى (ص ٤٦٠) كلام الانجيل هكذا : « انَّ المسيح (عم) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيَّات وبُلهاً كالحمام »

*

٢ ومن امثال العرب الدالَّة على اختلاطهم باهل الكتاب وعلى الاخصّ بالنصارى ما رووهُ منسوباً الى الانبياء او الى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء اشياء كثيرة من ذلك في كتاب الامثـال للميداني (م) وقد صنَّف ابو منصور الثعالبي كتاباً جليلًا في هذا المعنى دعاهُ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة وقد طُبع في مصر طبعاً سقيماً سنة ١٣٢٦ نشير اليهِ بحرفي « مض » ونتّبع زمن التاريخ مباشرةً بآدم

(آدم) عرفوهُ بابي البشر وضربوا بهِ المثل بالشهرة (مض ٢٩) وبالقِدَم (اطلب الصفحـة ٢٨٣) = (أَنوش) هو ابن شيث ويدعى اخنوخ ينسب اليهِ العرب الآثار القديمة والخطّ فقالوا : « انَّما خَدَشَ الخدوشَ أَنوشُ (م ١ : ١٥) » = (نوح) ذكروا سَفينة نُوح وغراب نُوح وعُمر نُوح (مض ٢٩—٣١ اطلب ص ٢٨٥) = (ابراهيم الخليل) ذكروا (مض ٣١ — ٣٤) « مقـام ابراهيم » فضربوا بهِ المثل

اكل مكان شريف. ونار ابراهيم زعموا انَّهُ نجا منها باذن الله. وصُحُف ابراهيم لِحِكَمٍ قالوا انَّ الله انزلها عليهِ. وضيف ابراهيم وتُحفة ابراهيم اشارة الى الله تعالى الذي ترآءى لابراهيم على صورة ثلثة رجال (سفر التكوين ف ١٨) فاضافهم وقدَّم لهم خبزًا ولحماً. (اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩): «ونبّئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليهِ فقالوا سلاماً...» = (اسماعيل) نسبوهُ الى الصدق فقالوا: «صدق اسماعيل» (مض ٣٣ — ٣٤ وسورة مريم) = (يعقوب) قالوا «احزان يعقوب» مشيرين الى حزنهِ على يوسف لمَّا اخبرهُ بنوهُ بموتهِ (مض ٤٤) = (يوسف الصدّيق) ضربوا المثل (مض ٣٤ — ٣٨) برؤيا يوسف اشارةً الى الرؤيا الصادقة. وبذَنْب يوسف اتُهْمة كاذبة. وبقميص يوسف المضرَّج بالدم. وبحُسن يوسف. وسني يوسف السبع المخصبة ثمَّ السبع المجدبة. (راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليهِ ثمَّ في القرآن سورة يوسف) = (موسى) ممَّا يذكرون لهُ (مض ٣٨) عصاة موسى التي فلق بها بحر القلزم. ونار موسى التي تجلَّى لهُ فيها الله. ويد موسى التي لاحت عليها آثار البرص. وصُحُف موسى المنزلة عليهِ ومناجاتهُ لله (راجع سفر الخروج وبعض سور القرآن كالبقرة والاعراف) = (فرعون) نسبوا اليهِ الصَلَف والنخوة فقالوا: «نخوة فرعون» (مض ٦٣) = (قارون) هو قورح احد الذين خُسفت بهم الارض لمعارضتهم موسى. وقد زعموا انهُ كان مثريًا فقالوا «كنوز قارون» (مض ٦٤ والقرآن سورة القصص ٧٦) = (بنو اسرائيل) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا (م ١ : ١٣١): «أتيَه من قوم موسى عم» = (ايُّوب) ضربوا بهِ المثل في الصبر «صبر ايوب» (مض ٤١) = (داود) ذكر العرب في امثالهم مزامير داود ونغمتَه في تلاوتها وزعموا انَّهُ برع في نسج الدروع (مض٤٣—٤٤ واطلب فصولنا السابقة ص٣٤٩) = (سليمان) ضربوا بهِ المثل في عزَّة الملك واتّساعهِ فقالوا: «مُلك سليمان» ونسبوا الى خاتمهِ المعجزات فقالوا: «خاتم سُليمان» كما قالوا: «جنّ سليمان وسَير سليمان» لزعمهم بانَّ الله سخَّر لخدمته الجنّ والشياطين وانَّهُ كان يعلم منطق الطير والحشرات (راجع سورة النمل في القرآن) ويسير على بساط الريح (سورة سبأ في القرآن. اطلب مض ٤٤—٤٦ وفصولنا السابقة ص٣٥٠) = (الخُضْر) قيل انَّهُ الياس النبيّ فقالوا: «فلان خليفةُ الخضر» اي جوَّاب في الآفاق (مض٤٢) = (يونس) هو النبيّ

يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعهُ فقالوا: « أَنْهَم من حوت يونس » (مض٤٣) = (عُزَيْر) هو عَزْرا صاحب السفرَيْن الواردَين باسمهِ في الكتاب المقدَّس. ضربوا بحماره المثل فقالوا: « حمار عُزَيْر » لأنَّ الله على زعمهم أَمدَّهُ بهِ في نكبتهِ (مض٤٦)= (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا اليهِ صَرحاً فقالوا « صَرح هامان » زعموا انَّهُ بناهُ لفرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض٦٣)= (عيسى) اي السيّد المسيح ضربوا المثلَ في نطقهِ بالمهد (مض ٤٠) ثمَّ في طبّهِ فقالوا: « طبّ عيسى » لكثرة معجزاتهِ في احياء الموتى وشفاء المرضى (مض ٤٧) وفي حمارهِ الذي ركبهُ يوم دخولهِ اورشليم في احد الشعانين (مض ٤٦) ونسبوهُ الى الله فقالوا « روح الله » و « كلمة الله » (مض ١٥) = (مريم العذراء) ضربوا المثل بعفّتها فقالوا « عفّة مريم » (مض ٤٤ وسورة آل عمران) وقالوا « تُحفة مريم » كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرُّطَب اي التمر (مض ٣٣) وكذلك قالوا « نخلة مريم » لأنّهم زعموا انَّها كانت تنحني أمامها لتأكل من ثمرها (مض ٢٤٤) = (يحيى) وهو يوحنَّا المعمدان فقالوا « دم يحيي ابن زكريَّا » (مض ٤٧) لقتلهِ ظلماً على يد هيرودوس = (الحواريُّون) وهم رسل السيّد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم (قصص الانبياء للثعلبي ص ٣٤٣) = ومن امثالهم النصرانيَّة (كعبة نجران) وهي كنيسة كان يحجّ اليها اهل اليمن لحسنها (مض ٤١٢) و (قسّ نجران) وهو قسّ بن ساعدة المضروب بهِ المثل في الخطابة (مض ١٨٥) و (أَبدَال اللُّكام) و (أَبدال لبنان) وهم قوم من النسَّاك الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللُّكام وجبل لبنان (مض ١٨٦ — ١٨٧) و (نوم اصحاب الكهف) وهم شهداء النصرانيَّة في افسس قيل انهم أَووا الى مغارة لينجوا من المغتصبين فباتوا فيها نائمين سنين عديدة (مض ٦٥ وسورة الكهف في القران) و (كنيسة الرها) قالوا انها من عجائب الدنيا (مض ٤١٦) و (دير هِرَقل) كانوا يعالجون فيهِ المجانين (مض ٤١٩)

٭

٣ وبين امثال العرب في الجاهليَّة واوَّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة. فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢: ٢٢٩) قولهم :

« المرأة من المرء وكل ادماء من آدم » . واردف : « ويقال انَّ هذا اوَّل مثل جرى للعرب » . وهو منقول عن سفر التكوين (٢ : ٢٣) حيث روى موسى كيف خلق الله حوَّاء من ضلع آدم فقال : « هذه تسمَّى امرأةً لأَنَّها من امرئٍ أُخِذتْ »

ومنها مثلهم (م ١ : ٤٣) : « ان لم يكن وِفاق ففراق » ينظر الى قول ابراهيم الى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعاتهما (١٣ : ٨ — ٩) : « لا تكن خصومة بيني وبينك انَّا نحن رجلان اخوان . . اعتزل عني امَّا في الشمال فأَتيا مَن عنك وامَّا الى اليمين فأَتياسر »

ومنها قولهم (م ١ : ٢١٣) : « خيرٌ قليل وفضحتُ نفسي » لا يبعد عن قول يوناثان لمَّا اراد ابوهُ شاوُل ان يقتلهُ لقليل من عسل ذاقَهُ وقت الحرب (١ملوك ١٤ : ٤٣) : « ذُقتُ ذوقاً برأس العصا قليلَ عسلٍ وهاءنذا اموت »

ومن امثالهم لمن يسهو عن الحديث (م ١ : ٤٠) : اليك يُساقُ الحديث » فكأنهُ ترجمة قول ناثان النبي لداود (٢ مل ١٢ : ٧) بعد ان عرض عليهِ مثل الغنيّ المضحّي لشاة الفقير اشارةً الى خطيئتهِ مع امرأة اوريَّا : « انت هو الرجل »

ومنها ايضاً (م ٢ : ٨٤) : « كلّ امرئ فيهِ ما يُرْمى بهِ » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨ : ٤٦) : « ليس انسانٌ لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧ : ٢١) : « ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ » . ويشبههُ قول السيّد المسيح في الانجيل (مرقس ١٠ : ١٨) : « لا صالح الَّا الله وحدَهُ »

وممَّا رُوي بين امثال عليّ (١ (ص ٨) : « جُدْ بما تجدْ » فهو مثل قول طوبيَّا (٤ : ٨) يوصي ابنهُ : « تصدَّق من مالك . ان كان لك كثير فابذل كثيرًا وان كان لك قليل فابذُلْ عن نفس طيّبة »

ومن امثال العرب في الميداني (٢ : ٢١٥) : « المنيَّة ولا الدنيَّة » نظمهُ الحريري فقال :

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من رُكوب الخنى رُكوبُ الجنازَهْ

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني (٦ : ٢٣—٢٧) : « اسبقُ

---

١) نشير الى مجموع امثالهِ الذي طُبع في اوكسفرد سنة ١٨٠٦ : Corn. van Waenen *Sententiæ Ali ebn Abi Taleb*

الى الجحيم ... ولا اجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة »

وقالوا (م ١ : ٩٢) : « البطنة تأفُنُ الفطنة » ومثلهُ قول علي : « البطنة تذهب بالفطنة » وقد قال النبيّ هوشع قبلًا (٤ : ١١) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي القلب »

وروى الميداني (١ : ٢٥) للعرب : « ان كنتَ ريحًا فقد لاقيت اعصارًا » . ومثلهُ لهوشع ايضاً (٨ : ٧) : « انَّهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »

ولهُ (م ٢ : ٢٠٣) عن لسان احد الاعراب لكلبهِ : « مـا لك لا تنبح يا كلب الدَّوْم قد كُنْتَ نبَّاحاً » وجاء في نبوَّة اشعيا (٥٦ : ١٠) الى رقباء بني اسرائيل : « انَّ رقباءهُ كلّهم كلاب بُكم لا يستطيعون النباح »

ومن امثالهم في من لا يميّز الخير من الشرّ (م ٢ : ١٨٦) : « ما يعرف قبيلًا من دبير » او : « ما يعرف الحوَّ من اللوّ » وجاء قبلهُ عن لسانه عزَّ وجلّ في سفر يونان (٤ : ١١) : « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمـة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم »

وممَّا ورد بين امثال علي (ص ٨٦) : « طعنُ اللسان امضى من جرح السنان » سبق اليهِ النبي داوُد في مزاميرهِ (٥٦ : ٥) عن المنافقين : « أسنانهم اسنَّة وسهام والسنتهم سيوف حادَّة »

ومنها ايضاً قولهُ (ص ١٦) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأنهُ نظر الى قول صاحب المزامير في وصفهِ المملكة السريّة (مز ٤٤ : ١٤) : « بنتُ الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدَّة امثال في الاخاء والصداقة فيقولون (م ١ : ٦٣) : « انَّ اخاك من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢) : « عنـد الامتحان يكرم المرء او يهان » ويقولون ايضاً : « عند النازلة تعرف اخاك » ومثلهُ قول علي (ص ٢) : « اخوك من واساك في الشدَّة » وقول اكثم بن صيفي (العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨) : « اخوك من صدقك » وقولهُ : « خيرُ اهلك من كفاك » وقول الشاعر :

فما اكثر الاصحاب حين تعدُّهم ولكنَّهم في النائبات قليلُ

فهذه كلّها كالآية الواردة في سفر امثال سليمان (١٧ : ١٧) : « الخليل عند

الضيق يُضحي اخاً » وكقوله (١٨ : ٢٢) : « رُبَّ صديقٍ اقرب علاقةً من الاخ » وقوله (٢٧ : ١٠) : « جارٌ قريبٌ خيرٌ من اخ بعيد » وقول ابن سيراخ (١٢ : ٨) : « لا يُعرف الصديق في السرَّاء ولا يُخفى العدوّ في الضرَّاء »

ومن امثــال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلّاء قولهم (م ٢ : ١٩١) : « المرء بخليله » اي مقيسٌ بخليلهِ قال الميداني : « يروى عن النبيّ صلعم » ومثلهُ لعليّ (ص ٨) : « جليس المرء مثلهُ » ولهُ (ص ١٠) : « خليل المرء دليلُ عقلهِ » . ولهُ (ص ٣٠) : « قرين المرء دليل دينهِ » ولطرفة الشاعر في معلَّقتهِ :

عن المرء لا تسأَل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وكلّ ذلك في معنى قول سليمان (امثــال ١٣ : ٢٠) : « مُساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهلاء يصير شرّيرًا »

وممّا قالوا في حفظ اللسان (م ٢ : ٢١١) : « مَن أَكثَرَ أَهجَرَ » وقالوا (م ١ : ١٤) : « انَّ البلاء موكَّل بالمنطق » وقالوا (م ٢ : ١٨١) : « مقتل الرجل بين فكَّيهِ » وقول عليّ : « بلاء الانسان من اللسان » وقولهُ : (ص ٢٠) : « صلاح الانسان في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٩) : « كثرة الكلام لا تخلو من زلّة ومَنْ ضبط شفتَيْه فهو عاقل » وقال (١٣ : ٣) : « مَن ضبط فاهُ صان نفسَهُ ومن فتق شفتيهِ لحظُّهُ الدمار » وقال (١٨ : ٧) : « فم الجاهل دمارهُ وشفتاهُ شركٌ لنفسهِ » . وقال (٢١ : ٣٢) : « من يحفَظ فاهُ ولسانهُ يحفظ من المضايق نفسَهُ » وللقديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٢) : « ان كان احد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » فكأَنَّ الشاعر عقد هذه الامثال فقال :

احفظ لسانك أَيُّها الانسانُ لا يلدغنَّك انَّهُ ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانهِ كانت تهابُ لقاءهُ الشجعانُ

ومن امثال عليّ (ص ١٨) : « سموّ المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان امثال (١٥ : ٣٣) « قبل المجد التواضع »

ومن امثال العرب : « كل طير يأوي الى جنسهِ وقد سبق ابن سيراخ (١٣ : ١٩) فقال : « كل انسان يحب قريبهُ وكل حيوان يحب نظيرهُ »

وروي بين امثال علي وغيره من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

واوّل من قال ذلك بلفظه داود في مزاميرهِ (١١٠ : ١٠) وابن سيراخ (١ : ١٦).
وروى سليمان في امثالهِ (١ : ٧) : « مخافة الرب رأسُ العلم »

ومن امثالهم (م ١ : ٩) : « انَّ الحديد بالحديد يُفلَح » او (م ٢ : ١٥٢) :
« لا يفلُّ الحديدَ الّا الحديد » نظمهُ الشاعر فقال :

قومُنا بعضُهم يقتّلُ بعضاً لا يفلُّ الحديدَ الّا الحديدُ

وكان سليمان قد قال (امثال ٢٧ : ١٧) : « الحديد يصقل الحديد »

ويقول العرب (م ١ : ١٢٧) : « تضرَّع الى الطبيب قبل ان تمرض » كانهم اخذوهُ من قول ابن سيراخ (٣٨ : ١) : « اعطِ الطبيب كرامتهُ لاجل فوائدهِ (اي وقت المرض) »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٢٢) : « في التجارب علمٌ مستأنف » وكان ابن سيراخ قال (٣٤ : ١٠) : « الذي لم يختبر يعلم قليلاً »

وكذلك قالوا في النظر الى العواقب (م ٢ : ٢٢) : « في العواقب شافٍ او مُريح » ومثلهُ قولهم (م ٢ : ١٢٨) : ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب » سبق ايضاً اليهِ ابن سيراخ قائلاً (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ الى الابد »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٢٠٤) في الاستشارة : « ما هلك امرؤٌ عن مشورة » قالهُ ابن سيراخ (٣٢ : ٢٤) : « لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندمَ على عملك »

ويقول العرب في امثالهم (م ٢ : ٢١١) : « من حفر مغواة وقع فيها » ومثلهُ لحسّان بن ثابت (حماسة البحتري ص ٧١) :

وكم حافرٍ حفرةً لامرئٍ سيصرعهُ البغيُ فيما احتفَرْ

وكان داوٗد قال في مزاميرهِ (٧ : ١٦) يصف الشرير : « كرى بئرًا وحفرها فسقط في الهوَّة التي صنع » ولسليمان ابنهِ (امثال ٢٦ : ٢٧) : « من يحفر هوَّة يسقط فيها » راجع ايضاً سفر الجامعة (١٠ : ٨) وابن سيراخ (٢٧ : ٢٩)

ولا يبعد ان يكون قول العرب في الخيبة (م ٢ : ٨٠) : « كالقابض على الماء » منقولاً عن امثال سليمان (٢٧ : ١٦) : « انما يضبط على الريح ويقبض بيمينهِ على زيت »

ومن امثال العرب (اغاني ١٥ : ١٢١) : « التوبة تُذهب الحوبة ». وقد تكرَّر هذا مرارًا في الاسفار المقدَّسة على صور شتى (راجع نبوة حزقيال ف ١٤و١٨) . وفي اعمال الرسل (٣ : ١٩) « توبوا وارجعوا تُغفَر خطاياكم »

ومن امثالهم ايضاً (م١ : ١٧) : « انَّ من لا يعرف الوحي احمق » ومثلهُ ما ورد في سفر الحكمة (١٣ : ١) : « ان جميع الذين لم يعرفوا الله حُمْق »

٤ وكما اخذ العرب كثيرًا من امثالهم عن اسفار العهد القديم كذلك رووا عدَّة امثال عن اسفار العهد الجديد ولا سيما الانجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي (ص٢) : « أَحسن الى المسيء تَسُدْ » فهو صدًى ضعيف لقول الرب في متى (٥ : ٤٤) : « أَحسنوا الى من يبغضكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات »

ومثلهُ المثل الذي رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار (١ : ٣٣٢) : « احلُمْ تَسُدْ » فانهُ كقول الانجيل (متى ٥ : ٤) : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض »

وروى الميداني في امثالهِ (م١ : ٢٩٧) : « اسمَحْ يُسمَح لك » وكذلك روى ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) : بين امثال اكثم بن صيفي : « أَحْسِنْ يُحسَن اليك » وكلاهما كقول الرب في لوقا (٦ : ٣٨) : « أَعطوا تُعطَوا » . ومثلهُ قول اكثم ايضاً : « إِرحم تُرحَم » وقولهُ : « من بَرَّ يوماً بُرَّ بهِ » نُقل عن تطويبات الرب (متى ٥ : ٧) : « طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون » وكان سليمان قال في امثالهِ (١١ : ١٧) : « ذو الرحمة يُحسن الى نفسهِ »

ومن اقوال الرب الشهيرة (متى ٧ : ٧—٨) : « اسأَلوا تعطَوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتَح لكم لأَنَّ كل من يسأَل يُعطَى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ » اخذهُ العرب فقالوا في امثالهم (م ١ : ٣٠٢) : « سائل الله لا يخيب » وقالوا (م١ : ٣٨٣) : « اطلب تظفرْ » وقالوا (م٢ : ٢٢٦) : « من طلب شيئاً وجدهُ » وقالوا (م٢ : ٤٧) : « اقصدي تصيدي » وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس هذا المثل فقال (حماسة البحتري ص١٣٤) :

مَنْ يَسَلْ يُعْطَ ومَنْ يستفتح م الباب يَفتَحهُ بطيءٌ او سريع

ومن اقوال السيّد المسيح ايضاً (متى ٧ : ١—٢ ولوقا ٦ : ٢٧) : « لا تدينوا لئلَّا

تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون يكال لكم » . فقد اخذه العرب بلفظهِ « كما تدين تُدان » هكذا رواهُ الميداني (٢ : ٨٥) وقد رواهُ ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) للاكثم بن صيفي . وروى في التاج (٩ : ٢٠٧) لخويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحرث بن شمّر :

يا حارِ أَيقن انَّ مُلكك زائلٌ   واعلم بأَنَّ كما تَدينُ تُدانُ

ومثل الكيل رواهُ الميداني (١ : ١٤٨) على هذه الصورة : « جزيتهُ كيلَ الصاعِ بالصاع »

وقال الرب (متى ٧ : ٣ ولوقا ٦ : ٤١) لن يعيّر غيرَهُ داءً يكون في نفسهِ اعظم : « ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » نقلَهُ العرب فقالوا (م٢ : ٨٥) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجِذْع المعترض في عينك »

وقال الرب ايضاً (متى ٧ : ١٦ ولوقا ٦ : ٤٤) : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين » اخذهُ العرب فقالوا (م٢ : ١٥٢) « لا تجنِ من الشوك عنباً » رُوي لاكثم بن صيفي . وقالوا (م ١ : ٤٣٦) في العجز : « أعجزُ من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر (م ٢ : ١٥٢) :

اذا وترتَ امرءًا فاحذَر عداوَتَهُ   مَن يزرَعِ الشوك لا يحصُدْ بهِ العنبا

ومن اقوالهِ تعالى (متى ١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥) : انهُ لأَسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت الله » . فاخذه العرب وضربوهُ مثلًا للضيق فقالوا (م١ : ٣٧٤) : « اضيق من خَرْت الابرة وسمّ الخِياط » وضربوه مثلًا ايضاً لصعوبة الشيء فقالوا (م٢ : ١٤٤) : « لا افعل كذا حتى يلج الجمل في سمّ الخِياط » ومثلهُ في القرآن في سورة الاعراف (٧ : ٣٨) : « لا يدخلون الجَنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخِياط »

وقال في الانجيل (لو ٦ : ٣٩) : « هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى أَليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووهُ بين امثال على (ص ١٠٠) على هذه الصورة : « كيف يهدي غيرهُ من يُضلُّ نفسهُ »

وكذلك رووا لعلي (٦٦) : « خيرُ الصَّدَقة إخفاؤها » وكان الربُّ اعلن في

انجيلهِ (متى٦: ٣-٤): « اذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالُك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

ومن امثال الميداني (١: ٢٧٥): « رُبَّ زارعٍ لنفسهِ حاصد سواهُ » قالهُ الرب في انجيلهِ (يوحنا ٤: ٣٧): ان واحدًا يزرع وآخر يحصد »

وللرب في الانجيل اقوال كثيرة في الصبر كقولهِ تعالى (لو ٢١: ١٩): بصبركم تقتنون انفسكم » وقولهِ (متى ١٠: ٢٢): « الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص». وقال يعقوب في رسالتهِ (١: ٤) « العملُ الكامل للصَّبر ». والى ذلك تنظر اقوال العرب (م١: ١٣٥): « ثمرة الصبر نُجح الظفر » وقولهم وهم يروونهُ لاكثم بن صيفي (العقد الفريد ١: ٣٢٩): « عواقب الصبر محمودة » وقول عليّ (ص٨): « بشِّر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقولهُ (ص٢٠) « صبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيهِ آيات عديدة في الانجيل كقولهِ (لوقا١٤: ١١ و١٨: ١٤): « كل من رفع نفسَهُ اتَّضع ». وقال القديس بطرس في رسالتهِ الاولى (٥: ٦): « اتَّضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم». فروى العرب لعليّ قولهُ (ص ٥٨) وهو كالآيات السابقة: « تواضعْ لربّك يرفعْك ». وقولهُ: « التواضع يرفع والتكبر يضع » وقولهُ (ص١٠٦): « من توقَّر وُقِّر ومن تكبر حُقِرَ » ويشبهُهُ قول سويد ابن ابي كاهل (شعراء النصرانية ص٤٣١ والمفضَّليَّات ص٣٩٩):

كتب الرحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الاخلاق فينا والضَلَعْ
وبناءَ للمعالي انَّما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضَعْ

وعلى شبه هذا قول العرب (حماسة ابي تمَّام ١٢٢): « سيِّد القوم خادمُهم » وهو عين ما قالهُ الرب لتلاميذهِ (لوقا٢٢: ٢٦): «ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدَّم كالذي يخدم... وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يُروى للعرب (م٢: ١٨٨): « ما جُعل العبدُ كربّهِ » وهو عين قول الرب (متى ١٠: ٢٤): « ليس عبدٌ افضل من سيّدهِ » كما انَّ مثلهم (م٢: ١٣٥): « ليس عبدٌ باخٍ لك » هو مثل قولهِ (يوحنَّا ١٥: ١٥): « لا اسمِّيكم عبيدًا بعد لأَنَّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّدهُ ولكني سمَّيتكم احبَّائي »

وقال الرب لبطرس لمَّا سلَّ سيفَهُ فقطع اذن عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦:

٥٢) : « اردُدْ سيفك الى غمده لأنَّ كلَّ من يأخذ بالسيف بالسيف يَهلَك » رُوي لعليّ في نهج البلاغة على صورة : « من سلَّ سيف البغي قُتل به »

ومن الامثال التي استشهد بها المخلّص في الناصرة (لو ٤ : ٢٣) : « ايُّها الطبيب اشفِ نفسك » وهو كمثل العرب (م٢ : ٢٠٧) : « يا طبيبُ طبَّ لنفسك »

ورووا بين امثال عليّ بن ابي طالب قوله (ص ١٠٦) : « من أكرم نفسَهُ اهانَتْهُ » وقوله (ص١٠٨) : « من اطاع نفسَهُ قتلَها » وهو من اقوال الربّ (يوحنّا ١٢ : ٢٥) : « من احبَّ نفسَهُ فانَّهُ يهلكها ومن ابغض نفسَهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الابديَّة »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٣٢١) : اليسير يجني الكثير » يروى لاكثم بن صيفي . وقريب منه قولهم (م ١ : ٣٢١) : الشرُّ يبدؤُهُ صغارهُ » . وقد قال الرب في معناه (لوقا ١٦ : ١٠) : « الامين في القليل يكون اميناً في الكثير والظالم في القليل يكون ظالمًا في الكثير » والى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ (١٩ : ١) : الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد (متى ٦ : ٣٤) : « فلا تهتمُّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ يكفي كلَّ يوم شرُّهُ » اخذهُ العرب فقالوا (م١ : ٦١) : « انَّ غدًا لناظرهِ قريب » وهو يُروى لامرىء القيس الذي قال ايضاً (م ٢ : ٣١٣) : « اليوم خمر وغدًا امر » وكذلك يقول العرب في امثالهم (م٢ . ١٢٩) . « لكل غد طعام »

وقال الرب ايضاً في شر الاقارب (متى ١٠ : ٣٦) : اعداء الانسان اهل بيتهِ (راجع نبوة ميخا ٧ : ٦) . وهو شبه مثل العرب المروي لاكثم بن صيفي : « الاقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة (م ١ : ٣٤٣) : « اشهر من علَم » و « واشهر من نارٍ على علَم » وعلى ظننا انهُ مأخوذ من قول الرب (متى٥ : ١٤ — ١٥) : « لا يمكن ان تخفى مدينة مبنية علي جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال ولكن على المنارة لينير على كل من في البيت » (راجع ايضاً نبوة ميخا ٤ : ١)

وكذلك في قول العرب (م ١ : ٣٣) : « ان اردتَ المحاجزة فقبل المناجزة »

وفي قولهم (م٢ : ٢٣٧) : « من سئم الحرب اقتوى للسِّلْم » تنويهٌ الى قول الرب في لوقا (١٤ : ٣١-٣٣) : « ايُّ ملك يخرج ليحارب ملكاً آخر ولا يجلس اولًا ويشاور نفسهُ هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف من يأتي اليهِ بعشرين الفاً وإلّا فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من امر الصلح »

ومن امثالهم في التقريع (م١ : ٢٣) : « انهُ لَصِلُّ أَصلال » وقد سبق يوحنا المعمدان (لوقا ٣ : ٧) فقرَّع بني اسرائيل فدعاهم « باولاد الافاعي »

وقد روى العرب بعض الامثال التي ضربها السيد المسيح دون الاشارة الى اصلها . فمن ذلك مثل ربّ البيت الذي شارط العمَلة على دينار واعطاهم أُجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم (متى ف ٢٠) فدونك هذا المثل كما رواه البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الاجارة ونسبهُ الى محمد (طبعة ليدن ٢ : ٥٠) :

« حدَّثنا اسمعيل بن ابي اويس . . . عن عمر بن الخطَّاب انَّ رسول الله صلعم قال : انَّما مَثَلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط ثمَّ عملت النصارى على قيراط قيراط ثم انتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغارب الشمس على قيراطَيْن قيراطَيْن فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن اكثر عَمَلًا واقلّ عطاءً . قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً . قالوا : لا . قال فذلك فَضْلي أُوتيهِ من اشاء »

وكذلك ابو الحسن عليّ بن هذيل (ص ٨٨-٨٩) روى مثل السيّد المسيح للزراع الذي وقع زرعهُ في الطريق وبين الاشواك وعلى الصخور وفي الارض الجيّدة (لوقا ف ٨) ونسبَهُ الى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعضُ الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يُلقيها الى القلوب قال : انَّ الباذر خرج ببَذْرهِ الطيّب ليبذرهُ فنثرهُ فوقع بعضهُ في ارضٍ محجرة بل في جَنَبات الطريق فلم يلبث ان اختطفهُ الطير فذهب بهِ . ووقع بعضهُ في ارضٍ محجرة الّا انَّ عليها ندًى وطيناً فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئاً حتى اذا وصلت عروقُهُ الى الحجر لم يجد مساغاً ينفذ فيهِ فتلف وفسد ويبس . ووقع بعضهُ في ارضٍ رخوة الّا ان فيها شوكاً نابتاً فنبت حتى اذا كان عند الإثمار خنقهُ الشوك فلم يأتِ بثَمَره . ووقع بعضهُ في ارضٍ طيّبة نقيّة ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت واثمر فجاءت الحبّة بأضعاف مضاعفة . ثمَّ فسرهُ فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرهُ الطيّب هو حكمتهُ وموعظتهُ الحسنة التي يلقيها الى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسي الذي اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوتهِ فلم تلبث فيهِ . ومنها قلبٌ

ظاهرهُ رقَّة وباطنهُ قساوة فهو في اوَّل سماع الحكمة يرقّ لها ويلذّ بسماعها ويحنّ الى ذلك بتلك الرقَّة الظاهرة على قلبهِ ولا يعقد عليها بعزم لقساوتهِ . ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبُّها ويحبُّ العمل بها الَّا انهُ قلبٌ قد امتُحن بلُصوق الشهوات بهِ حتى صارت لهُ طباعًا فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت لهُ تلك الشهوات فمنعَتْهُ من اقامة وظائفها وافسدت عليهِ ما سمع فاختلط عليهِ امرهُ ولم يتمّ لهُ مرادهُ . ومنها القلب النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همَّة لهُ في غيرها ولا شغل لهُ الَّا بها ولم تعلق بهِ شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولًا وعملًا وتبلغ بهِ افضل العواقب واعلى المراتب »

فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيَّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م١ : ١٢٠) : « اتركْ الشرّ يتركك » وقولهم (م٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقَّاه» فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلًا (٧ : ١) : « لا تعمل الشرّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاءَ في امثال علي (ص٨) : «جلَّ من لا يموت» وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموتاوس : « لله وحده الخلود . . . لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لامال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الَّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح »

ولعلّ مثلهم (م٢ : ١٩٧) : « ما انت بخَلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) : « انك لستَ باردًا ولا حارًا . . . فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي »